دكتاتور
على طريقة
الشاكوماكو

أحمد الشايب





دكتاتور على طريقة الشاكوماكو

دكتاتـــــور

على طـريقـة

الشاكو ماكو

الطبعة الأولـى
١٤١١ / ١٩٩٠

بقلم
أحمد الشايب

الاهـــــداء

إلى صدام حسين التكريتي ...

أهدى صدام حسين التكريتي !!

أحمد الشايب

تقديم

لاشك أن الفرق كبير جداً بين الذين يخدمون مصلحتهم من خلال خدمتهم لقضية بلادهم، وهم جزء منها، وبين أولئك الذين يخدمون قضية بلادهم من خلال خدمتهم لمصلحتهم وهى جزء منهم ..

والواقع أننى أذكر وأنا أقرأ فى سيرة نهرو زعيم الهند العظيم، عندما إقتيد إلى السجن. قالت له زوجته : فليوفقك الله! فرد عليها قائلا : اين هو الله؟! إذا كان موجوداً حقا فلابد أنه غارق فى نومه! فغضبت الزوجة غضباً شديداً. وعندما سألها غاندى : لماذا أنت غاضبة يابنيتى؟ فقالت الزوجة : لقد كفر نهرو ياأبتى! .. وعندئذ ربت على كتفيها قائلا : يابنيتى إن نهرو لم يكفر .. ولكنه أقرب إلى الله من الذين يتعبدون كهنوته!!

لم أحلم يوما، بل ولم يخطر على بالى قط أن أكون نهرو الزعيم، ولكننى أحسست يوما ما أننى نهرو الموقف .. أحسست بهذا وأنا أجوب قاعات التعذيب بكل صنوفه وأشكاله، حتى أن ماقرأته أو سمعته عن معتقلات وغياهب التعذيب اللاإنسانى فى سيبيريا، أو

النازية، لابد وأن تنحنى كقزم أمام عملاق .. لقد رأيت الوجه الآخر لحكم صدام التكريتى إنه وجه خنزير..

ونعترف بأنه بالرغم من إعدادنا هذه القصة بكل مافيها من ألم ومرارة فى - قصتنا مع نظام البعث التكريتى - إلا أننا ومن منطلق الالتزام بالمسئولية حيال مصر الأم العظيمة، حاولنا إرجاء إصدار هذا الكتاب، بل ورفضنا بصورة قاطعة عرضاً معزيا من إحدى دور النشر الأوروبية ليس خوفا بقدر ماهو حب وولاء وحرص على الأمن القومى العربى والسيادة المصرية ..

والواقع أننى كنت على موعد مع القارئ العربى لإصدار مؤلفنا «الرئيس واستراتيجية المستقبل» الذى يعتبر الجزء الثانى من مؤلفنا "صديقى الرئيس" والذى يعتبر الكتاب الأول الذى يتناول الجانب الفكرى للرئيس مبارك، حيث صدر بعدة لغات عالمية عام ١٩٨٨ .. أقول أننى كنت على موعد لإصدار هذا الكتاب. حيث كنت قد اتفقت وزميلنا الكاتب الصحفى الأستاذ سمير رجب رئيس مجلس إدارة دار التحرير على إصداره ضمن سلسلة كتاب الجمهورية.

وبينما نحن مشغولون بوضع اللمسات الأخيرة لهذا الكتاب لدفعه إلى المطبعة .. لولا تلك الاحداث - أحداث الغزو العراقى الآثم للكويت - التى إعتبرها معظم المراقبون مفاجأة أدهشتهم - على حد تعبيرهم - بنفس القدر الذى أدهشتهم عندما ذكرنا فى حديث تليفزيونى بأن

إيقاف الحرب العراقية الإيرانية ليس فى صالح النظام العراقى العابث .. ولكن بكل الصدق فلم يكن غزو صدام للكويت مفاجأة أدهشتنى، ولكنها كانت متوقعة بحساباتى السياسية المتواضعة .. إذا وضعنا فى الإعتبار ذلك الفرق الكبير بين هؤلاء الذين يجلسون أمام المسرح السياسى فى موقع المتفرج وأولئك الذين يقفون وراء كواليس المسرح السياسى العراقى ..

وبكل الصراحة والصدق، فلقد عانيت كثيراً. فالصالح موجود منذ الأذل وكذلك الطالح موجود أيضا، وليس فى ذلك مايدهش .. ولكن مشكلتنا نحن العرب أننا قد أفتقدنا القدره على التمييز. إن يكن قد أصبنا مع شديد الأسف بعمى الألوان. ..

ولقد عانيت كذلك وأنا أتنقل من كتاب كنت على وشك الإنتهاء منه، عن حسنى مبارك كرجل قد تختلف معه، ولكنك لاتملك إلا أن تحترمه .. رجل يحاول أن يضع مصر علي الطريق الصحيح .. واكتب عن رجل من الظلم أن أقارن بينه وبين مبارك، فهو على نقيض كل الصفات والسمات التى تجسد الرجولة .. وليتخيل القارئ نفسه عندما ينتقل من طبقات الجو العليا. حيث الصفاء والنقاء، إلى الضباب المنخفض المشبع بالرطوبة. وهذا هو الفرق بين رجل يرتفع بالمنصب إلى مستوى الأحداث، والآخر يرفعه المنصب ليصبح مصدر قلق من النوع النيرونى ..!

ولقد وجدت نفسى حقيقة أمام شخصية معقدة التركيب، ولكن
ليست صعبة التحليل .. إذا ما أتيحت الفرصة للباحث أو المحلل
يعيش أو يتعايش أو أن يكون قريبا من المسرح السياسى العراقى.

والواقع أن الشئ المضحك المبكى أننا أمام رجل يدعى - وقد يصد
السذج من الناس - أنه ينحدر من صلب أسرة عريقة مرتبطة بالرس
صلى الله عليه وسلم ... ونحن لاندهش من هذا الادعاء إذا كان يأ
من رجل هو فى الحقيقة وحسب شجرة العائلة التى لاتخطئ أنه سلي
أبى نواس قلباً وقالبا. ولكن مايدهشنا أن تصديق هذا الادعاء الكاذ
تتفاوت درجاته بقدر ماتتفاوت كميات الدنانير التى أغدق بها عليه
ليصبح موقفهم مثل موقف "يورى جاجارين" رجل الفضاء السوفيت
عندما صرح بعد عودته من رحلته الأولى فى الفضاء؛ "لقد أخذ
أبحث عن الله فى كل مكان فى السماء فلم أجده؟". وعندئذ رد عل
شيخ الأزهر قائلا : لقد أعماك الله عن أن ترى ماحولك، فلو نظر
إلى ماحولك لوجدت الله!.

وصدام حسين رجل يزدرى السياسة، دفعته جريمة أمه السيدة صبيح
التى قتلت أبوه بالاشتراك مع عمه، وهى حامل فيه .. ودفعه إحساس
بالنقص فى رجولته نتيجة حادث اعتداء أحد العراقيين عليه وهو طف
صغير إلى الميول الإجرامية التى تتجسد بتلذذه بتعذيب وإراقة دما
الكثيرين قبل تسلمه السلطة .. محيطا نفسه بشلة فاسدة من أتباع

وحرسه الخاص، وجميعهم من أبناء عشيرته التى تنصلت منه، والذى يصل عددهم إلى عشرة آلاف جندى وضابطا تكريتى، قتل منهم خمس وزراء منهم اثنان؛ احدهما زوج أخته، والآخر زوج إحدى بناته. حيث بلغ عدد الذين أعدمهم شخصيا رمياً بالرصاص منذ عام ١٩٧٢ وحتى الآن اكثر من سبعمائة شخصية عراقية.

لقد ابتدع صدام حسين مناسبات عدة لسلب جيوب العراقيين والعراقيات، وتفنن فى أساليب حقيرة لدفعهم إلى التبرع بالمال والذهبوصادر الآلاف من العقارات والأراضى الزراعية، لينقل ملكيتها اليه وإلى أسرته، وأقام على أنقاض هؤلاء المساكين من العراقيين، القصور الفخمة والمزارع والاستراحات الخاصة فى أغلب محافظات العراق.

وقد ناصب الدين العداء، من خلال إرتدائه لثوب الاصلاح الدينى للخلاص من رجال الدين الشيعى والسنة على السواء.. وهو نفسه الذى أصدر قراراً من مجلس قيادة الثورة بمنع الآذان فى الاذاعة والتليفزيون وحتى فى الجوامع التى لا يسمح فيها حتى بالصلاة.. فالولاء لا يجب إلا أن يكون لحزب البعث.

لقد حاولت، وبعيداً عن العواطف، وبنظرة مجردة، أن أقوم بجوله فى عقل وفكر صدام حسين، ذلك العقل الذى تبول فيه نبيه وسيده «ميشيل عفلق» اليهودى الذى يحتل موقعا فريداً فى حركة الصهيونية

العالمية والذى لعب دوراً أتقنه ونجح فيه إلى حد كبير.. وقد حاولت أن أقدم تحليلا علميا، لفكر البعث التكريتى وأناجيلهم التى تتسم بحكمة إبى نواس.. ثم تعرضنا لأسرار وخبايا الحرب العراقية الايرانية، وكذلك الغرو العراقى للكويت.. أو ذلك النوع من القرصنه التى يجب أن نقف عندها ونتأملها طويلا.. ثم بعض من سيرته الذاتية وممارساته الشاذه اللاإنسانية التى تحتاج إلى محلدات.

وإذا كان هذا الكتاب الذى يأتى صدوره، عقب أحداث الغزو العراقى الأثم للكويت الدولة العربية العضو فى جامعة الدول العربية، والأمم المتحدة- هذه الظاهرة الاجرامية التى يرجع الفضل إلى استحداثها إلى فتوة الخليج صدام التكويتى- وتحت مظلة هذه الأحداث المؤسفة للغاية وتطوراتها السريعة التى لا تسمح حتى بنسمة أمل تتسرب إلى أنفسنا، ووسط ظلام دامس خيم على المنطقة.. ليلقى بعض الضوء على هذه الشخصية الإجراميه. فإننا ولا شك مدينون بالفضل كل الفضل للكثيرين من الكتاب الذين سبقونا فى هذا المجال. فنحن باعتبارنا أحد الكتّاب الذين ينتمون إلى جيل الستينات القادر على أن يستشف الحقائق من غياهب الأكاذيب، ويصل إلى الحقيقة، بكل الطرق والأساليب بعيداً عن «الغايه تبرر الوسيلة» مهما كلفة ذلك من ثمن، حتى لوكان ذلك حياته. لتصبح ملكا للجميع، ونتخذ من الموضوعية البعيدة عن العواطف الجياشة التى غالبا ما تقود بشرود خطر إلى المبالغة..

والواقع أنها فرصة طيبة، أن نتوجه بداية بالشكر والتقدير لجميع الهيئات العلمية والدبلوماسية، سواء فى وزارة الخارجية المصرية، ذلك الجهاز الدبلوماسى العظيم الذى يدعو إلى الفخر. أو لمراكز المعلومات فى المؤسسات الصحفية قومية أو حزبية. ونخص بالتحية والشكر منهم زملاؤنا وأساتذتنا فى مؤسسة أخبار اليوم- المدرسة الصحفية الرائعة- وعلى رأسهم استاذنا الكاتب الصحفى الكبين جلال دويدار الذى وضع ومنحنا كل التسهيلات الممكنة لخدمة موضوع مؤلفنا، وكذلك صديقنا العزيز الاستاذ عثمان لطفى سكرتير عام الأخبار.

وإذا كان لنا أن نضيف إلى قائمة رجالات أخبار اليوم الأوفياء. فإننا نذكر على سبيل المثال لا الحصر زملاء وأساتذة وأصدقاء لهم الفضل الكبير فى رعايتنا وهم الأساتذة: الدكتور رفعت كمال سكرتير عام أخبار اليوم، والاستاذ جلال السيد رئيس القسم البرلمانى، وصديقى الاستاذ محمد شاكر مدير مكتب الأخبار بالإسكندرية الذى بذل جهداً محموداً ومساهمة إيجابية فى هذا الكتاب.

وللأمانة العلمية، فإننا مدينون لأصدقائنا من السفراء والدبلوماسيين سواء العرب أو الأجانب.. ونخص بالذكر منهم بعض أعضاء البعثة الدبلوماسية العراقية الذين أبدوا إستياءهم الشديد الغير معلن من الأحداث الأخيرة، ومعارضتهم لسياسة الدكتاتور العراقى، ووزير خارجيته الكذاب على الطريقة الأشورية النواسية (نسبة إلى أبو

نواس). ولولا خوفهم الشديد وحرصهم على حياة أسرهم- كما يقولون- لقدموا استقالاتهم وطلبوا حق اللجوء السياسى حفاظاً على كرامتهم، وكرامة بلادهم.

وقبل ذلك كله، فإننى أود إعترافاً منا بكل الفضل والجميل والتقدير أن نقدم خالص تقديرنا وعظيم إمتناننا إلى شخصية رفيعة المستوى، ولها تقدير خاص فى نفسى.. هو الصديق الحميم والآخ العزيز الأستاذ طلعت السادات، الذى كان له الفضل الكبير فى تهيئة الجو النفسى الذى إستظلينا به، فترة إعداد هذا العمل المتواضع- بما تعنيه من أبعاد، ليخرج هذا الكتاب إلى النور ليصبح بين يدى القارئ.

ولايسعنا إلا أن نقدم أيضا كل الحب والتقدير والإعتزاز لصديق هو نعم الصديق، وشخصيه مرهفة الحس، ورقيقة المشاعر، أسهم مساهمة ضخمة فى تحسيد هذا العمل، هو صديقنا المستشار جمال عبد الحليم أحد رجالات القانون فى مصر رئيس محكمة الجنايات وأمن الدولة.

وإذا كان والدى هو سبب خروجى إلى الحياة، فإن أستاذى هو الذى علمنى كيف أشق طريقى فى الحياة.. ومن هنا كان ما نحملة من تقدير وحب لأساتذتى الذين تعلمت منهم الكثير وهم أستاذنا الدكتور كامل السوافيرى، وأستاذنا الدكتور على شلش، وصديقى المخلص الناقد الكبير الدكتور يسرى العزب، والاستاذ عبدالوهاب داود والشاعر طايل علام. وصديق أعتز بصداقته كثيراً هو الاستاذ الدكتور عبدالبديع

عبدالله.

وبكل مشاعر الحب والتقدير، نسجل فى النهاية شكرنا العميق لزميلنا وصديقنا العزيز الفنان الصحفى الكبير مصطفى حسين، وزميلنا الكاتب الصحفى الكبير صالح أبراهيم، وأصدقاؤنا وزملاؤنا الدكتور عبدالعزيز شرف وفتحى العشرى وزملاؤنا فى مركز الأهرام للمعلومات وقسم الدراسات السياسية. وكذلك للصديق الأستاذ سامى فريد نائب رئيس تحرير الأهرام.. والأخوة فى دار سينا للنشر وخاصة الأخ الأستاذ أسامة مصطفى الذى بذل جهداً كبيراً.. وللصديق العزيز الأستاذ طه عبدالرؤوف رئيس قسم التصحيح فى مؤسسه روز اليوسف وأحد الجنود المجهولين الذين يقفون خلف كواليس مسرح صناعة الصحافة والكتاب فى مصر. والأخ الصديق المهندس فتحى عبدالعزيز رجل الأعمال المعروف.

وأخيراً وليس آخرا، فإننى أسجل كل التقدير لأستاذنا الكاتب الكبير مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين على مواقفة الوطنية الرائعة، وصديقى الكاتب والاديب الكبير ثروت أباظة رئيس اتحاد كتاب مصر وزميلنا وصديقنا الكاتب والناقد الكبير رجاء النقاش والاستاذه القديرة والوجه المشرف سكينة السادات ولكل الذين ساهموا فى هذا الكتاب سواء بالنصح أو المعلومات، ولم تسعفنى الذاكرة ذكر اسمائهم... آملا أن يلتمسوا لنا العذر..

ولكن عذرنا الأكبر، فهو ذلك الذى نلتمسة من القارئ العربى والأجنبى بوجة عام والقارئ المصرى على وجه الخصوص، إذا كنت قد أطلت عليهم، ونتركهم مع صفحات هذا الكتاب الذى يمثل مساهمة متواضعة، راجيا أن يصادف قبولهم، كما أرجو أن يكون حافزا للقيام بأعمال مماثلة من جانب زملائى وأساتذتى من الكتاب والصحفيين ورجال الاعلام،

القاهرة فى ١٩٩٠/٨/٢٥م المؤلف

الفصل الأول

مقدمة وتمهيد

قد يقال أن التاريخ جملة وقائع ماضيه. والواقعة كما يقول أصحاب المذهب التجريبى.. أنها المادة الأولية المتمايزة. ومن ثم فهى موضوعية. غير أن الواقعة، فى ذاتها، لاتعنى شيئا.

إذن هو نص بلامعنى، ومع ذلك فلكل واقعة معنى، وهى تأتى بلاشك من الإنسان ليس إلا، باعتباره الكائن الوحيد الذى يدرك الوقائع، وهى كثيرة بلا حدود.

وإنتقاء الوقائع مسألة لا مفر منها. وهكذا يمكننا القول بأن التاريخ هو جملة وقائع منتقاة من قبل المؤرخ. الذى من المفترض أنه ليس فى عزلة عن المجتمع الذي يحيا فيه. ومن حيث هو إنسان فهو «كائن إجتماعى» على حد تعريف أرسطو المأثور. ومن هنا فإن المؤكد أن الموضوعية! ممكنة، فهى تفيد التطابق التام بين الذات المدركة ومن الموضوع المدرك.

إذن فالموضوعية ينبغى أن تكون متحركة بالضرورة. أى أن تحرك الموضوعية من تحرك الوسط، وكما هو معروف من انواع الحركة لولبية أو دائرية.

وقد تبدو الحركتان بفضل خداع البصر، أنهما حركتان، وحقيقة الأمر أنهما حركة واحدة، فالرجعة إلى الوراء قليلا إنما هى من أجل التقدم إلى الأمام. وقد يصاب المؤرخ بهذا الخداع- خداع البصر- فيلتفت إلى الحركة الورائية، ويتحوصل حولها فيكون مؤرخاً «رجعيا». وقد لا يصاب فيلتفت إلى الحركة الورائية باعتبار أنها مقدمة وإرهاص لقفزة جديدة إلى الأمام، وبذلك يكون المؤرخ «تقدميا».

ونعتقد أن ما يحدد إتجاه هذا الإلتفات هو الطبقة العاملة التى ينتمى اليها المؤرخ أو يريد أن ينتمى. والطبقة الإجتماعية قد تكون صاعدة أو هابطة. فالذى ينتمى إلى طبقة إجتماعية صاعدة فانه يتحرك «مع» التاريخ، والذى ينتمى إلى طبقة هابطة فإنه يتحرك «ضد» التاريخ.

والواقع أن الحركة «مع» أو «ضد» تفيد أن لها إتجاها. ولاشك أن الصراع بين الطبقات الإجتماعية هو الذى يحدد إتجاه هذه الحركة. والصراع يكشف لنا ظلما واقعاً على طبقة ما. ودائما فإن شعار الطبقة المظلومة: أنا مظلوم إذن فأنا مجبر. وهذا يعنى أن الصراع يدور على الحرية. وبالتالى فإن الحرية هى المحرك للتاريخ. بل إن ذلك يبرهن لنا على أن المضمون واحد فى جميع النظم الإجتماعية إنه الحرية. أما الشكل فهو الذى يتغير، ولفظ «الشكل» كما نستخدمه هنا لا يشير إلى التكتيك، وإنما يشير إلى الأيديولوجيات، ومن ثم فإن تعدد الأشكال يفيد تعدد الأيديولوجيات.

والشكل متغير بالضرورة، لأن عدم التغير ثبات والثبات تحجر، والتحجر إنغلاق، والإنغلاق ينفى الحرية، لأنها تفتح وإنطلاق. ولهذا فإن الذى يقف ضد الحرية إنما يقف مع الشكل عندما يتحجر. وهذا هو الطاغية.

فماذا فعل طاغية العراق صدام حسين؟

لقد حافظ على تحجر «الشكل».. الذى تحول بفضله إلى «مطلق». فالقومية فى رأى حزب البعث العراقى الذى يتزعمة الدكتاتور العراقى «صدام» ووضع الكثير من أفكارة اليهودى «ميشيل عفلق»، قومية مطلقة، بمعنى أنها قومية تتجاوز الإطار الزمانى والمكانى، وإنها تتجاوز أية عقيدة على غير نمطها. وقد كان صدام التكريتى- ومازال- يقول: «إما أن تكون بعثيا عراقيا وإما أن تكون مسلما.

وقد مهد ميشيل عفلق فيلسوف الحزب وأحد كبار مؤسسيه لهذه العقيدة البعثية، فهو يذهب إلى أن الحزب هو تجسيد لله،، وأن وجوده دليل «سير الله على الأرض»، فيجب إحترامها كما يحترم إله أرضى. والذعيم الذى هو صدام حسين هو تجسيد لهذا الحزب: إنه العقل الذى صار واعياً، وانه الإرادة الكلية، وقد صارت إرادة شخصية هذا الذعيم الدموى إذن مطلقة، وحكمة الله تؤيده وبذلك تنتمى فلسفة حزب البعث المتطابقة إلى حد كبير فى هذا الصدد مع فلسفة هيجل «مع بعض الفارق طبعاً»- إلى تبرير الإستبداد.

غير أن تبرير «الإستبداد» يلزم منه أن تكون الإرادة الألهية أو الكلية «عمياء». ومن هنا فإن الإرادة العمياء، عند حزب البعث وفيلسوفه ميشيل

عفلق ينبغى أن تكون إرادة حزب كما هى أيضا عند «شوبنهور».

وقد تبنى حزب البعث هذه الأيدلوجية والظروف الإجتماعية مواتية الإقتصاد العراقى فى أزمة، وطبقة العمال تحاول أن تطفو على السطح. فينادى الحزب بالأشتراكية، ولكن من أجل إنقاذ الرأسمالية، ثم هو يحتضن الرأسمالية من أجل تقديمها ذبيحة للدولة والحزب.. الئ تتجسد فى صدام شخصيا. ومن هنا يتوقف الشكل عن التطور. ومن ثم إنفصال عن المضمون، أى عن الحرية.

قد لا يكون من حقى فى هذا الكتاب أن اكتب تاريخا لحزب البعث العراقى، إذ تتطلب الأوضاع التى نشأ فيها وإختفى. والطرق التى إتبعتها فى معالجة المشاكل التى واجهتها، لوحة اكبر من تلك التى وضعتها أمامى، وفرشاة أقوى من فرشاتى التى أصور بها. يضاف إلى هذا أننى لا أرى بعد أن الوقت قد حان للقيام بهذه المحاولة، وإن كانت السنوات الماضية منذ تولى هذا الحزب السلطة فى العراق عام ١٩٦٨، قدر حفلت بكثير من الأحداث والممارسات الخطيرة التى القت الأضواء التى نحتاجها على بعض الأوضاع والمراحل المعينة. فمازال الموضوع فى حاجة إلى قد رضخم من الأبحاث والدراسات الجادة العميقة قبل التمكن من وضع تاريخ لحزب البعث العراقى فى مراحل التطبيق. يسد متطلبات الدراسة العلمية.

ولكن ثمة حقائق معينة نرى ضرورة عرضها، كما أننى أود أن أعرض بعض النقاط التى لاحت فى خاطرى أثناء فترة وجودى فى بغداد طيلة ثمانى سنوات وملاحظاتى الشخصية، والتى أود أيضا أن أعرض بعضا منها، لأنها تبدو لى مروعة فى حد ذاتها. وتحقيقا لهذا الهدف جمعت

النتف التى سأوردها فى الفصول القادمة، أملا، بأن توضح هذه النتف الخطوط العريضة للموضوع كله.

وقد لا يوافق كل قارئ، وحتى من القراء البعثيين على الأهمية التى أوليتها فى هذه النتف لصدام حسين والبعثية. ولذا فإننى اعترف على الفور بوجود تحيز شخصى عندى فى هذا الصدد. فالشئ الذى يستهوينى فى سياسة الرئيس العراقى صدام حسين على طريقة الشاكوماكو، والذى يضمن لها حقا خاصا. العناية والإهتمام. ويؤمن لها مكانة خاصة بها من الناحية المعنوية والفكرية هو ما فيها من علاقة واضحة وقريبة بالأساس العقيدى. وفى وسع المرء أن يرى أن البعثية أفكاراً تنفذ أو لا تنفذ من ناحية الميدا على الأقل، وتتحول إلى إستشفاف صادق أو كاذب للحتمية التاريخية..

لقد كانت العقيدة البعثية فى بعض جذورها القديمة إلى حدما. مجرد أحلام منها الطيب ومنها السئ، بل مجرد تفاهات عاجزة لاصلة لها مع الواقع الإجتماعى، وذلك لأنها كانت مفتقرة إلى وسائل الإقتناع التى خلقتها العملية الإجتماعية أثناء عملها وتخطيطها للوصول إلى السلطة لتحقيق الأهداف البعثية. ولم يكن المجهود البعثى اكثر من مجرد تيشير فى الصحراء القفر، التى لا ناس فيها، وذلك لأنه لم يقم أى اتصال بمنبع قائم أو متوقع من منابع السلطان الإجتماعى، ولذا كان أقرب إلى التبشير على الطريقة الأفلاطونية الذى لا يزعج أى من الساسة نفسه به، والذى لا يجد أى مراقب للعملية الإجتماعية نفسه مضطرا إلى إدراجه مع العوامل التنفيذية الفعالة.

هذه هى خلاصة ماوجهة الدكتاتور العراقى صدام حسين من نقد إلى

جميع من سبقه من البعثيين أو من عاصروه من المبشرين بالبعثية بطريقة منافسة لطريقته. ولعلها هى السبب فى تلقيبه إياهم بالرجعيين. ولم يكن الدافع هو كون الكثير من هذه المخططات زائفا أو دون المستوى من الناحية الإدراكية، بل لأنها لم تكن منفذة إلى حد ما، بل وغير قابلة للتنفيذ. ونرى أن نكتفى ببعض الأمثلة لإيضاح هذه النقطة، بدلا من إجراء دراسة مطولة من المؤلفات. ولا ريب عندنا فى أن هذه الأمثلة كافية لإظهار مدى الخطأ الذى وقع فيه صدام حسين.

فلقد كانت أفكار ميشيل عفلق بنى البعث العراقى عن مجتمع التكافؤ ذى الأخلاق السامية، الإقتصاد القوى المناقض تمام المناقضة لمجتمع العراق فى عهد عبد الاله ونورى السعيد، وقد لا يكون هذا الهدف المثالى أكبر من الشكل الأدبى للنقد الإجتماعى، ومن المحتمل الأ تقبل به، كعرض لفكرة «منيف الرزاز»- أحد مفكرى البعث العراقى والذى أقصاهم صدام حسين- عن أهداف التخطيط الإجتماعى العملى.

وإذا ما فهم على أى حال على الصعيد الأخير، وهو ما فهم به فعلا، فإن المشكلة انذاك لاتقوم فى عدم صلاحه للتطبيق، لكنه من نواح عدة أقل تعذراً على التطبيق من بعض صور بعثية هذه الأيام. فهو يواجه مثلا مشكلة السلطة ويقبل بصراحة الإجتمال الذى كثيرا ما صاحبه التمجيد لبنقلب إلى فضيلة، فى قيام مستوى حياتى متواضع. ولعل المشكلة الحقيقية، هى فى أن ليس ثمة محاولات لإظهار الطريقة التى يمكن للمجتمع أن يتطور فيها الى وضع الدولة المثالية، باستثناء حالة التحول الإقناعى، أو فى التساؤل عن العوامل الفعلية التى يمكن إستخدامها فى الوصول إلى هذا

الوضع. وقد نحب هذا الهدف المثالى أو نكرهه، ولكن ليس فى وسعنا أن نفعل الكثير بالنسبة الية. وإذا ما شئنا الإفصاح بدلا من التلميح، قلنا أن ليس فيه من الأسس ما يمكن حزبا من القيام، أو مايزود هذا الحزب ببرنامج إذا ما قام فعلا.

وهناك طراز آخر يتمثل فى بعثية «منيف الرزاز»، الذى لم يكتف بتبنى فكرة قيام المجتمعات الصغيرة الذاتية الإكتفاء، تنتج وسائل العيش طبقا للمبادئ البعثية فى أوسع ما فى هذا التعبير من معان وإستهلاكها، ولكنه مضى ألى ابعد من ذلك فحاول تطبيق الفكرة عمليا. ولقد حاول أولا الإستعانه بالعمل الحكومى، ولكنه ما لبث أن حاول إقامة نموذج تطبيقى لفكرته. ومن هنا قد تبدو خطته اكثر عملية، إذا لم تكن هناك مجرد فكرة، بل طريق أو جسر لتحقيقها، لكن هذا الجسر، مهما كان طرازه لا يحقق إلا بصورة أدق. وذلك لأن العمل الحكومى والجهود الفردية يعرضان كشيئين قتناقضين، ولابد للعامل من أن يعمل، لأن أحد الناس يؤمن بضرورته، ولم يشر منيف الرزاز إلى أيه قوة إجتماعية تعمل لتحقيق هذا الهدف، كما أنه لم يؤمن تربة صالحة لزراعة النشئ.

وينطبق هذا أيضا على تناقضات «صلاح البيطار» باستثناء وشئ واحد، وهو أن الأخطاء الإقتصادية المحدودة عنده اكثر وضوحاً منها عند غيرة من البعثيين التقليديين الداعين إلى الفوضوية، الذين كانوا يرددون النقاش الإقتصادى والذين كانوا يزدرون النقاش الإقتصادى، والذين سواء اكدو امبدأ التعاون الحر والفوضوى بين الأفراد أو أيدوا مهمة التخريب التى يجب تحقيقها لخلق هذا التعاون، كانوا يتجنبون أخطاء المناقشة المنطقية عن طريق

تجنب المناقشة المنطقية نفسها. وهم كغيرهم من الشعراء المهووسين وعشاق الخيال. كانوا عاجزين دستوريا عن عمل أى شئ سوى إحداث الإضطراب، وإضافة الفوضى إلى أوضاع الحماس الثورى. وليس من العسير علينا أن نشاطر صدام التكريتى إزدراءه الذى يصل أحيانا إلى حدود اليأس من أعمال منيف الرزار والبيطار.

والواقع أننى لم أذكر هذه الحالات المرضية إلا لنوضح أن مثل هذا البعث لعقلية القرون الوسطى يجب ألا يختلط بالنوع البعثى الحديث كحزب يستخدم الحاكم الأوتوقراطى لخدمة مصلحته وتحقيق طموحاته، والتى تعرضها كتابات الدكتاتور العراقى صدام حسين، فى أحسن الأحوال.

وإذا ما قلنا بوجهة المظر، فإن العاصفة الكبرى التى وضعت نهاية لما فى البعثية من اللانضوج يجب أن ترتبط باسم صدام حسين ومؤلفاته. وعلينا أن نؤرخ هذه العاصفة إن جاز لنا التاريخ فى مثل هذه القضايا بتوليه السلطه عام ١٩٧٩، إذ فى هذه الحقبة بالذات وضعت الأسس العقائديه والسياسية على قواعد جديدة. ولكن هذا الإنجاز لم يلخص التطورات التى مرت بها العقيدة عبر سنوات من اللانضوج فحسب، بل وصاغ هذه التطورات بطريقة خاصة، كانت من الناحية العملية لا من الناحية المنطقية، الطريقة الوحيدة الممكنة، وعلى ضوء هذا يجب إعادة النظر فى الأحكام التى أصدرها حزب البعث المتزمت على رجالات مرحلة اللانضوج.

فإذا كانت المخططات البعثية فى هذه السنوات الماضية احلاما، فإن معظم هذه الأحلام من النوع المعقول. ولم يكن ما نجح المفكرون الأفراد إلى حدما فى إستعقاله، أحلامهم الفردية فحسب، بل أحلام الطبقات غير

الحاكمة أيضا.

وهكذا لم يكن هؤلاء المفكرون يعيشون مع خيالاتهم وراء السحب، بل ساعدوا على إبرازها كان خامدا تحت السطح، وإن كانوا على إستعداد للإستيقاظ والوثوب. وهكذا فإن البعثيين الفوضويين أيضا عادوا بأفكارهم إلى أسلافهم من أبناء القرون الوسطى. الكثير من قوة الإسناد التى تعتمد عليها البعثية تنبثق حتى يومنا هذا، من ذلك الحنين اللامعقول للروح الجائعة لا المعدة الخاوية.

ولقد انتج المفكرون البعثيون أيضا عدداً من قطع الطوب والأدوات اللازمة للبناء، وقد أثبتت نفعها فيما بعد، وبفضلهم فقط تمكن صدام حسين من بحث هف الأفكار على إعتبار أنها شئ مألوف ومعروف عند كل إنسان، ولكن كثيرين من هؤلاء الفوضويين مضوا إلى أبعد من ذلك بكثير. فلقد درسوا تفاصيل المخطط البعثى وأعدوا أو أعدوا أشكالا معينة منها، واضعين بذلك المشاكل فى صيغها، مهما إفتقرت هذه الصيغ الى الدقة وممهدين الطريق لمن يأتى بعدهم.

ولا يمكننا أيضا تجاهل ما أسهموا بة فى التحليل الإقتصادى المجرد، وكان شطر كبير من كتاباتهم، مؤلفات عملية مجردة، أدخلت تحسينات على الأفكار الراهنة.

لم يكن جميع هؤلاء الذين يصفهم صدام حسين بالرجعيين مقطوعى الصلة تماما بالحركات الجماهيرية. فقد نشأ بعض الاتصال حتما من الحقيقة الواقعة وهى أن الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية التى دفعت أقلام هؤلاء

المفكرين إلى العمل، سترفع أيضا إلى العمل بعض الفئات أو طبقة من الناس، كطبقة الفلاحين أو أرباب الحرف اليدوية أو العمال الزراعيين أو حتى الأفاقين الدهماء، ولكن هؤلاء الفوضويون كما يصفهم الرجل المريض صدام التكرينى تمكنوا من إقامة أتصال أوثق.

ولقد تولى المثقفون- وهم قليلون فى العراق، فى ذلك الوقت على الأقل- صياغة مطالب الشعب إبان حكم الملكية، وزاد التعاون والتنسيق وثوقا. وقد كان فيها بعد «الشواف»، الذين أطلقوا عليه الروح القيادية للحركة البعثية الصافية الوحيدة ضمن إطار الثورة ضد حكم عبدالكريم قاسم، واعتبرته حكومته فى منزلة كبيرة من الخطورة والأهمية دفعها إلى إعدامه.

ومازالت هناك نقطة مهمة للغاية آمل ألا تكون حجر عثرة. فلقد سبق لنا أن قلنا أن العقيدة التى تقر بوجود إتجاه نحو الإشتراكية والإتصال الدائم بمصدر قائم أو محتمل من مصادر السلطان الإجتماعى، وهما الشرطان الأساسيان للبعثية كعامل سياسى جدى كانا قد تركزا فى بداية الستينات بطريقة لم تكن من الناحية المنطقية هى الطريقة الممكنة الوحيدة. ولاريب فى أن ميشيل عفلق وصدام حسين قد أهانا عقيدتهما أشد الإهانة عن طريق قولهم بأن الطبقة العاملة، هى الطبقة الوحيدة التى يجب أن ترتبط بهذا الإتجاه. وأنها تبعا لذلك. المصدر الوحيد للسلطان فى المجتمع البعثى. ولقد عنت البعثية لهم قبل كل شئ التحرر من الإستغلال فأن تحرير العمال يجب أن يكون عمل الطبقة العاملة.

ولقد بات من السهل علينا الآن أن نفهم، لماذا إستهوت فكرة إنتصار مصلحة الطبقة العاملة صدام حسين كفرضية عملية اكثر من أية فكرة

أخرى، ولماذا صاغ عقيدته على هذا الأساس. ولكن هذه الفكرة اصبحت عميقة الجذور إلى حد كبير، عند كثيرين من ذوى الإتجاهات اللابعثية، بحيث تطمس عندهم بعض الحقائق التى يجدون صعوبة فى تعليلها، كالحقيقة الواقعة وهى أن الحركة العمالية على الرغم من تحالفها على الغالب فى العراق مع البعثية، ظلت دائما منفصلة عنها، حتى يومنا هذا إذا وضعنا فى الاعتبار عمليات الإرهاب والتخويف والطرق البوليسية من جانب الحزب.

ومهما كانت الطريقة التى نتبعها فى تفسير هذه الحقائق، فيجب أن يكون من الواضح أن الحركة العمالية فى العراق ليست بعثية كحتمية، كما أن البعثية ليست من الناحية الحتمية عمالية. وعلينا ألا ندهش من هذا، فلقد سبق أن رأينا أنه على الرغم من أن العملية الرأسمالية تؤدى إلى تحول الحياة الإقتصادية الى الإشتراكية ببطء. فإن هذا أو غيره يجب أن يعنى تحولا فى الجهاز البعثى كله الذى يعتبر الإشتراكية أحد أهدافة. إذا أن جميع أجزائة تتأثر بصورة متكافئة، ويرتفع الدخل الحقيقى والوزن الإجتماعى للطبقة العاملة فى هذه العملية. ويصبح المجتمع عاجزاً يوما بعد يوم عن معالجة المتاعب العمالية.

ولكن هذه الصورة بديل سئ جدا عن الصورة التى رسمها صدام حسين للعمالة والتى أظهرها فيها متعرضة لحوافز مستمرة تدفعها إلى الثورة نتائج آلام لانطاق، آخذة فى الزيادة لا فى النقصان. وإذا ما تجاهلنا هذه الصورة وأدركنا أن كل ما يتعرض للزيادة هو نصيب العمال من النظام الرأسمالى، فإن تفكيره بالنداء الموجه إلى الطبقة العاملة بتأثير ما فى

عملية التطور من منطق سيضعف.

ولعل ما هو أضعف حجة وقدرة على الإقناع هو الدور الذى تحددة البعثية لطليعة الطبقة العاملة إبان كارثة المسرحية الإجتماعية. ولو كان التحول متدرجاً لماظل هناك الكثير أمام هذه الطليعة ستحمل حملا على الرضى والقبول، وسيؤلف المثقفون رأس الرمح، تساعدهم الدهماء التى لا مناعة لديها ضد الحوافز الإجرامية. ولاشك فى أن آراء صدام حسين فى هذا الصدد ليست إلا فكرة مذهبية، لا تقل فى فوضويتها عن آراء الفوضويين.

ومع الرغم من صحة القول بأن صدام على النقيض مع جميع من سبقوه، حاول أن يستعقل حركة قائمة لا حلما، وعلى الرغم من أنه وأنصاره قد حققوا سيطرة جزئية وفعلية على تلك الحركة. فإن الفرق أقل مما يود البعثيون هنا أن نؤمن به.

ولقد سبق لنا أن رأينا وجود كثير من الواقعية فى أفكار منيف الرزاز وصلاح البيطار وغيرهم، والكثير من الأحلام اللاواقعية فى أفكار صدام حسين ولعل هذا اكثر بكثير مما يعترف به هؤلاء أو أنصار ذاك.

وفى وسعنا أن ننظر على ضوء هذه الحقيقة نظرة أفضل إلى بعثيو مرحلة اللاتصوج المعاصرة، وذلك لأنهم لم يؤكدوا الناحية العمالية بصورة شاملة. وهكذا يبدو لنا أن إستهواءهم للحكومات أو للطبقات العمالية أقل خيالا واكثر واقعية مما بدا للدكتاتور العراقى صدام حسين.



الفصل الثانى

الديمقراطية على طريقة البعث

لاشئ أكثر خداعاً للنظر من الوضوح، وقد علمتنا أحداث الأول من أغسطس الماضى، أن نرى المشكلة القابعة وراء عنوان هذا الكتاب.

ولقد كانت العلاقة بين البعثية والقومية والديمقراطية واضحة كل الوضوح- على الأقل بالنسبة لهؤلاء الذين يجلسون أمام المسرح السياسى العراقى فى موقع المتفرج- حتى قبل أيام قليلة من الغزو العراقى للكويت، أو المرحلة التالية من مراحل قادسية الدكتاتور العراقى صدام حسين. ولم يكن ليدور فى خلد أى إنسان أن يناقش حق البعثيين فى الإنتماء القومى للأمة العربية أو إلى المجموعة الديمقراطيون حقاً. وأنهم دعاة المادة الأصيلة دون سواهم، وأن ليس من حق أحد أن يخلط بين مايدعون اليه، وبين ما تدعيه البورجوازية من زيف ديمقراطى.

ولم يكن من الطبيعى بالنسبة اليهم أن يحاولوا تعزيز قيم عقيدتهم

البعثية بقيم القومية أو الديمقراطية فحسب، بل كانت لديهم حقا، أفكاراً- يدعون اليها- أقامت الدليل على النحو الذى يرضيهم، بأن البعثية والديمقراطية شيئان ممتزجان لايمكن فصلهما، ومضمون هذه الإفكار، أن السيطرة الخاصة على وسائل الإنتاج هى الدعامة الأساسية لقدرة الطبقة الرأسمالية على إستغلال الطبقة العاملة، ولتمكينها من فرض مصالحها الطبقية على الجهات التى تتولى إدارة الشئون السياسية للمجتمع.

وهكذا يبدو السلطان السياسى للطبقة الرأسمالية شكل معيباً من أشكال سلطانها الإقتصادى، وكانت النتائج التى توصلت اليها هذه الأفكار هى أن الديمقراطية من الناحية الأولى لا يمكن أن توجد مع وجود السلطان الإقتصادى للرأسمالية، وأن الديمقراطية السياسية المجردة ليست إلا خدعة وأكذوبة، وأن إزالة هذا السلطان تؤدى من الناحية الأخرى. وفى الوقت نفسه إلى إنهاء «استغلال الإنسان للإنسان» وإلى تحقيق «حكم الشعب» المتمثل فى حزب البعث العراقى.

وليست ثمة من شك فى أن هذه الأفكار تعتمد فى جماعها على المنطق الماركسى، وذلك لأنها تنبثق منطقيا، بل ومن ناحية تكرار المعانى أيضاً، من التعاريف الموضوعية للإصطلاحات فى الخطة الماركسية. ومن هنا كان لابد وأن تشترك مع المنطق الماركسى فى المصير، ومع عقيدة «إستغلال الإنسان للإنسان». أما ما نراه فى تحليل أكثر واقعا للعلاقة بين البعثيين وبين العقيدة الديمقراطية. فسنتولى بعد قليل بيانه بإسهاب، لكننا فى حاجة إلى أكثر من هذا- إننا فى حاجة إلى نظرية أكثرواقعية للعلاقة التى تقوم بعيداً عن الرغبات والشعارات، بين النظام البعثى على النحو المعروف، وبين

الحكم الديمقراطى على النحو الذى يمارس عمله فيه. وعلينا لكى نحل هذه المشكلة أن نبحث أولا فى طبيعة الديمقراطية نفسها، كما أن هناك نقطة أخرى تتطلب منا إيضاحاً فوريا.

قد تكون البعثية فى وجودها، الهدف الحقيقى للقومية. ولكن البعثيون أنفسهم لايبدون اهتماما بالغاً وخاصاً بالطريقة التى يتحقق فيها هذا الوجود. فهناك تعبيرا «الثورة» و «الديكتاتورية» اللذات يمثلان أمام أعيننا دائما كلما قرانا إنجيل «ميشيل عفلق» المقدس. وهناك أيضاً عدداً كبيرا من البعثيين المعاصرين الذين لا يتواتون عن القول دائما. وفى كل حين، أنهم لايعارضون فى إقتحام الأبواب للوصول إلى فردوس «الوحدة والحرية والإشتراكية» عن طريق العنف والإرهاب،الذين لابد وأن يشد أزر الوسائل الديمقراطية فى التحول إلى مجتمع بعثى علمانى. وليس ثمة من شك فى أن الموقف الذى إتخذه ميشيل عفلق فى هذا الصدد. قادر على الإيحاء بتفسير يجعله مبرءاً ومنزهاً فى أعين الديمقراطيين. وآرائة عن الثورة، والتى يصعب التوفيق بينها وبين النطور. فالثورة لاتعنى بحكم الضرورة محاولة الأقلية فرض إرادتها على شعب متردد بالقوة، بل قد لا تعنى أكثر من إزالة العوائق التى تعترض إرادة الشعب والتى فرضتها أنظمة بالية تسيطر عليها جماعات لها مصلحتها فى الحفاظ عليها، ويمكن لتعبير «ديكتاتورية البروليتاريا» أن يحمل نفسه هذا التعبير أيضا. وفى وسعنا- تعزيزا لهذا الرأى- أن نستشهد من جديد بالإشارة إلى بعض العبارات التى وردت فى أحد بيانات حزب البعث العراقى حيث يتحدث صدام حسين عن إستخلاص الأمور من البورجوازية على درجات، وعن إختفاء الفروق الطبقية، أثناء عملية التطور، وهى عبارات تعنى إذا تجاهلنا

لفظ «القوة»، إجراء يدخل ضمن المعنى المفهوم عادة للديمقراطية.

لكن قواعد هذا التفسير وأسسه، التى تفزع من عبارات «الثورة الإجتماعية» و «الديكتاتورية» المشهورة. كل ما فيها من مزوقات تحريضية يقصد منها الهاب الخيال، ليست قطعية ولاباتة، إذ أن كثيرين من البعثيين الذين كانوا ،أو الذين يعلنون أنفسهم أتباعاً مخلصين لـ «ميشيل عفلق» لا يحملون هذا الرأى. وإذا ما أذ عنت لما فى أقوال هؤلاء الفريسيين الذين لابد وأن يعرفوا قانونهم أكثر منا، وإلى ما أحملة من إنطباعات نتيجة قرارات مجلدات الفكر البعثى الذى وضعها ميشيل عفلق وخليفتة الديكتاتور صدام التكريتى، فإننى أجد نفسى مرغماً على قبول الإحتمال بأنه لوقدرٌ لهما أن يختارا لوضعا البعثية فوق مستوى الإجراءات الديمقراطية والسير عليها.

ولو فعل ميشيل عفلق أو- «ميشو» اليهودى، وهذا إسمى الحقيقى- ذلك، لأعلن ولاشك، كما أعلن من بعده صدام حسين، أنه لا ينحرف عن السبيل الديمقراطى الحق. إذ أن إعادة الديمقراطية الصحيحة إلى الحياة تتطلب إزالة الغازات السامة الخانقة التى تنشرها الرأسمالية لخنقها. أما بالنسبة إلى المؤمنين بالديمقراطية، فإن أهمية اتباع الإجراءات الديمقراطية تزداد بوضوح، زيادة طردية مع أهمية القضية التى يتناولها البحث. ومن هنا ليس ثمة من قضية تستحق متابعة اكثر دقة وعناية للإجراءات الديمقراطية، ولا اكثر ضمانات من قضية إعادة البناء الإجتماعى الجوهرية كل الجوهر. وكل من يتهاون فى هذا المتطلب ويقبل إما بعض الإجراءات اللاديمقراطية صراحة، وإما أسلوبا من الأساليب اللاديمقراطية التى تحافظ

على الديمقراطية بصورة شكلية، يكون- بشكل بات قاطع- قد قدر الأمور الأخرى اكثر من تقديره يقيم الديمقراطية. وسيعتبر الديمقراطى المخلص لمثله، عمليه إعادة البناء، باطلة من جذورها، مهما كان مؤيدا لها على أسس وإعتبارات أخرى. والطابع المميز للإيمان المناهض للديمقراطية، هو أن تحاول إرغام الناس على تقبل شئ تعتقد أنه خيرهم ولمصلحتهم وتحقيق امجادهم ولكنهم لا يريدونه، حتى ولو كنت واثقا كل الثقة من ميلهم اليه وحبهم له بعد أن يخبروه بأنفسهم. ومن حق صاحب الإفتاء وحدة أن يقرر ما إذا كان يصبح الإستثناء فى إتخاذ إجراءات لاديمقراطية. تستهدف تحقيق الديمقراطية الحقة. شريطة أن تكون هذه الإجراءات، هى السبيل الوحيد المؤدى إلى هذه الغاية. ولوسلمنا جدلا بهذا الرأى، فإنه ينطبق على حالة العقيدة البعثية.

ومن الواضح على أيه حال، أن أى قول من شأنه أن يضع الديمقراطية على الرف فى المراحل الإنتقالية. يتيح فرصة ممتازة لكل راغب فى تجنب الديمقراطية ومسئولياتها، إذ أن هذه الفترات المرحلية قد تستغرق قرناً أو أكثر، لا سيما وأن الوسائل تكون متوافرة لدى كل منشة حاكمة بعد أية نورة ناجحة لإطالتها إلى أجل غير مسمى، أو لتبنى صورة من الديمقراطية تكون خالية من كل جوهرأصيل.

وعندما نلقى نظرة لنفحص سجلات البعثيين تثور فى وجهنا حتماً، الشكوك فى صحة إدعاءاتهم يتبنون بصورة صحيحة العقيدة الديمقراطية.

فهذا أولا، دولة الوحدة والحرية والاشتراكية الكبرى من المحيط إلى الخليج التى يحكمها حزب واحد يمثل أقلية الشعب العربى، ولا يتيح أية فرصة لظهور أى حزب آخر، ويجتمع ممثلو الحزب فى مؤتمرهم، فيستمعون

إلى التقارير ويتخذون القرارات دون أن يكون هناك ما يشبه النقاش، وهم ينهون مؤتمرهم بالاقتراح كما تقول البيانات الرسمية على أن الشعب العرقى، ولاء منه غير مشروط لحزب ميشيل عفلق وصدام حسين، الزعيم العظيم، يقبل بذلك البرنامج الذى يتضمن الأعمال العظيمة التى تم وضعها فى تلك الوثيقة التى تعتبر أعظم ما عرفة العصر. والذى ضمنه الرفيق الدكتاتور صدام حسين فى تقريره قاطعاً العهد «بأن حزبنا النازى البلشفى فى ظل قيادة المهيب الركن صدام العظيم العبقرية فى التآمر ووضع خطط الإغتيالات، فى مرحلة جديدة من مراحل التطور. ولا شك فى أن هذه الإجراءات، والإنتخابات التى لا يكون فيها إلا مرشح واحد، والمحاكمات الصورية وأساليب البوليس السرى، تؤلف «اكثر اشكال الديمقراطية كما لا فى العالم»، إذا كان هذا هو المفهوم من تعبير الديمقراطية وإن كان الشعب المصرى صاحب حضارة السبعة الاف سنة لا يفهم منه شيئا.

ولكن هذه الدولة الجامعة تعتبر بعثية، وكذلك الدول المماثلة لها، والتى ظهرت لفترة قصيرة فى السودان واليمن.. ولكن هناك بلاريب، جماعات بعثية مازالت تحافظ حتى يومنا هذا على ما نعتبره فى هذه البلاد من المثل الديمقراطية العليا، وتضم هذه الجماعات البعثية الأودنيين والفلسطينيين والتونسيين وفى غيرها من الدول العربية الأخرى كاليمن مثلا. وقد يكون من المغرى من وجهة نظر هذه الأحزاب ووجهة نظر المراقبين اللامتحيزين أن ينكر على النظام العراقى أنه يمثل البعثية «الحقه»، وأن يقال فى هذه الصدد. أنه تحريف للبعثية، ولكن ترى: ما الذى تعنيه البعثية « »الحقة» سوى تلك البعثية التى إعتنقوها؟. وماذا تمثل هذه الأقوال سوى الاعتراف بأن هناك أشكال من البعثية لا تحظى بثقة البعثيين وولائهم

جميعاً وأن هذه الأشكال تتضمن طرزا لا ديمقراطية؟ وقد لا تنكر وجود أنظمة بعثية لا ديمقراطية. وذلك على الأساس المنطقى بأن العنصر المعروف للبعثية لا ينطوى على أية إجراءات سياسية. وإذا صح هذا الإفتراض فمن حقنا أن نتساءل: كيف يمكن للنظام البعثى ألا يكون ديمقراطياً، وإلى أى مدى يستطيع ذلك؟.

ولم تتح من الناحية الأخرى لهذه الجماعات البعثية التى دأبت على رفع شعار «الوحدة والحرية والإشتراكية» الفرصة أبداً ولا الحافز لدفع أى شعار آخر. ولقدعاشت فى الواقع أجواء كانت تنقم على أى حديث لا ديمقراطى أو ممارسة لا ديمقراطية. وكانت دائما وفى الواقع تقادم حتى النقابية. ولهذا كانت هذه الجماعات مدفوعة بحكم واقعها فى بعض الحالات لتبنى المبادئ الديمقراطية التى تحتمى بها والتى تقى نشاطها، وكان معظمها فى حالات أخرى مقتنعاً من النتائج السياسية وغيرها ومؤمنا بأن التدرج فى الطريق الديمقراطى يؤتى أكله دائما.

ومن السهل علينا أن نتصور ما كان سيحدث للأحزاب البعثية فى السودان أو الأردن مثلا. لو أنها أظهرت علائم خطيرة عن نزعات لا ديمقراطية، ولكنها كانت تشعر فى الوقت نفسه أن نموها يسير باضطراد، وأن وصولها إلى الحكم يسير فى طريقة اليها ببطء وتدرج. وعندما تصل إلى الحكم تطيب نفساً. ومن هنا كان ولاؤها للديمقراطية الشئ الطبيعى الذى كان لابد لها أن تلتزمة، أما أن سياستها لم تطلب، لـ «ميشيل عفلق» أو «صدام حسين»، فلا بقيما الدليل مطلقاً على أنهما لو كان فى مكانها، لسلكا سلوكا مغايراً لسلوكها. أما فى تونس، حيث نمو الحزب أفضل من

نموه. فى السودان أو الأردن، وإن كان طريقه إلى المسئولية السياسية موحداً، فإن البعثيين، وقد واجهوا دولة قوية ومعادية، وإضطروا إلى الركون فى حمايتهم إلى عواطف البورجوازيين وإلى قوة النقابات التى كانت فى أحسن حالاتها شبه بعثية- فإنهم أقل حرية فى الإنحراف عن العقيدة الديمقراطية، ولا سيما أن هذا الإنحراف كان سيغدو الورقة الرابحة فى ايدى أعدائهم. وهكذا وجدوا أن من الأفضل لهم أن يطلقوا على أنفسهم إسم البعثيين الديمقراطيين حيطة منهم وحذراً.

أما الحالات التى وضعت فى محك التجربة فى الناحية الثالثة، والتى ثبت نجاحها قليلة وغير مقنعة.. ومن الصحيح إلى حد ما أن الحزب البعثى فى سوريا وجد فى بداية الستينات، يواجه اختياراً شاقاً، فأما الوقوف إلى جانب الديمقراطية أو التخلى عنها، وكان الدليل على وقوفه إلى جانبها بتطلب منه القضاء على الشيوعيين بقسوة شديدة، لكن الخلاف دب فى صفوف الحزب حول هذه القضية، وانشق عنه عدد كبير للغاية من أعضاء جناحه إليساريين. ولا ريب فى أن المنشقين عنه كانوا أكثر حقا من الآخرين فى حمل وسام البعثية، وعلى الرغم من أن الكثيرين من الباقين تمسكوا بالإنضباط الحزبى، إلا أنهم أعلنوا مخالفتهم لهذه السياسة، وقد قبل الكثيرون من الباقين هذه السياسة على أساس أن فرض النجاح فى إتباع سياسات اكثر تطرفاً، أى فى سياسات مناهضة للديمقراطية، أصبحت ضئيله، وأن إتباع أية سياسة يسارية تعنى تهديداً جديداً، على المنطقه، وأخيراً عنت الديمقراطية للغالبية أو للعناصر النقابية على الأقل، كل شئ تريده، ويعنيها الوصول إلى الحكم. ولم يكن لديها شك فى إمكان إقتسام الغنائم مع أحزاب أخرى، وكانت صفقة مرضية للطرفين. وهكذا تحول

البعثيون فوراً إلى حاملين لشعارات الديمقراطية شكلا، لكن هذا لم يقع إلا عندما ظهرت معارضة لهم تربط نفسها بعقيدة مناهضاً للديمقراطية.

ولا أقصد هنا أن أنحى باللائمة على ما أظهره البعثيون الديمقراطيون السوريون من إحساس بالمسئولية، ولا على ما أبدوه من إستطابة للجلوس فى مقاعد الحكم المريحة، أما الظاهرة الأولى فشئ يقرظون عليه، وإن كانت الظاهرة الثانية من العيوب العامة التى يشترك فيها الناس، لكن التمثيل بهم كدليل على ولاء البعثيين المطلق للإجراءات الديمقراطية شئ يتطلب الكثير من الإغراق فى التفاؤل، ومع ذلك أستطيع أن أعثر على حالة أفضل للإختيار، إلا إذا إتفقنا بالطبع على قبول الحالتين العراقية والسودانية اللذين تمثل كل منهما مزيجا متناهيا فى الدقة، لإحتمال غزو السلطة وإستحالة هذا الغزو بالوسائل الديمقراطية. وتشرح الحالة السورية الصعوبة التى تواجهها، وتمثل أهميتها، بل وتزداد كثيرا على أهمية البلاد نفسها، من جراء المركز الإستثنائى الذى تحتله جماعة البعثيين. فلقد تمسك البعثيون السوريون بالديمقراطية، عند ما لم يكن الموقف، كما أصبح بعد قليل- موقف الدفاع عن النفس. ولكن فى الأشهر القليلة التى كان فيها إحتكار السلطان فى متناول أيديهم لم يكن موقف الكثيرين منهم واضحاً أو جلياً وهو الإستخفاف بالقواعد الإجرائية الديمقراطية. وكان هؤلاء من الأعضاء التظاميين فى الحزب، وعندما حكم البعث فى سوريا، أصبحت قضية الخيار، قضية ملحة، ولم يكن فى وسع أ ؟ى إنسان تابع تلك الفترة، إلا أن يدرك، أن إحساس الحزب لم يكن ليخرج كثيرا عن هذا القول.. «أننا لا نميل ميلا خاصاً إلى إحتمال اتجاها إلى العراق، ولكننا إذا إضطررنا إلى هذا الإتجاه، فيجب أن نتجة جميعاً».. وكان هذا التقييم لوضع البلاد العام،

وللخطر الذى يهدد الحزب، معقولا كل العقل، ويصدق هذا على الإستنتاج أيضا .لكن الولاء المتحمس للمبادئ الديمقراطية لم يكن واضحاً لا فى التقييم ولا فى الإستنتاج، وقد جاءهم الهدى فى النهاية، ولكنه لم يأت نتيجة التوبة والندم، وإنما جاء نتيجة الثورة المضادة ضد الوحدة بين مصر وسوريا.

وأرجو- الا يتصور- القارئ لحظة واحدة، أننى أتهم البعثيين بعدم الصدق، أو أننى أحط من شأنهم بتصويرهم بمظهر الديمقراطيين، السيئين والانتهازيين أو المخططين الذين لا ضمير لهم ولا أخلاق. فأنا أومن إيماناً مطلقا على الرغم من وجود بعض الميكيافيلية الصبيانية عند بعض أنبيائهم. بأن غالبيتهم الغالية، كانوا يتسمون بحسن النية. يضاف إلى هذا أننى لا أومن بعدم الصدق فى الصراع الاجتماعى وذلك لأن الناس يتحولون دائما إلى رؤية ما يريدون أن يروه، وما ينادون به باستمرار، ولا يمكن أن يكون البعثيون بالنسبة إلى الديمقراطية اكثر إنتهازا من غيرهم، وكل ما يفعلونه هو أنهم يتبنون الديمقراطية إذا كانت تخدم أهدافهم ومصالحهم، وعندما تخدمها، وحرصاً منا على ألا يصاب القارئ بصدمة عنيفة، وأن يتصور بأن هذه النظرة اللاأخلاقية ليست جديرة إلا بأكثر ممارسى السياسة فظاظة، فإننى سأقوم على الفور بتجربة عقليةتكون نقطة البداية عن طبيعة الديمقراطية.

لنفترض مجتمعاً، من الطراز الذى نعتبره ديمقراطياً، توصل إلى قرار باضطهاد المنشقين أو المتطرفين من الناحية الدينية عليه، وهذا الافتراض ليس خياليا أبداً، فلقد قامت المجتمعات الديمقراطية باحراق الهراطقة فعلا،

كما فعلت جمهورية جنيف فى عهد «كالفين». أو إضطهدتهم بطرق أخرى تأباها مقاييسنا الأخلاقية، كما حدث فى أحدى الولايات المتحدة الأمريكية فى عهد الإستعمار البريطانى. ولا تعتبر الحالات التى هى من هذا النوع ارجة على الموضوع إذا وقعت فى دول لا ديمقراطية. إذ من السخف الإعتقاد بأن الإجراءات الديمقراطية تتوقف تماما على العمل فى ظل الأوتوقراطية، أو أن الحاكم الأوتوقراطى المطلق لا يرغب أبداً فى أن يحقق رغبات شعبة أو أن يذعن لها. وإذا ما فعل الأوتوقراطى ذلك قلنا: إن مثل هذا الإجراء كان لابد وأن يقع لوكان الحكم ديمقراطياً، وأقول على سبيل المثال: أن إضطهاد المسيحيين الأوائل، كان بموافقة الشعب الرومانى، وما كان هذا الإضطهاد ليكون أقل عنفاً لو أن الحكم فى روما كان ديمقراطياصافيا.

ولنختر مثلا آخر، أقرب إلى أوضاعنا العصرية، وهو «اللاسامية»، فلقد كانت هذه الحركة عميقة الجذور فى جميع المواقف الجماهيرية فى معظم البلاد التى تضم نسبة كبيرة من اليهود. ولقد إضمحلت هذه المواقف فى العصور الحديثة تحت وطأة النفوذ المستقبل للتطور الرأسمالى. ولكنها ظلت باقية إلى الحد الذى يمكن كل سياسى ينادى باللاسامية من النجاح فى كسب العواطف الشعبية. وقد تعلمت معظم الحركات المنادئة للرسمالية هذا الدرس وأتقنته.

ولنعد الآن إلى تجربتنا، ولننقل أنفسنا إلى بلاد وهمية تمارس بطريقة ديمقراطية، إضطهاد الأقلية، وذبح اليهود، ولن نستطيع بالطبع الموافقة على هذه الإجراءات وإن إقرارها قد تم طبقا لقواعد الإجراءات الديمقراطية، ولكن السؤال المهم هو: هل نؤثر الدستور الديمقراطى الذى يؤدى إلى مثل هذه

الإجراءات على الدستور اللاديمقراطى الذى لا يقرها؟ فإذا كنا لا نؤثر هذا الدستور الديمقراطى فإننا نكون قد سلكنا عين السلوك الذى يسلكه البعثيون المتحمسون الذين هم على إستعداد تبعاً لذلك، لقبول الأساليب اللاديمقراطية فى سبيل الخلاص منهاقتحن وإياهم فى نفس القارب إلى هذا الحد. فهناك مثل عليها ومصالح تتفوق حتى عند اكثر الناس حماسة للديمقراطية على الديمقراطية نفسها، وإذا كان هذا الديمقراطى المتحمس يعلن ولاءه المطلق للديمقراطيين، فلأنه مقتنع كل الإقتناع بأنها ستتضمن هذه المثل والمصالح وتحميها، كحرية الضمير مثلا، أو حرية الكلام، أو العدالة أو الحكم الصالح وماشابهها.

ولا يتطلب البحث عن السبب فى ذلك، أن نمضى بعيداً، فالديمقراطية طريقة سياسية، أى أنها طراز معين من الإجراءات التنظيميه للوصول إلى قرارات سياسية من تشريعية، وإدارية، ولا يمكن أن تكون غاية فى حد ذاتها مهما كانت القرارات التى قد تتخذها فى أوضاع تاريخية معينة. ولاشك فى أن هذه الحقيقة يجب أن تكون نقطة البداية فى اية محاولة لتعريفها.

ومهما كانت السمة المميزه للطريقة الديمقراطية، فإن الشواهد التاريخية التى أوردناها قيل قليل، تعلمنا بعض الأمور الهامة عنها، وهى من الأهمية. بحيث تتطلب المزيد من التأكيد والإيضاح.

أولا: أن هذه الشواهد تكفى لإحباط أية محاولة تتحدى الفرصة التى أوردناها قبل قليل،وهى أن الديمقراطية بوصفها أسلوب سياسيا لا يمكن أن تكون كغيرها من الأساليب غاية فى حد ذاتها. وقد يقوم هناك من يعترض

بان الأسلوب كقضية منطقية يمكن أن يكون مثلا مطلقاً، أو قيمة غائبة، وهذا الاعتراض صحيح. وليس ثمة من شك فى أن البعض منطوياً على البلادة أو على الإجرام. فإن إرادة الشعب، هى التى يجب أن تعلو، أو أنها على الأقل وفى جميع الحالات يجب ألا تعارض إلا بالطريقة التى تقرها المبادئ الديمقراطية، ولكننا نرى أن يحارب المرء ما فى الإجراءات من إجرام أو حمق بكل الوسائل الموجودة تحت تصرفه.

ثانيا: إذا وافقنا على أن الولاء المطلق للديمقراطية لا يكون ناجماً إلا عن الولاء المطلق لمصالح أو مثل معينة ينتظر من الديمقراطية إن تخدمها فإن الشواهد التى أوردناها تبطل أيضا الإعتراض القائل بأنه على الرغم من أن الديمقراطية. قد لا تكون مثلا مطلقا فى حقيقتها، إلا أنها مثل عن طريقة «الإنابه»، بدافع أنها بحكم الضرورة والحقيقة تخدم مثلا ومصالح معينة بصورة دائمة، وفى كل زمان ومكان، وهى مثل ومصالح، معينة بصورة دائمة، وفى كل زمان ومكان، وهى مثل ومصالح، تعتزم النضال والموت من أجلها بلا قيد أو شرط. ومن الواضح أن هذا القول لا يصح مطلقا. فلا تختلف الديمقراطية عن غيرها من الأساليب السياسية فى أنها لا تؤدى دائما إلى نفس النتائج أو تزوج لنفس المثل والمصالح. وهكذا فإن الولاء المعقول لها لا يفترض وجود خطة للقيم المفرطة فى عقلانيتها فحسب، بل ووجود حالات معينة من المجتمع ينتظر من الديمقراطية أى معنى إلا إذا ربطنا هذا العمل بالزمان الذى وقع فيه والأوضاع التى تم فيها، وينطبق هذا القول أيضا على الحجج المناهضة للديمقراطية.

لاشك فى وضوح كل ما قلنا. ومن الواجب ألا يذهل أو يصدم أى

إنسان. إذ لا علاقة له بمكانة المعتقد الديمقراطي والغيرة عليه في أي وضع من الأوضاع، ولاشك في أن إدراك الصحة النسبية لمعتقدات المرء، والوقوف إلى جانبها رغم ذاك دون تردد أو تخاذل هو ما يميز الإنسان المتحضر عن غيره.

ونعتقد أن هناك عدداً من القضايا القومية التي تهم الأفراد والجماعات بصورة مباشرة ولا يتطرق اليها الشك.. مما يؤدي بها إلى خلق إرادات لها درجة كافية من الأصالة والتحديد. ولعل أبرز مثل على على هذه القضايا، تلك التي تتعلق بأرباح الناخبين من أفراد وجماعات أرباحاً مالية وشخصية.. كالمدفوعات النقدية المباشرة وضرائب الحماية وما شابهها. وتدل التجارب التي ترجع في عهدها إلى أقدم العصور، على أن الناخبين عامة يستجيبون بسرعة وبصورة معقولة إلى مثل هذا الغرض. ولكن العقيدة التقليدية عن الديمقراطية لاتقيد إلا القليل، بل أقل من القليل من عروض ومن العقلانية التي هي من هذا الطراز. وهكذا فإن الناخبين يثبتون أنهم من أسوأ القضاة واكثرهم فساداً في الحكم على مثل هذه القضايا. وكثيرا ما يقيمون الدليل أيضا على أنهم من أسوأ القضاة بالنسبة إلى مصالحهم الطويلة المدى. فالوعود القصيرة الأجل، هي التي تحمل الطابع السياسي. كما أن العقلانية القصيرة المدى هي التي تستطيع تأكيد وجودها بشكل فعال ليس إلا.

ولكن عندها ننأى بأنفسنا عن مجالات الإهتمام الشخصي بشئون الأسرة أو العمل، ونتنقل إلى مجالات الشئون القومية أو العالمية الطابع المفتقرة إلى وجود علاقة مباشرة لا يتطرق اليها الشك مع مجالات الإهتمام

الشخصى، فإن الإرادة الفردية، والسيطرة على الحقائق وأسلوب الإستنتاج، سرعان ما تتوقفان عن أداء متطلبات العقيدة التقليدية. ولعل اكثر ما يثير الدهشة، ويبدو- فى رأينا- على أنه خلاصة المشكلة، هو ضياع الإحساس بالواقع ضياعاً كاملا. فلقد جرت العادة على أن تحتل القضايا السياسية الكبرى مكانها فى الإقتصاد النفسى للمواطن النموذجى. مع مجالات إهتمامه الأخرى فى أوقات الفراغ، وهى المجالات التى تصل إلى حد الهواية، وكذلك مع مواضيع المناقشات التى تنعدم المسئولية فيها، وقد تكون هذه الأمور كلها بعيدة للغاية، ولا فضل إلى حدود الفرضيات، كما أن أخطارها قد لا تتحول إلى واقع أبداً. أو أنها حتى إذا تحولت فقلما تكون من الفرع الخطر، ولكن الإنسان يحس إذا ما فكر فيها بأنه يدخل عالما أسطوريا.

ويؤدى هذا التضاؤل فى الإحساس بالواقع إلى تضاؤل فى الاحساس بالمسئولية، وإلى إفتقار فى الإرادة الفعالة المثمرة. وقد تكون للإنسان تعبيراته بالطبع. وقد تكون له رغباته وأحلامه النهارية وشكاواه. بل وقد يكون له بصورة خاصة ما يحبه وما يكرهه، لكن كل هذه، لا تصل إلى حدود ما نسميه بالإرادة. أو المقابل النفسى للعمل المسئول ذى الهدف المحدد. فليس ثمة من مجال لدى المواطن العادى الذى يشغل نفسة بالتأمل فى الشئون القومية، لأن يملك هذه الإرادة، كما أن ليس لديه من مهمة يستطيع أن ينمى إرادته عن طريق العمل على آدائها. فهو عضو فى لجنة عاطلة عن العمل، لجنة الأمه بأسرها. ولعل هذا هو السبب الذى يدعوه إلى صرف مجهود اكثر إنضباطاً فى لعبه «بريدج» من المجهود الذى يصرفه فى السيطرة على إحدى المشاكل السياسية ومحاولة حلها.

ويفسر الإقلال بالإحساس بالمسئولية والإفتقار إلى الإرادة الفعالة جهل المواطن العادى بقضايا السياستين الداخلية والخارجية، وإفتقاره إلى القدرة على الحكم فيها. ويكون هذا الجهل اكثر إثارة للدهشة فى حالات المتعلمين من الناس وأولئك الذين يبذلون نشاطات ناجحة فى دروب الحياة اللاسياسية فيه فى حالات غير المتعلمين من أصحاب المراكز المتواضعة فى الحياة. فالمعلومات كثيرة ومتوافرة، وفى متناول أى إنسان، لكن توافرها لايهم، وعلينا الاندهش من ذلك، وكل ما نحتاجه هو أن نقارن بين موقف المحامى من إعداد لقضية وبين موقفه من عرض الحقائق السياسية فى الصحيفة التى الف قراءتها. لنرى اين تقوم المشكله. فهو فى إعداده، يجند الخبرة التى إكتسبها مدة سنوات طويلة من العمل لتجميع الحقائق المتعلقة بها. مدفوعاً بحافز محدود من الإهتمام بكفايته المهنية. وبحافز آخر لا يقل عنه قوة، وهو كسب القضية، لتعبئة كل مؤهلاته، وقوى إدراكه وإرادته، فى محتويات المذكرة التى يعدها. أما بالنسبة إلى الحقائق السياسية فهو لا يكف نفسه عناء جمع الحقائق، ولا إستيعاب المعلومات، ولا تطبيق قواعد النقد التى يعرف إستخدامها أدق معرفة. وكثيرا ما يبدى ملله إذا كانت المناقشات طويلة أو معقدة، ويستدل من كل هذا على أنه فى حالة عدم وجود الحافز النابع عن المسئولية المباشرة، يظل الجهل سائدا بالرغم من وجود حشد ضخم من المعلومات الكاملة والدقيقة. بل ويظل هذا الجهل بالرغم من الجهود المشكورة التى تبذل بالاضافة إلى عرض الحقائق، وهى تعليم الناس على إستعمالها عن طريق المحاضرات والندوات، والصفوف الدراسية. وقد تكون نتائج هذه الجهود صفرا ولكنها ضئيلة جداً، ولا يمكن حمل الناس على صعود السلم عن طريق الإكراه.

ومن هنا لابد وأن يفقد المواطن العادى شيئا من طاقات آدائه العقلية فور اقتحامه الميدان السياسى. فهو يناقش ويحلل بطريقة يعترف بصبيانيتها إذا ما إتبعها فى تصريف مصالحة الحقيقية. إنه يتحول إلى البدائية ثانية. فتفكيره يصبح وجدانيا، ويميل إلى ربط الأمور ببعضها، وهذا الميل ينطوى على نتيجتين أخريين ذاتى أهمية أكثر شؤما ونحساً.

أولى هاتين النتيجتين، أنه حتى ولو لم تكن هناك جماعات سياسية، تحاول التأثير عليه، فإن هذا المواطن العادى يميل فى القضايا السياسية إلى الإذعان للحزازات والنوازع اللاعقلانية أو المغرقة فى عقلانيتها. ولاشك فى أن ضعف العمليات المستعقلة التى يطبقها على السياسة، وإفتقاره إلى السيطرة المنطقية الفعاله على النتائج التى يصل اليها كافيين. فتفسير هذه الحقيقة، يضاف إلى هذا أن عدم إنشغاله فى السياسة يؤدى إلى نزاع فى مقايبسة المعنوية المعتادة، كما يتيح المجال إلى إطلاق الحوافز القائمة التى تساعده أوضاع حياته الخاصة على كبحها، أما بالنسبة إلى حكمته أو استعقال الإستنتاجات التى يصل اليها، فإنها قد تكون سيئه إذا إستسلم إلى حالات من الإنفجار العنيف فى غضبه. وتؤدى هذه الحالات إلى تعذر رؤيته الأمور فى مواضعها الحصحيحة، أو فى اكثر من وجه من وجوهها فى وقت واحد. ولو فرضنا أنه خرج مرة على غموضه، وعرض الإرادة المحدودة التى تعرضها التقليدية عن الديمقراطية، فإنه قد يغدو اكثر بلادة وإفتقاراً إلى الإحساس بالمسئولية مما كان عليه فى السابق، وقد تؤدى هذه الحالات فى بعض الأحايين إلى الاضرار المفجع ببلاده.

والنتيجة الثانية هى أنه كان العنصر المنطقى فى عمليات الرأى العام

أضعف، وكلما كان الإفتقار إلى النقد الإستعقالى وإلى التأثير العقلى للتجارب والمسئوليات الشخصية اكمل وأتم. كلما كانت الفرص متاحة للجماعات ذات الدوافع الخارجية اكبر وأعظم. وقد تضم هذه الجماعات ساسة محترمين أو حاملين للمصالح الإقتصادية أو مثاليين من طراز أو من آخر. أو من أناس مجرد همهم أن يخرجوا المسرحيات السياسية وأن يتولوا إدارة إنتاجها، وقد لايكون علم إجتماع هذه الجماعات هاما للموضوع الذى تناقشة. ولكن النقطة الوحيدة التى تهمنا هنا هى أنه لما كانت الطبيعة الإنسانية للسياسة على النحو الذى هى عليه، فإن هؤلاء الناس يستطيعون أن يصيغوا إرادة الشعب على النحو الذى يشاءونه، بل ويقدرون على خلقه على صعيد شامل واسع. فكل ما نواجهه فى تحليل العمليات السياسية إرادة «مصنوعة» لا أصيلة. وهذه الإرادة التى صنعها الإنسان هى كل ما يسمى فى الواقع بإرادة الشعب فى عرف العقيدة التقليدية. وإذا اصح هذا الإقتراض، فإن إرادة الشعب تغدو ثمرة للعملية السياسية لاقوة دافعة لها.

وتشبه الطرق التى يتم فيها «صنع» القضايا والإرادات الشعبية تمام الشبه. تلك المتبعة فى الإعلانات التجارية. فنحن نجد المحاولات نقسها للإتصال بالعقل الباطن. ولكن نجد أيضا الأسلوب نفسه فى خلق الترابطات المواتية واللاهوتية، والتى تكون اكثر أثرا وفعلا. كما كانت ابعد عن العقل- ونحن نجد كذلك نفس التملصات والصمت أحيانا، كما نجد نفس الحيل فى خلق الآراء عن طريق إعادة تأكيدها وهى الحيل التى تنجح إلى الحد الذى يجعل المرء يتحاشى النقاش العقلى وخطر إيقاظ القوى النقدية عند الناس وهكذا دواليك. ويكون لجميع هذه الحيل والمهارات الفنية مجال أوسع فى ميدان الشئون العامة من مجالها فى الحياة الخاصة والمهنية، ولن

يكون في مكنة أية صورة لأجمل فتاة في العالم أن تحافظ على رواج مبيعات صنف ردئ من السلع، إذا وضعت كإعلان دعائي عنها. وليس ثمة ضمان فعال أيضا في حالة القرارات السياسية. فقد تكون هناك قرارات ذات أهمية ضخمة، بحيث يستحيل على الجمهور أن يجربها كما يشاء. ودون أن تكلفه تجربتها شيئا. وحتى لو فرضنا أمكان ذلك. فإن الوصول إلى الحكم لا يكون سهلا، كما هو الوضع بالنسبة للسجائر مثلا، لأن الآثار فيها اكثر صعوبة على التفسير.

ولكن مثل هذه الفنون تفسر إلى حد غير معروف في حقل الإعلانات التجارية تلك الأشكال من الإعلان السياسي التي تدعى أنها تخاطب العقل. وعندما يكون الاستهواء المخالف للعقل أو المغالي في الإستعقال. متسربلا بأردية الحقائق والحجج المنطقية، فإنه يبدو في عين المراقب في جميع الحالات أو معظمها على الأقل، واضحاً واكثر قوة وضوح عجز الضحية الإعلانية عن الدفاع. ولقد سبق لنا أن رأينا من قبل، كيف أن من العسيران ننقل إلى الجماهير معلومات صادقة وغير متحيزة عن المشاكل السياسية والإستنتاجات المنطقية الصحيحة النابعة عنها، وكيف أن هذه المعلومات والحجج لا تسجل في القضايا السياسية إلا إذا كانت متصلة بأفكار المواطنين المتمركزة في عقولهم. لكن هذه الأفكار لاتكون عادة من التخدير بحيث تكفى لإقرار بعطى النتائج المعينة. ولما كان في الإمكان، صناعة الحجج السياسية المؤثرة. فإنها لابد وأن تعنى محاولة لصياغة المقدمات الإرادية القائمة في شكل معين لا محاولة وضعها موضع التنفيذ فحسب، أو مساعدة المواطن على حزم أمره بصددها.

وهكذا فإن المعلومات والحجج التى تصيب هدفاً حقاً، تؤدى خدمة جليلة للنوايا السياسية، ولما كان أول ما يستهوى الإنسان لتحقيق غرضة أو خدمة مصلحته، هو أن يكذب فإن من حقنا أن نتوقع، كحقيقة ثابتة أن تكون المعلومات المؤثرة زائفة منتقاه.. وأن يتألف التفكير المنطقى الفعال فى السياسة من محاولة تمجيد بعطى الفرضيات برفعها إلى مرتبة القواعد وإخراج بعضها من الحظيرة، وبذلك نقلل من الأساليب التقنية النفسية التى سيق لنا أن تحدثنا عنها. ولعل الذين يخيل اليهم أنهم مسرقون فى التشاؤم، أن يسألوا أنفسهم، إذا كانوا لم يسمعوا فى حياتهم أو لم يقولوا، إن هذه الحقيقة الغريبة أو تلك يجب الاتقال علناً. وأن هذا الخطر من التفكير أو ذاك، بالرغم من صحنة أمر غير مرغوب فيه. وإذا كان الناس الذين يعتبرون شرفاء على المقاييس العادية أو يعتبرون من ذوى الفكر النير، يكيفون أنفسهم لما تنطوى عليه هذه الحقيقة ولا يكونون بذلك قد أظهروا حقيقة رأيهم فى حقيقة «إرادة الشعب» أو حسناتها؟.

وهناك بالطبع حدود لكل هذا، كما أن هناك حقيقة فى أن هناك إستحالة فى خداع جميع الناس طيلة الوقت. وليس ثمة من شك فى إمكانية القول بأن النفسية الجماعية إذا ما أتيح لها الوقت الكافى قادرة على خلق آراء تدهشنا أشد الدهشة فى معقوليتها وذكائها. لكن التاريخ يتألف على أية حال من سلسلة من الأوضاع القصيرة المدى التى إستطاعت أن تغير سير الأحداث الى الأبد.

فإذا كان فى الإمكان خداع جميع الناس فترة ما وحملهم خطوة خطوة على شئ يريدونه حتما. وإذا كان هذا الوضع يمثل حالة لا تعتبر شاذة بحيث

يمكن تجاهلها، فإن أى قدر من المنطق الإستذكارى لا يستطيع أن يغير الحقيقة الواقعة، وهى أن ليس فى قدرة الناس أن يثيروا القضايا وأن يقررونها، بل إن هذه القضايا هى التى تصنع لهم مستقبلهم وهى التى تثار وتقرر بالنيابة عنهم. وليس أحق من عشاق الديمقراطية وأنصارها يتقبل هذه الحقيقة، وتطهير عقيدته من العيب الذى توصم به، وهى أنها تعتمد على خداع الناس والتغرير بهم.





الفصل الثالث

مدرسة صدام السياسية

قد يشجع مألوف إستعمال كلمة.. السياسة.. بعض الناس على الظن بأنها قوة حقة، وأنها فى كل دولة منظمة، ولكن التفكر لخطة واحدة لابد أن يحسر النقاب عن أن هذا المألوف قد يكون شديد التضليل، فالسياسة كما يقول أرسطو! ليست إلا حلا واحداً ممكنا لمشكلة الأمن والنظام. وهى ليست دائما وبأية صورة الحل الأكثر شيوعاً، فالطغيان هو الحل البديل الأكثر شيوعاً، وهو حكم الرجل الفرد القوى لمصلحته ليس إلا، كما أن هناك إحتمالا ثالثا وهو حكم القلة لمصلحة أفرادها والطريقة التى يتبعها الحاكم الفرد أو القلة الحاكمة وهى مجرد إزغام المجموعات الأخرى أو التاثير عليها لتقبل هذا الحكم تحت ستار الإدعاء بأنه لمصلحتها والطريقة السياسية للحكم هى الإستماع إلى هذه المجموعات للتفاهم معها إلى أقصى حد ممكن، وإعطائها مركزاً شرعياً وإحساساً بالأمن والطمأنينة، ووسائل واضحة وأمنية إلى حد معقول للتعبير عن رأيها بحرية.

لاشك أن الطابع السياسى لايشمل جميع أنواع الحكم، وان السياسة مفهوم أدق بكثير مما يتصورة الانسان. وهذا ما يتضح من خلال مقارنة حكم صدام حسين بغيرة لابراز الفروق بينهما، واعتماد هذا الحكم على النظرية والفكر البعثى، فحكم الدكتاتور العراقى يقف موقف التناقض الكامل والحاد مع الحكم السياسى، كما ان التفكير البعثى تحد مباشر وواضح للتفكير السياسى، فالبعثيون يعتقدون أن كل أمر راجع إلى الحكومة وأن مهمة الحكم اعادة بناء المجتمع كلة طبقا لأهداف البعثية.

ويحملنا فهم الطبيعة الفريدة لحكم صدام حسين، والمطامع الفريدة له إلى فهم بعض نواحى السياسة من أهمية خاصة فهما كاملا ونلاحظ بعد هذا الفهم هجوما مباشرا على فكرة التنوع عند الجماعات الشبيهة بالمستقلة فى المجتمع، وكذلك على فكرة تأكيد وجود الفرد وهو هجوم يبلغ من العنف حدا يحملنا على الاقتناع بأن دعاة الحكم البعثى يعرفون أن هاتين الفكرتين تقومان فى صلب ما يجعل السياسة أمرا ممكنا.

وتقضى مثل هذه المقارنة على أية عملية سهلة من عمليات تعريف الحرية السياسية بالديمقراطية، وتنهار المقارنة عن طريق بيان المفارقات بين العهود الديمقراطية وغير الديمقراطية والقول بأن العهود الديمقراطية لاتتعدى تلك التى تقوم على الموافقة الارادية والفعالة، انهيار كاملا عند العهد البعثى.

ولاشك فى أن إنكار وجود التأييد الجماهيرى فى الحكم فى العراق كما سبق أنكار التأييد فى الحكم فى المانيا النازية، اعتقاد مريح باعث على الرضا، ولكنه اعتقاد كاذب وخطير، اذ أنه يشير إلى ما يقع فيه الكثيرون من رجال السياسة ذوى النوايا الطيبة من خطأ نتيجة سيطرة نظرية خاطئة

فى الحكم على عقولهم، وهى النظرية القائلة بأنه لابد لرضا الشعب من خلق الحرية.

والبعثة ليست بأية حال مجرد كلمة ضخمة من كلمات الامتهان نطلقها على أشكال الحكم الاستبدادى، الفرص التقينية الحديثة، فلم تكتفى التقنية الحديثة بتوسيع الفرص لعمليات استغلال المنصب، بل ساعدت على خلق أسلوب جديد من أساليب التفكير العقائدى ذو مطامح واسعة بحيث انتهى عهد الطاعة العمياء التى كان الحكام الاوتوقراطيون القدماء يكتفون بها لتحل محله حاجة هؤلاء الحكام الى الحماسة الدائمة والفعالة عند شعوبهم.

ولقد زعم «هتلر» مثلا أن رجاله من الحرس النازى، لايهتمون بالمشاكل اليومية بالقضايا العقائدية التى تتناول أهميتها الحقب والقرون. وأصبح التمتع بالمنصب، واستمرار العهد أو الأسرة الحاكمة أمرين ثانويين بالنسبة إلى ما يتطلع اليه الحزب الواحد ذو الأهداف العقائدية من انجازات. وهكذا نجد أنفسنا فجأة وقد بعدنا عن الحدود التى وضعها التقسيم الاغريقى بأنواع الحكم، والتى ظلت تبدو زمنا طويلا وافية بالقصد بالنظر إلى ما تفترضه من أن الحكم يخدم أهدافا محدودة، ومن أن الدولة بالرغم من أنها التنظيم الاجتماعى الغالب ليست بالقادرة على كل شئ.

فالهدف من الحكم البعثى ليس الحكم الاستبدادى الطاغى، ولقد كان فى مكنة الحاكم الفرد، اذا ما اتسع نطاق دولته وتعقدت مشاكلها بحيث بات حرس القصر عاجزا عن حماية مصلحته ومصالح جماعته أن يحل المشكلة عن طريق اشراك الآخرين فى سلطانه. ولقد بات الحكم المحدود مهما كانت حدودة، والحكم القائم على المشورة مهما كانت من جانب واحد ضرورية

ادارية إلى حد ما، مهما كان هذا الحد ضحلا. وعندما زادت أهمية الجماهير بالنسبة إلى اتساع المدن وانتشار الصناعة لم يعد الحصول على رضا الجماهير ممكنا إلا عن طريق اشتراكها فى السياسة ومهما كانت الادعاءات المألوفة للنازية والبعثية التى أشرنا اليها سابقا، ومهما كانت عروض التتساهلات الوقتية التى تقدمها فان ما كان يعتبر هرطقة دينية فى الماضى وهو تحقيق الحكم المقدس للرهبان على الأرض، قد بات فى عصرنا هذا تزمتا علمانيا يحافظ عليه بحماسة دينية عنيفة.

ولقد كان النازيون يرفضون رفضا قاطعا أى تساهلات سياسية، مما اعتبر تحديا للعقيدة التقليدية عند البيروقراطية، من أن فى وسعهم البقاء بعيدا عن السياسة، وأن فى أمكانهم أن يظلوا فى عزلة عنها، مع تعلقهم بتقاليد الطاعة العمياء للواجب. وقد أدى الايمان بالعنصر والعنصر وحدة، على أنه الموجه الفرد للعمل الاجتماعى، إلى نشوء الايمان عند نخبة الطليعة النازية بجدوى «الحل الاخير»، ولم يكن هناك من ينكر أن الحل الأخير بالنسبة إلى المشكلة اليهودية قد يؤلف عزما سياسيا بالنسبة إلى الحكم حتى فى المانيا نفسها، عندما يذاع أمره، ولكن النظام النازى كان قد بعد كثيرا عن نطاق السياسة، وتمكن النظام النازى من اقناع الجماهير الألمانية بأن النقاء العنصرى هو الطريق الوحيد القادر على اخضاع شيطان الأنظمة القديمة، أو إلى تغيير شكلها. وبهذا فقد تحولت الحرب من شئ يمكن تبريره سياسيا إلى شئ يجب تمجيدة عنصريا، أما البطالة، فقد اختفت كلية من الوجود، عن طريق محاولة وضع الاقتصاد القومى فى حالة تأهب دائم للحرب.

وإذا كانت فكرة الصراع الطبقى، وهى المقرر الوحيد للعمل الاجتماعى قد

بدت أكثر منطقا من فكرة الصراع العنصرى، فانها مع ذلك اقتربت من الفظائع مايجعل المقارنة نفسها أمرا يمجه الذوق الانسانى، وقد يرتجف الانسان رعبا من فكرة حساب الضحايا او من فكرة الحكم بين الارهاب البعثى غير المعقول، والارهاب النازى المعقول، وتبرير هذا ادانه ذاك، فالبعثون ايضا يستهدفون من عمليات تصفية الاكراد والتركمان وكذلك اعدائهم السير فيما يسمونه بالتقدم لتحقيق «الوحدة والحرية والاشتراكية». ولقد ضحى البعثيون المرة تلو المرة بالمصالح الحقيقة لفروع الحزب فى الدول العربية الأخرى، المتورطة فى أوضاع سياسية، كحزب البعث فى سوريا وفى السودان وبعض الدول العربية الاخرى لمصلحة العقيدة كلها، وحتى لو كانت مصلحة العقيدة البعثية كلها فى وقت ما متفقة مع مصلحة ذاتية تقليدية للعراق، فان البعثيين فى الخارج يكونون على استعداد للتضحية بمصالحهم الآتية الواضحة لضمان هذه المصلحة العراقية، وفى تصورنا أن نشاط السياسة نفسها فى كل من الذهبين النازى والبعثى ليس الا مرحلة مؤقته. والقول بأن المذهب يحتل مكانة فريدة فى الأهمية من النظم البعثية يعنى عدم فهم للنظرة العقائدية الفريدة فى ذاتها للمذهب نفسه، ولقد باتت العقائد كلمة تستعمل استعمالا غير دقيق فى قاموس السلطان ومفرداته.. حيث أكثر الاعلاميون والصحفيون من الحديث عنها حتى غدت ممتهنة من كثرة استعمالها، او من إساءة استعمالها بحيث باتت مرادفا للشئ المتعذر، سلاحا معنويا نافعا يوجد عند الجانب الاخر، وتفتقر اليه الاحزاب الاخرى فى المنطة العربيه على الأقل.

ومن البديهى أن كل فلسفة تخدم فقط مصالح الطبقة التى تسيطر على وسائل الانتاج والطبقة التى تتصرف فى الوقت نفسه فى وسائل الانتاج

العقلى، وترى النظرية البعثية فى المعرفة والمنلطق، بالاضافة إلى السنن الأخلاقية والتقاليد مجرد تغييرات عن البنيان الكلى للمجتمع، بل مجرد أشياء نسبية وتابعة فى عملها لنظام اجتماعى معين. ودراسة عمل الأفكار كثمار اجتماعية بالنسبة إلى صحتها أو خطئها موضوع صالح وطريف ومستنير من موضوعات البحوث، اذ أنها طريقة واحدة على الأقل من طرق تفهم المجتمع الانسانى، ومن المعروف أن الفيلسوف «ميشل عفلق» هو الذى بشر بانهيار النظام السياسى القديم والظالم فى العراق وبأن نظاما اجتماعيا جديدا وملتحما سيحل محله مؤكدا بذلك إستهانته بالسياسة والفلسفة وايثاره الاجتماع عليها.

وهكذا لم تعد العقيدتان النازية والبعثية، مجرد مجموعة واسعة ومفردة فى أثرها من المذاهب، لاتختلف الا إلى حد ما عن المذاهب السياسية السابقة، اذ أن كلا منهما أصبحت تدعى لنفسها أنها الثمرة الوحيدة اللازمة للعلاقات الكلية القائمة بين كل ناحية من نواحى المجتمع، وأصبحت تدعى لنفسها نظريا على الأقل القدرة على التفسير النهائى، ومتحررة من كل تناقضاتها الذاتية عندما يتحرر المجتمع كله، أو يحرر نفسه من عناصر التجزئة الممثلة فى حيازة الملكية أو عدم النقاء العنصرى وهى عناصر تعرقل انسجامه الممكن الكامل، ووحدته وطبيعتة التعميم فيه.

ويرى العقل المؤمن بالبعثية أن العمل الوحيد للسياسة المجردة تضليل وخداع، بل ولعبة من الدولة للحيلولة دون حكم المجتمع لنفسه. وقد تحدث «ميشل عفلق» نفسه عن حرمان السلطة العامة من طبيعتها السياسية متناسيا البون القائم فى مختلف العصور والاشكال، والذى تحدده المذاهب

السياسية التعددة بين مجالات الشئون العامة وبعض المجالات الخاصة ليس إل، سواء أكانت هذه المجالات الخاصة تأكيد «للشخصية الذاتية» أن التفرد السلبي الذي يشير إلى وجود بعض الحالات التي لا علاقة للسياسة بها. وكذلك يرى البعثيون أن التعليم والصناعة والفن والحياة العائلية والعواطف الشخصية بالاضافة إلى جهاز التنظيمات الاقتصادية للمجتمع، يجب أن تكون كلها في أثناء العمل وخارجه، داخلة ضمن اطار نظام اجتماعي كامل الترابط وأن تكون قوى تنطبق عليها العقيدة. والسماح ببقاء أية من هذه القوى خارج نطاق الاشراف والسيطرة، يعني في حكم الواقع الابقاء على ثغرة خطرة من ثغرات الحرية وعلى وسيلة من وسائل التخلص الشخصي من الولاء الكامل للأهداف العامة، ويعني في عرف العلم انكار ماتدعية النظرية البعثية من أن جميع نواحي المجتمع، وبينها الفكر طبعا تعتمد بعضها على بعض وتتحرك أو يمكن أن تنطلق في اتجاه واحد ومفترض. وحتى النواحي التي لم يكن الطاغية التقليدي الصورة او السياسي يهتمان بها، ولا يعتبر أنها ذات مساس بحاجات النظام، كالطريقة التي يتبعها الفنانون في الرسم أو في وضع الألحان الموسيقية، أو الطريقة التي يتبعها المهندسون في بناء السقوف للمنازل أصبحت بموجب هذه النظرية البعثية ذات مساس بالنظام السياسي، وغدت أما تقدمية الصورة أو رجعيتها، ويهتم بها الحاكم أو الحزب الحاكم كل الاهتمام.

وهكذا يظهر احساس واضح ومعقول من الاشتراك الكامل لجميع الناس والأشياء، وتكون له أهمية بارزة من ناحية علم الانسان في تعريف الوضع الانساني ومعنى روحي ينطبق مع الشعار القائل «أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» وهي معان اذا ترجمت إلى التعابير السياسية عدت تعني

البعثية فورا. ولا يمكن للسياسة الصحيحة أن تعالج كل شئ فى حدود التعابير السياسية. وليست المحاولة البعثية فى تحويل جميع العلاقات الاجتماعية إلى سياسة الا محاولة فى الواقع للقضاء على السياسة. فالسياسة لاتهتم الا بأغراض محدودة: فالفن مثلا لا يمكن أن يكيف سياسيا. واذا طلب الينا أن نحب بلادنا أو نحب حزبنا أكثر من حبنا لأسرتنا أو اصدقائنا، وأن نضحى بأنفسنا أو بأروحنا عند الحاجة لافى سبيل شخص، بل فى سبيل قضية، فان هذا الطلب يعنى مطالبتنا بتضحية أرواحنا فى سبيل البعثية. ولا يتطلب أى وضع مثل هذه التضحيات اليائسة الا اذا كان هذا الوضع قد تعرض للاهمال من طرق المعالجة السياسية.

وتظهر تفردية البعثية- التى تنجلى فيما تنصف به مطامحها التى لاتحد، والتى تمتاز سياستها بشئ من التفرد- فى الهجوم الذى يشن تحت اسم المجتمع على مفهوم الدولة.

وقد انسجم نظرير البعثية والنازية ودعاتهما مع هذه الفكرة تمام الانسجام. يبرز هذا الانسجام فى الهجوم الذى شنه الرئيس العراقى صدام حسين على فكرة «الدولة الحرة» فى احدى خطبه. ولقد حاول أن يظهر خطأ الديمقراطيين الاشتراكيين فى قوله: بان الحرية تتألف من تحول الدولة من جهاز يقوم فوق المجتمع إلى جهاز يخضع له.

وكتب «هتلر» فى كتابه «كفاحى» يقول: «ان الدولة وسيلة لتحقيق غايتها وهى الحفاظ على مجتمع يضم أناسا متساوين فى أبدانهم ونفسياتهم ودفعهم إلى الأمام، وعلينا أن نميز تمييزاً كاملا بين الدولة كوعاء وبين العنصر كمحتوى». واذا كان المجتمع عنصرا نقيا واحدا، أو حتى

محلولا ثابتا مستقرا لامجرد مركب من عناصر مختلفة ومتباينة، فأن الدولة كسلطة اكراهية، تغدو أمرا لا لزوم له.

ولقد بات البعثيون يرون فى الدولة البرجوازية التقليدية، نظرا لاعتراف جهاز السياسى المهادن بالعقائد المتباينة أشد التباين ضمن اراضى الدولة الواحدة، مجرد آداة تاريخية مرحلية، يهدف الحزب نهائيا إلى ازالتها وحلها، وهى تناقضات موجودة فعلا، ومن الواجب ولأسباب عدة صحيحة- القضاء عليها، ولم تكن هذه التناقضات بالنسبة إلى النازيين رمزا على وجود الدينة. وانما هى رمز الانحلال، ولعجز التفكير بوضوح، وهى تمثل لهم، خللا فى الأعصاب، وضعفا فى الارادة.

وللوصول إلى العدالة النهائية، يجب على المجتمع فى كليتة بعد اعتباره وحدة أن يحل محل الدولة. وعندما تزال عوامل التجزئة من المجتمع السائر فى طريق الانحلال، ستكون هناك عقيدة واحدة تضم المجتمع كله، وتغدو الدولة والمجتمع شيئا واحدا يضع نهاية لكل ماتمثله مجموعة السياسات من متاعب، وعندما تنتصر الطبقة الدنيا، لايبقى ثمة مجال للوجود الجوهرى للحرب الطبقية، وتصبح العقيدة واضحة وجلية كل الجلاء. وعندما تتمكن الأمة من ازالة جميع عيوب التلويث العنصرى من وسطها، فإن طريق الانتصار للشعب تصبح مفتوحة، لاعقبات فيها، ويغدو المجتمع كله أسرة واحدة، بل وجوقة واحدة من الأخوة يقودها زعيم مهيب أو والد ملهم. وسيؤدى انتصار المجتمع على الدولة فى كلتا الحالتين إلى استفادة الاحساس المتبدد بالانتماء، وتتحول الجماهير إلى مجتمع، تماما كما يلبس جميع الناس فى المرحلة الانتقالية، زيا عسكريا موحدا.

ويظهر التشأبه ايضا بين الطريقتين النازية والبعثية فى التفكير فى تأكيدهما معا على سياسة العنف، فالعنف بالنسبة إلى البعثية كالمهادنة بالنسبة إلى العهود السياسية، شئ خلاق ولما كان الفكر والعمل شيئين يقررهما بالتحديد البنيان المتسلط للمجتمع التقليدى، ولما كانت عناصر هذا البناء، معتمدة بعضها على بعض، ومترابطة بعضها مع بعض، فان جميع المجتمعات، بأستثناء قلة منها، تكون تكتيكية، تتحطم وتنهار، وتنقلب وتتمزق، ولاتتحول الا نادرا إلى مجتمعات جديدة عن طريق اقناعها سلميا. وتكون طبائع الدولة البورجوازية عميقة الجذور، بحيث تتطلب ازالتها حربا طبقية أو حربا قومية. ويقتضى تحطيم التقسيم الطبقى القديم للمجتمع، ثورة شاملة لا مجرد انقلاب لتسليم السلطان، وذلك للحيلولة دون التناقضات ودون الانحرافات البورجوازية من التسلسل إلى العهد الجديد.

ولاتهدف العقيدة البعثية إلى ايضاح كل شئ فحسب، وأنما تعرض أيضا الايمان بالتقديم الضرورى، ويشبه هذا الايمان، الاعتقاد الوفدى الواهن بالتقدم، ولكنه يبرزه إلى حد كبير بما فى دعواه من حماسة ودقة عند تفسير قوانين التطور التاريخى على اعتبار أن هذا التفسير هو الطريق إلى الحل النهائى لمشكلة السياسة غير المرغوب فيها.

ومن الواضح أن هذا المزج بين العقيدة والتكهن، يؤلف مشكلة معقدة كل التعقيد فى حد ذاتها، اذ لو كان كل التفكير عقيدة، وكان ثمرة للظروف، فكيف يمكن لهذا الفكر أن يحقق الاستشفاف الواضح من تلك العقيدة الواحدة، التى ستصبح العقيدة العملية للحكم البعثى، وكان الرد العملى على هذا السؤال ممثلا فى شخص هتلر وصدام حسين، وفى وضعهما

كزعيمين يشبهان «أمير» ميكافيلى «نصف الاله». الذى يستطيع وحده التغلب على جميع الضرورات الفورية. وليس ثمة من شك فى أن تدعم انسان موهوب، ولو لم يكن الها. فانه على الأقل شخص مختلف عنى وعنك. ولم يعد الطراز الجديد من «الزعيم» مجرد سياسى يدعو إلى التهادن والتوفيق، أو طاغية كل همه أرضاء مسراته الحسية الموقوته، بل أصبح بناء منشئا مكرسا نفسه لبنائه، فهو فنان أصيل يستوحى من علم الاجتماع الوسائل اللازمة لخلق المجتمع النهائى العظيم الكفاية، وهو يستمد سلطته من الاعتقاد الجماهيرى المتحمس بأنه خير من يفهم قوانين التاريخ التقدمية. وهل ثمة من حق لانسان فى أن يقاوم عقيدة المجتمع بأسره والحتميات التكتيكية لقوانين التتاريخ الثابته؟!

ولم تتضح حتى الآن كل الاتضاح الطرق التى اكتشفت فيها هذه القوانين التاريخية، ولم يعلن عنها كما أعلن عن أهداف العقيدة البعثية الواسعة والكثير من هذه الخفايا تؤخذ على أنها حقائق بدافع الثقة، ولقد شهد عصرنا هذا بعثا عمليا لمفهوم النهضة العلمية عن «خفايا السياسة العليا وأسرارها»، وما يلحق بهذا المفهوم من عبقرية وبراعة، وفن وغموض وأساليب خفية فى السيطرة، لايعرفها الا الزعيم وحده. ولكن مجرد بقاء الدولة يعتبر مقياسا واضحا للحكم على السياسة العامة، اذا ماقورن بالخطط الشاملة لاعادة بناء الجنس البشرى. فالسبب فى وجود الدولة أوضح بكثير من السبب فى وجود الحزب، وتقبل اعمال الحزب على أنها منسجمة مع الأهداف الحقيقية للعقيدة المتفتحة والمنتشرة، حتى عند وجود تناقضات هامة فى عالم الظواهر المجردة.

وليس من قبيل المصادفة العارضة ان يكون النظامان البعثيان اللذان تشدهما المنطقة العربية متركزين فى شخصين يتولى الواحد منهما رياسة أحد النظمين. وعندما تحاول الدولة ان تحيل العناصر المختلفة حقا فى كل مجتمع إلى مركب واحد، ينظر إلى هذا المجتمع على أنه عمل تام من أعمال الفن، وان هذا العمل يحتاج إلى فنان، وعندما ينظر إلى فن الحكم أنه من الالغاز الغامضة، يصبح ثمة حاجة إلى ساحر دجال، من الطراز الذى يعتبر صورة صادقة للفاشية.

فمن الواجب أن يكون هناك رجل واحد على الاقل يستطيع ان يرى بوضوح، الطريق امامه، على الرغم من قيود الأوضاع التقليدية وكوابحها، والا فان هذه القيود والكوابح تضحى مقررة لكل فكر وكل عمل وهذا الرجل هو الذى يستطيع بشئ من الحلية والدهاء او السحر، عما ان يكون صورا غير منقطعة من العنف الذى يحتاج اليه لخلق الالتحام بين القوى الاجتماعية التى تفرقها الطبيعة.. ويبدو أن هذا الطراز من القادة اخذ فى الظهور ليكون تعبيرا عن التنظيم المثالى للإغراق فى الوطنيه إلى نظرية شبه عنصرية تاريخية، وهى نظرية تعتبر احدى الطريقين اللذين يؤديان إلى العقيدة البعثية.

ولاتؤدى هذه التناقضات واللامعقولات القائمة فى مثل هذه النظريات إلى انتشارها والعمل بها بعد مناقشتها مناقشة حرة حتى من طليعة صغيرة العدد، لكن الحاجة العملية ماسة لدى وجود هذه النظريات لخلق مصدر اخير وغير معقول للسلطة. واذا كان السيد «مشيل عفلق» يقول: أن «الكردى الذى لاغنى عنه ليس بالكردى». فانه لايكون كرديا. واذا كان الرئيس

المهيب صدام حسين يقول ان البعثية هى الطريق لبناء أمة عربية واحدة فان المؤمنين به يصدقون هذا القول ويصفقون له على حين تعود الطمأنينة إلى ذوى الشكوك.

وفى تصورنا انه ما استخدمت نظرية العقيدة فى معرض التفسير ليس الا دون أن تستخدم كسلاح للتبدل الاجتماعى فان ذلك يمثل عقبة امام الباحث فى طريقة لتحقيق الموضوعية. وهل انا ملزم بأن اكون ثمرة العقيدة التى أؤ من بها- فافسر جميع العقائد الاخرى على ضوء ما تتطلبه منى عقيدتى الخاصة؟

والواقع ان بعض الباحثين قادرون على ذلك، لانهم طراز فذ من الناس بل من المثقفين اللامنتمين الذين أفلحوا فى خلق «منظار منفصل» لانفسهم يقدم صورة جذابة كل الجذب للمثقفين.

وهكذا يتاح للفكر على الأقل عنصر من التفوق على الظرف، ليمهد السبيل أمام القضية الأولى المسلمة بها لخلق نظرية اجتماعية شاملة متحررة القيمة، ،ولنفترض حقا أن من الواجب السماح لاية نظرية اجتماعية تهدف إلى الشمول الكامل، بأن تقفز قفزة أولية، فتتحرك حركة حرة تبدأ بها لعبتها، ولكن لو كان العالم الاجتماعى بشئون المعرفة قد كتب ما يريد كتابته فى الجيل الاول من البعثيين، لاقيل عشرون علما من قيام الحكم البعثى فانه كان لابد ان يتبنى افتراضا اوليا خلقيا يحول به من انقلاب اية نظرية للمعرفة إلى خطة عمل. اذ ان وجهة النظر القائمة على «النسبية الخلقية» والمستوحاة من هذا العلم، مع تمثيلها لدعامة اساسية من دعامات التسامح، تبدو عندما تطبق على العقائد التى تكون فى اى نظام سياسى،

غير كافية تماما لشرح هذا الحادث الجديد، أو لادانة ما تمتاز به البعثية من وحشية كنظرية ايجابية للعقيدة.

ويشير «مانهايم» أن مفهومه عن العقيدة لايستخدم كحكم سلبى على القيمة فى معرض الايماء إلى كذبة سياسية واعية، وانما يقصد منه أن يرسم النظرة المترابطة حتما مع وضع اجتماعى وتاريخى محدود ولكن «مانهايم» لم يستطيع أن يرى أنه فى الوقت الذى يسود الاعتقاد بأن منطق الافكار وشرطها الاساسى يظهر ان بمثابة عقيدة مجردة، بل ويظهران كانعكاس للنظام الاجتماعى الراهن وحفاظا على وضعه القائم، فان المؤمنين بالطوبائيه التى تصورها، مجرد اناس مرتبطين بالثقافة المجرد التى لاوجود لها، وان عليهم ان يروا أى تقدم يجب أن يكون معتمدا على التحطيم الكامل والتحول الشامل للنظام الاجتماعى كله، وأن ذاك تصبح العقائد التى ينظر اليها كأكاذيب سياسية، أؤ كخطط لمستقبل جديد كامل أمرا لا لزوم له. يقوم الاساس الفلسفى للعقيدة البعثية مستندا إلى علم الاجتماع المتعلق بالمعرفة.

فكلاهما العقيدة وعلم الاجتماع يقللان من قيمة مافى المجتمعات الصناعية من تعقيد، وكذلك من قيمة مايقوم به الكثير من العقائد المختلفة ضمن الدولة الواحدة من تعايش أو اصطدام او ترابط أو تداخل ومن قيمة عدد من الضغوط الثقافية المشابكة التى يتعرض لها كل انسان، وهو وضع يعتبر طبيعيا إلى حد ما.

والسياسة هى انعكاس هذا الطراز الخاص من الأوضاع ولا ترسم السياسة لنفسها المهمة المحالة فى خلق اجتماعية موحدة قبل أن نتصور بأن فى وسع

الحكومة أى حكومة ان تبرز نفسها، أو تجد معادلة نهائية، أو تهبط إلى الدرك الاسفل، لكن السياسة ليست مجرد اقرار للوضع الراهن، اذ أن الامور فى عرفها لاتتخذ شكلا ثابتا، فالوفديون يقللون دائما قيمة أى قدر من الابتكار السياسى المتعمد والاختراع وكذلك من قيمة أى تبدل اجتماعى أو تكيف مفهومين ومستمرين فى سيرهما الدائم. وكما ان «مانهايم» يميل إلى لتقليل من قوة السياسة الخلاقة، فانهما يقللان أيضا فى استخدام «العقيدة» من معقولية ومن انسجام، وهى العقيدة التى يسميها «بالاكذوبة السياسة». ولاشك فى أن البعثية أعمق جذورا فى الفكر والبنيان الاجتماعيين من مجرد «اكذوبة سياسية».

وتعرض العقيدة البعثية مفارقة غريبة بينها وبين السياسة كما أن النظرية الاكاديمية عن العلاقة تمثل محاولة كاذبة، بل خطرة لتحويل النظريات السياسية إلى أخرى اجتماعية. ويتم الاختيار بل يجب إن يتم دائما، وليس فى وسع المرء أن يصف أى من هذه النظريات وصفا يشتم منه تأكيدها تأكيدا حاسما.

وتشير هذه المقارنة المبنية على تباين أوجه الخلاف، إلى خاصتين مهمتين من خصائص النشاط السياسى، أولاهما، أهمية مافى مجموعة المصالح من خلاف ظهر فى نقاشنا حتى الآن، والأخرى شئ من الاهتمام الضمنى بالشخصية الذاتية.

ولقد سبق لنا أن تحدثنا عما نبديه من أعجاب اخاذ بارسطو العظيم لادراكة بأن العلاقة اليساسية هى التى تخلق التقارب وتزيل الفروق فى الآراء والمصالح التى توجد عادة فى كل دولة من الدول. وهذه هى الفرضية

الأساسية للنظرية السياسية.

أما العقيدة البعثية، فلا تكره شيئا اكثر من كرهها البارز نلقوميات والمنظمات المختلفة، ويتطابق الوجود النظرى للبعثية فى الصورة التى جسدها «جان جاك روسو» دون قصد للبوهيمى المسلح عندما استعاض عن العقل بالارادة.

ولايشير تحطيم البعثية لبعض الفئات الا إلى الوجود الطبيعى لبعض هذه الفئات. ولاريب فى أن خلق البعثيين لجبهة من المنظمات الحزبية وادماجها، يشير إلى مايولونه من أهمية خاصة لموضوع تأمين البديل الموجه للحياة المتحدة، وكل مافيها من ثراء فكرى. ولكن هذه الجماعات الموجهة ليست بديلا مناسبا، اذ أنها تكون من النوع الذى لايضم أى اتصال عضوى بأى عمل غير سياسى، مهما أمكن. ولايسمح بأى لجوء إلى الطريقة الجهرية باختيار المهن الخاصة، أما الجماعات القائمة فتتعرض للتعديل من وقت إلى آخر. وكذلك إلى الفحص أو التطهير للحيلولة دون قيام أية معارضة فعلية وممكنة. واذا كان لابد من تحويل سيادة الادراة البعثية إلى شئ حقيقى، فن من الواجب عدم السماح بأية مناقشة، أو حتى بالفرار إلى الحلول البديلة ونشاطاتها، وعلى النقيض من اعراف الأوتوقراطيات التقليدية، يجب بعث الحياة فى النيام لابدافع المبدأ بل بدافع النظرية فكل ما فى المجتمع طبقا للنظرية المعمول بها، اما ان تكون بعثيا أو عميلا، وليس ثمة مجال لأية حياة خاصة أو أية تجزئة اتحادية للسلطة.

ونعتقد أن الميزة المحدودة الثانية للنشاط السياسى التى تظهر فى معرض المفارقة مع الحكم البعثى، هى بعض العناية، كما ذكرنا بالوجود الشخصى،

أى بطريقة تأكيده واسلوب الحفاظ عليه، وتبدو هذه الميزة لدى النظرية الأولى الفاحصة، وكأنها ليست مجرد مقايسة على رأس اظهار أوجه الخلاف، بل مقدمات للتأكيد البعثى على العنف. وهنا تظهر القضية الواضحة كل الوضوح، وهى أن النظام البعثى لايبدى كبير اهتمام بالحياة الانسانية، أو يقيم لها وزنا، سواء حياة خصومة أو حياة شعوبه وهو يسلب الحياة ويضعها بسهولة أكثر مما تضعها الأنظمة السياسية المعروفة الأخرى ولكن أوجه المفارقة أعمق من هذا بكثير- فالعنف كما سبق لنا أن ذكرنا يلعب دورا هاما وخلاقا بالنسبة للنظام البعثى فى تحطيم بنيان المجتمع القديم، كما أنه يتخذ أحيانا شكل العنف فى النفس، اذ يتطلب النظام البعثى التضحيات من أفراده.

واذا شئنا تحديد الصورة بشكل واضح، قلنا أن النظام البعثى يحاول كل وماوسعه من جهد للحصول على التضحيات طواعية من مواطنية، وقد تبلغ هذه التضحيات فى مهام عادية جدا. فالرجل المثالى فى رأى حزب البعث هو ذلك الانسان الذى يضحى بنفسه من أجل قضيته، سواء فى الميدان العسكرى أو الميدان الصناعى، أو حتى فى اليمدان السياسى كما ظهر فى محاكمات محكمة الثورة فى العراق عام ١٩٧٩. وفى عملية إغتيال المناضل السورى «صلاح البيطار»، وتصفية الفنان المصرى «عبد الغنى قمر»، والفلسطينى «نعيم خضر».

وليس هذا النوع من المفاهيم الممتعة مجهولا حتى لدى العهود اليسارية ولكنه قد يكون تهريجا أكثر منه سياسة عملية مؤثرة الا فى أيام الحروب وليس ثمة من يطرب الا التافه، للرجل الذى يفنى نفسه إلى درجة الموت فى

رصف طريق فرعى لأن رئيس الدولة سوف يمر به، أو حتى لذلك الرجل الذى يجازف بروحه وهو يحاول الاستزادة من معدل الانتاج فى آداء المهمة التى أخذتها الدولة على نفسها وهى كهربة احدى القرى. ولكن النظام البعثى يرحب على أية حال «بتشجيع هذه الشريعة من التضحية فى جميع الأوقات، اذ أن جميع الأوقات له طوارئ. ومع ذلك فإن الحر الفكر يعتبر أن مثل هذه التضحية أمرا سخيفا، اما البعثى الصادق فى ايمانه فيحس بسعادة عندما يضحى بنفسه فى سبيل مستقبل القضية. أو عندما يتعرض على الأقل إلى المخاطر بسببها. وهو لايفكر انه بعمله هذا يضحى بالحرية، وإنما يعتقد أن التضحية فى ذاتها هى الحرية. ولكننا نرى أن ذلك ليس الا عكسا للغريزة الانسانية يسير جنبا إلى جنب مع كل محاولة للتضحية بالجيل الحاضر فى سبيل خلاص اجيال الغد من كل عبء. وقد يكون مصير مثل هذه التعصبات غامضا كل الغموض، ولكن هذا التعصب يقوى بالفعل احساس الفرح من السير نفسه. أما السياسة فهى على سبيل المفارقة ومستبصرة، فالدولة السياسية لاتطلب من مواطنيها التضحية بأنفسهم الا فى الدفاع عن البلاد وفى حالات الطوارئ، ولكن ثمة ماهو أكثر من هذا التناقض، اذ أن هناك عنف يبدو غير معقول فى النظام البعثى يهدف فى الحقيقة إلى تحطيم معقول للعقائد الضرورية للسياسة.

ولندرس الآن احدى مؤسسات النظام البعثى ولعلها اعجبها واكثرها ابراز لشخصيته، اذ انها من افظع البتكرات فى التاريخ الانسانى واعنى بها معسكرات الاعتقال، ولاشك فى أن تذكرها يثير الشجن فى نفوسنا، ويحملها عبئا لاتطيقه، فقد تكون عملية الخنق على صعيد الجماهير، أو عملية الابادة حلا عمليا لبعض المشاكل الادارية التى تمثلها التباينات

السياسية وقد نضطر عند الحديث عنها ، إلى البحث عن كلمات ضخمة، أذ من الواضح أن ماجرى ويجرى فى هذه المعسكرات يمضى إلى أبعد من حدود قواعد استعمل السلطان، ولقد شهد المئات بعد المئات عن المدى الذى وصلت اليه المعسكرات التابعة لجهاز المخابرات العراقية، لافى أمانة ساكينها فحسب، بل وفى تحطيم أرواحهم ومعنوياتهم قبل الموت. ولقد قيل أن هناك شعوبا دنيا وهم الأكراد والتركمان، ولذا فمن الواجب ايصال افراد هذه القوميات إلى الدرك الأسفل من الاذلال... ولقد كان انتصار الحرس البعثى من القوات الخصة، يطلب إلى الضحية المعذبة، السير إلى حتفها دون اعتراض، وان تتخلى هذه الضحية عن مقاومته وتحل إلى الحد الذى تعجز فيه عن تأكيد وجودها ، ويبدو أن هؤلاء الرجال من الحرس كانوا يبحثون عن «عمى» وأن كان متعمداً عن كشف جوهرى للشخصية لايستطيعون العثور عليه فى انفسهم وذلك لاذلال هذا الجوهر وتحويله إلى السلبية قبل الموت.

وكانت هذه الفظائع العميقة جزءآ من ادارة النظام البعثى واكثر من نزوات سادية عارضة. وتبدو هذه الاجراءات كبيرة الأهمية للطريقة البعثية فى السيطرة ويرى صدام حسين بطل التحرير القومى كما يلقب نفسه فى هذا الاذالال الذى يلحقه رجال مخابراته بالمعتقلين وسيلة لتعزيز أعبائهم بتفوقهم الروحى، وكذلك يراه برهانا على أن البعثى لايؤمن باستحالة أى شئ وتأكيدا على أن العاديين من الناس الذين لايعرفون عن هذه الأمور شيئا لايستطيون أن يصدقوا مالا يعرفونه، اذ أن المعرفة قد تشكل عبئا لايطاق.

ولقد اتبعت بعض هذه الأساليب المتقدمة فى الهجوم على الشخصية الانسانية فى المعتقلات العراقية، وان كان استعمالها اقل تعمدا واصرارا

منه فى المعسكرات النازية. وقد اعتمد التفكير البعثى فى هذه القضايا على الانتقاء، واقتصر استعمال هذه الأساليب على معاقبة بعض المعتقلين السياسين المعينين، وعلى اعداد ضحايا نموذجيين أمام ما يسمى بمحاكم «مسلم الجبورى». ونحن نعتقد أن السبب فى الكثير من فظائع المعتقلات العراقية، ناشئ عن اندفاع البيروقراطين المسئولين عن هذه المعتقلات، وعن عدم اكثراثهم بالحياة الانسانية، وقد ابتكر النازيون وسائل جديدة لقتل الناس واذلالهم. أما البعثون فيتركونهم وشأنهم حتى يذووا من انفسهم، لوكانا هذا الاندفاع وهذا التجاهل، يعزوان- مباشرة وقبل كل شئ- إلى التفكير العقائدى، فالناس الذين لايؤمنون بالبعثية، ولايعملون بموجبها، يفقدون صفتهم الانسانية فى عرف العقيدة البعثية.

ولا يفقد نزيل المعتقل حقوقه الانسانية فحسب، عن طريق اضاعته لشخصيته كمواطن، بل يجب أن يفقد ايضا قواه الروحية بالاضافة إلى حياته، وذلك قبل أن يقوم الدليل الكامل على صحة العقيدة. وتبرهن البعثية على أن أولئك الذين يعارضونها او يقفون موقف اللامبالاة منها. لايستطيعون ان يتمتعوا بأى حق فى الدفاع عن ذرة من كبريائهم أو كرامتهم او احساسهم بوجودهم الشخصى بعد أن يبتروا من العلاقات الاجتماعية العادية. ولا يمكن البرهنة على النظرية العامة للعقيدة البعثية، طالما أن هناك ولو لمحة واحدة من ملامح الشخصية المطلقة حية فى كيان خصومها الفعليين أو المحتملين ولايمكن أن تظهر صحة النظرية العامة للبعثية إلا عندما ينتزع من الفرد كل ماله من وجود اجتماعى سابق، فيجد هذا الفرد نفسه، وقد عجز عن ايجاد ما يرتكز عليه. ويقول البعثيون: أنه لا شئ هناك الا الوجود الاجتماعى، أما الفرد لا استقلال له فى أى مجال.

ولكن علينا نحن أن نقيم الدليل ايضا عن طريق هذه الملاحظات الرهيبة على أن هناك ناحية فى الانسان يجب أن تكون مستقلة عن الظروف الاجتماعية، وعلى أن الوجود الانسانى لا يعتمد على الاعتماد على الوعى الاجتماعى، وعلى أنه فى الوقت الذى ينشد البعثيون تحطيم هذا الاستقلال الذاتى الانسانى، تتمسك به الأنظمة السياسية تمسكا قويا، وكل انسان عادى يجرؤ على قراءة الكتب المعروفة تمام المعرفة والوثائق التى تبحث فى أساليب استخدام النظام البعثى للارهاب والقتل كطرائق عادية للحكم، وهى أساليب نجد نحن العاديين المبررات لعدم مواجهتها- لا يستطيع الا أن يحس بالعطف والتفهم لهؤلاء الأفراد المعزولين الذين يتحدون هذا النوع من النظم المتعفنة، والذين اما أن يجدوا انفسهم يواجهون حياة من ازدواج الفكر، أو تنكرا مستمرا للحرية فى اجرائهم، أو تحطيما واعادة لنفسياتهم. والانسان الذى يولد من جديد لا يولد حرا. ولكن هذا العطف كثيرا ما يخلق الكراهية، بالنسبة الى القيم الانسانية والى أولئك الذين يعيشون فى انظمة حرة ويسعون الى ايجاد المبررات لهذه الأمور.

وهناك بعض السر فعلا فى أهمية التباين بين الجماعات وأهمية الفرد الموجود للسياسة. ولقد رأى ارسطو هذا الأمر بوضوح عندما قال «أن على الطاغية اذا اراد النجاح لحكمه ان يمنع قبل كل شئ الولائم العامة والنوادى والتعليم، وكل ما يماثلة». أى أن يتخذ موقفا دفاعيا من كل ما يمكن ان يولد خصلتى الثقة المتبادلة والروح المعنوية. وتنشأ الثقة المتبادلة فى التجارب المشتركة. ومن هنا نتبين ضرورة تحطيمها اذا كانت لا تخدم الأهداف الفورية للعهد القائم.

واذا كانت «الروح العالية» الاغريقية صفة خلقية ولها محتواها المعين الذى لا يمكن تطبيقه على العالم المعاصر، فانها تشير مع ذلك الى الحدود نفسها من التجارب الفردية، والى الحيوية البشرية التى يتحتم علينا تحطيمها، والتى يجب على السياسى ان يتعهدها بالعناية، ولا يستطيع العهد السياسى ان يفرض على مواطنيه فى الحقيقة أن يؤكدوا وجودهم هذا. ولكن هذا العهد السياسى يفقد طبيعته السياسية اذا حاول ان يحرمهم حقهم القوى فى أن يحيوا حياتهم الخاصة أو فى الخارج ضمن الحقل العام، على النحو الذى يختارونه.

واذا تعرفنا بصورة غير طبيعية وحاولنا أن نرتب كل ما لدينا من فردية وكل ما لدينا من تباينات مشتركة فى مشروع عام واحد. فان هذا المشروع يصبح هداما وأحمق، تماما كمطاردة القرصان الأبيض، أذا كانت المطاردة بطولية، ولكنها خالية من كل انسانية وقاتلة . فلقد كانوا رجلا واحدا لا ثلاثين. وبالرغم من أن السفينة الواحدة ضمتهم جميعا، وقد صنعت من كل المتناقضات، كالخشب بأنواعه، أو كالحديد والقنب، فان هذه المتناقضات جمعت كلها فى الهيكل المسلح الذى استمر يشق طريقه موزونا وطبق توجيه الدفة المركزية الواحدة وانصهرت فرديات البحار جميعا كشجاعة هذا أو جبن ذاك، وجريمة هذا او نقاء ذاك فى جمع واحد وجه نحو هدفه المنشود بقيادة سيدهم الذى يرشدهم بدفته الى المكان الذى يقصدون اليه.

وقد تكون السياسة مزيجا معقدا ومفتقرا الى الشمول، وبعيدا عن العاطفة القوية الايمان، وعن السحر الخلاب الذى يخلقه الرفيق البعثى المتعجرف فى بحثه عن القضايا التى تهز العالم، الا أنه- حتى فى أسوأ

الظروف السياسية- قادر على إعطاء حق الخيار للانسان بالنسبة الى الدور الذى يؤديه ومنحه مجموعة من التجارب المتحدة، وقدرة على الاستقلال بروحه ولعل أقصى ما يمكننا الايمان به بالنسبة الى السياسة هو أنها شئ حتمى لا يمكن تجنبة، الا اذا مضى العهد بعيدا فى طريق الاكراه والتحديد، والا اذا كان هذا العهد يقرر الأمور على صعيد العقيدة، والا اذا كان الاتفاق على «الجوهريات» ضمن اطار المجتمع السياسى. مستحيلا، الا عن طريق القوة أو الخداع، فالاتفاق الأساسى الوحيد فى العهد السياسى، يكون باستخدام الذرائع السياسية. ولما كانت السياسة نشاطا فليس فى الامكان تحويلها الى نظام ذى عقائد محدودة أو الى مجموعة من الأهداف الثابتة.

ومن الواجب مقارنة التفكير السياسى بالتفكير البعثى عن طريق اظهار الفروق بينهما. ولا يمكن للسياسة أن تؤمن لنا العقيدة، فالبعثية تعنى نهاية السياسة، وان كان فى وسع العقائد ان تتصارع ضمن النظام السياسى، هذا اذا اتسمت بالضعف، واتسم النظام بالقوة.

وقد يعتقد بعض الكتاب ان العقيدة لا تعنى أكثر من طراز من التثبت المتحمس. وحتى على هذا الصعيد، فانه لا يمكن فى رأينا الجمع بين الحرية والعقيدة، فعندما يكون كل شئ معروفا ومقررا ومؤكدا تصبح الحرية مستحيلة. فالأعمال الحرة دائما، اذا شئنا الدقة فى القول أعمالا غير لازمة، ولايمكن للساسة أن يستخدموا العقيدة كسلاح لأن هذا السلاح يقتل صاحبه، ويعرف البعثى على الأقل أن الاعراف السياسية هى عدوة الأكبر. ولقد يلجأ الى استخدام السياسة بعض الوقت ولكنه يستخدمها ليحطمها.

وعلى هذا النحو، لا تكون السياسة مجرد تمسك بفكرتها، كما لا تكون

مجرد تجميد لتقاليدها. فهى نشاط فعال وتكيف مرن وعامل على التوفيق، والسياسة هى الطريقة التى تحكم بها المجتمعات نفسها. أما أشكال الحكم الأخرى على طريق «الشاكوماكو» فشئ ثان.





الفصل الرابع
مدرسة مبارك السياسية

السياسة هى العمل الذى يشغل الكثير من المثقفين، ووجودها دليل على وجود الحرية ثم إن السياسة، كما وصفها «أرسطو» هى ملكة العلوم، وليست كما يعتقد البعض «شرا لابد منه». ذلك لأنها العلم الوحيد الذى يهدف إلى خير جميع العلوم والنشاطات الأخرى. فهى لاتحطم أيا منها، وإنما تتعهدها كلها بالرعاية والعناية بقدر ما تسمح هى لها بهذه الرعاية

ومن هذا المنطلق تصبح السياسة فى تصور الرئيس مبارك عالم تمدين وتحضر، فهى فى مفهومة تنقذ الجنس البشرى من المشاكل التى تظهر الدولة فى خضمها كسفينة تهددها الأجواء العدائية، وهى تظهر الدولة، وكأنها مدينة مستقرة على أرض ثابتة خصبة هى جزء من الأرض.

ويقول الرئيس مبارك أنه بالرغم من أن السياسة، قد لا تهبنا ضمانات كافية ضد الأعاصير الزاحفة علينا من البحر، ولكنها تمنحنا كما يقول شيئا

يستحق أن يدافع عنه فى أوقات الطوارئ، وفى خضم التهديد بالكوارث.

ويعتقد مبارك أنه إذا كانت السياسة تصون الحد الأدنى من منافع النظام العام، فإنها يمينية، فيما تتألف من حريات معينة ولأنها تقتضى التسامح، ثم هى إشتراكية فيما تخلفه من أوضاع لإجراء تحول إجتماعى مدروس تحصل فيه الجماعات بأن لها نصيبا مشتركا فى رخاء المجموع وبقائه. ويرى الرئيس أن التأكيد قد يختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف حتى باختلاف أمزجة الناس، ولكن جميع هذه العناصر قد تكون ماثلة فى جزء واحد معين، وعن طريق الحوار، يصبح التقدم- فى تصوره- ممكناً ولاتكون مهمة السياسة الحفاظ على القلعة وجدها. بل إنها تخلق مجتمعا ناجحاً متعدد الألسن خارج أسوار الحصن أيضا.

وعلى ذلك الأساس. يرى الرئيس مبارك أن السياسة هى طريقة للحكم فى المجتمعات المجزأة، التى تعرف العنف الذى لا مبرر له وهو يعنى بهذا التأكيد «تاريخيا»، أن ثمة مجتمعات تضم على الأقل أنواعاً من المصالح المختلفة، كما تضم وجهات نظر مختلفة معنويا، ويعنى بها «سننا» يجب- فى تقديرة- أن يفضل فيها التوفيق على الإكراه بين الناس العاديين.

ويقول مبارك أنه إذا أردنا أن نمضى إلى أبعد من هذا الحد الأدنى من الإدعاء، فمعظم المجتمعات المتقدمه تقنيا، هى مجتمعات مجزأة، وهى تعيش- كما يقول- على التعددية لا على الفردية.

والحكم السلمى- فى تصور مبارك- أفضل فطرياً من حكم العنف، والسنن السياسية ليست نوعا متدنيا من النشاط السننى. وإنما هى مستوى

من هذه الحياة منطو على ذاته إنطواء كاملا، وله كل ما يبرره. ومن هنا- يتصور الرئيس- أن السياسة ليست «شراً لابد منه» وإنما هى خير واقعى.

وفى مفهوم الرئيس مبارك أن النشاط السياسى نوع من النشاط الاخلاقى، فهى نشاط حر وخلاق، نشاط مرن وممتع وإنسانى. ففى وسعه- كما يعتقد- أن يخلق إحساساً من روح الجماعة، لكنه لا يكون مثلا عبداً للقومية، وهو كذلك لايدعى لنفسه حل كل أشكال، أو بعث البهجة فى كل قلب حزين. ولكنه- كما يؤكد- يستطيع أن يعين إلى حد ما فى حل كل شئ. وعندما يكون فى كامل قوته يستطيع أن يمنع ما يمتاز به الحكم المذهبى من خديعة ومن قسوة. وإذا كانت أساليبة الفعلية أحياناً غير مشذبة ومفتقرة إلى الكمال إلا أن نتائجة.- فى تصوره- أفضل دائما من نتائج الحكم الجماعى أو الأوتوقراطى، شريطة أن تؤمن لنا السياسة- على حد تعبيره- قدراً كافيا من النظام أما عن طريق الخلق أو طريق الحفاظ، تمكن الدولة مع البقاء والحياة.

ويقول الرئيس مبارك؛ أن رسم صورة مقبولة إلى حد ما تمكن الإنسان من العيش مع من يمتدحه وإذا تساءلنا متى تكون السياسة ممكنة؟. فإن مبارك يجيب قائلا، أنها ممكنه فى المجتمعات المتقدمة والمتحضرة، أى المجتمعات التى يكون فيها تنوع فى المهارات التقنية، والتى لا تعتمد فى إزدهارها أو بقائها على طراز واحد من المحصولات أو الموارد، وبالطبع فإن جميع المجتمعات والشعوب لم تصل بعد إلى هذا الوضع، فهناك- كما يقول- بعض المجتمعات البدائية القريبة من الحد الأدنى للعيش، تعتمد على الكدح الدائب فى جنى محصول واحدأو الإتجار بسلعة معينة، وعلى نجاح هذا



الرئيس صدام حسين يرحب بالرئيس حسنى مبارك عقب وصوله بغداد

الكدح نجاحاً غريبا، وهى لهذا عاجزة عن تكديس أية رؤوس أموال. ولذا تتقدم فيها أوقات الفراغ والتسلية، وتفتقر إلى الحد الأدنى من التسامح مما يبعد- فى تقديره- أى إحتمال للثقافة السياسية فيها.

ويضيف مبارك قائلا: إنه قد لا يوجد فى هذه المجتمعات ذلك التنوع فى المصالح الذى يخلق- فى تصوره- الإعتراف النظرى بوجود الحلول البديلة، أما إذا وجد الحلول البديلة فإنه يكون ترفاً يهدد الوجود الصريح للمجتمع بالخطر وتعدد الدول المتقدمة فى أوقات الحروب والأزمات الطارئة إلى هذا الوضع، إذا كان كل شئ- كما يؤكد الرئيس- معتمد على القوة العسكرية. ولكن الشعوب التى الفت السياسة فإنها- فى رأيه- تكون اكثر تردداً فى قبول هذا الوضع دون قيد أو شرط، ولكنها تتقبل المغامرة بحقها فى الوجود رغبه منها فى الحفاظ على الحرية. والتنوع فى الموارد والمصالح تعليم فى حد ذاته. وعلى الناس الذين يعيشون فى هذه المجتمعات- كما يتصور مبارك- أن يقدروا إلى حد ما طرق العمل البديلة، حتى ولو كانت هذه الطرق تخيلية. ولا يكون هناك مثل هذه الحالة مجرد أسلوب فى عمل شئ واحد من الأشياء، بل معرفة مطلقة بالطريقة التى تعمل فيها سائر الأشياء. وتمثل هناك أيضا تجزئة فى العمل وهى تخلق فى حد ذاتها مدلولات لرؤية العلاقات بين الأجزاء المختلفة فى حدود المعرفة المطلقة.

وفى اعتقاد حسنى مبارك أنه ليس ثمة من مستوى له حق الأولوية فى التعليم حتى ولو كان مثلا تجربة مكافحة الأميه فإنه يمكن- فى تقديره- أن يكون شرطا ضروريا للسياسة، فمستوى التعليم يكون نسبيا مع مستوى التطور التقنى. وتنشأ المشكلة العصرية الفردية فى بابها- كما يتصور

مبارك- عند ما يتم إدخال التقنية الصناعية المستوردة المتقدمة فجأة فى منطقة متخلفة نامية. فسيكون من الحتمى- فى مفهوم مبارك- فى مثل هذه الحالة مرور فترة زمنية على الأقل تنقضى بين قدرة البلاد على التصرف بهذه المهارات والرساميل فيها. وقد يعينها- كما يقول- بعض الشئ أن تدخل فى الوقت نفسه الأفكار الغربية مثلا وبينها بالطبع السياسات الحرة، فإدخالها يعنى مورداً، بل ومهارة أيضا. ولكن على السياسة- فى رأى مبارك- أن تلعب دورها فى مثل هذه الحالة بأن تناضل ضد إحساس فطرى بأن إدخال التقنية العلمية والصناعية. وهو عمل متناة فى الطبيبة- على حد تعبير الرئيس- لأنه آداة موحدة. ويصبح التصنيع- فى تصوره- فى البداية شاملا، وتختلط حقيقة الآلات الجديدة بعقيدة التقنية، فالتقنية، تحل كل شئ. إذ أن جميع المشكلات تقنية. ومن الممكن- كما يعتقد مبارك- أن يكون الزمن وحده هو القادر على أن يظهر أن كل مرحلة من مراحل التصنيع لا تتطلب مجرد الخيارات الواقعه فى السياسة فحسب بل تخلق أيضا الفروق الجديدة الواقعية كذلك.

ويقول الرئيس مبارك أن هناك يتركز بالطبع الأمل الكبير فى أن تنمو الحرية فى هذه البلاد العربية ذات نظام الحزب الواحد- وهو يقول أيضا- أن تعقيد المجتمع الصناعى سيفرض التفاهم الأصيل، أولا بين الحزب والمديرين، وثانيا- بين الحزب والعلماء وبسبب أعمالهم من اللقاء، ومن تنمية مصالح مشتركة لهم قد تختلف عن مصالح الحزب وعن مذهبه العقائدى.

والرئيس مبارك دائما متفائل، فهو لا يشك فى منطق هذا الأمل، ولكنه يقول بأنه مجرد أمل. فهناك- كما يقول مبارك- أوضاع معينة فى المنطقة

العربية تعرقل طريق تحقيقه، وهناك أو لا سلطات البيروقراطيه. فلقد كان من الشروط الأولى لقيام عملية تثبيت الدولة- كما يقول الرئيس- نمو البيروقراطيات المركزية الماهرة، وفكرة البيروقراطية الإيجابية التى تقصف بالمهارة والقيمة والثبات أساسية فى جميع الدول. والبيروقراطيه كالديمقراطية، كما يراها مبارك- قوة تعزز أية دولة سواء كانت سياسية أم أو توقراطية أم جماعية. وفى وسعها- كما يقول- أن تصبح أكثر من مجرد وسيط بين العلماء والمديرين والعمال، مركز السلطان. وفى وسعها أن تصبح قوة محافظة فى عملها لمصلحة كل من يملك الإشراف على الدولة فى الوقت الذى تبرأ فيه هذه التغييرات العظيمة. ويجب أن ينظر إلى هذا التعامل- البروقراطى المنكفئ الضدين اللازم لجميع الدول، إذ يعزز الحرة منها وغير الحرة على السواء فى محتواها كعقبة ثانية أمام الأمل بأن يخلق التصنيع الحرية نفسها.

ويقول الرئيس مبارك، أن هناك أيضا ناحية فى التصنيع، يود أن يؤكدها، وهى تمثل الهجوم الشديد على السياسة وكراهيتها، ويؤخذ على السياسة نفسها أنها تجزئ الجماعات، وأنها تفتقر إلى الكفاية والشمول وأنها غير علمية وذلك تحت ستار فكرة علمية قوية، وإن كانت- فى رأية- زائفة ومصطنعة. ويحل التفكير العقائدى محل التفكير السياسى. وهو يؤكد على أنه لا يمكن تجاهل ما فى الأفكار المطلقة من قوة، وإن كانت «الموضة» الاكاديمية- على حد تعبير الرئيس- هى تجاهلها فى عصرنا الحديث.

ويضيف الرئيس مبارك قائلا؛ بأنه يمكن القول على هذا الأساس بأن

الحكم السياسى ممكن فقط عند ما تكون بعض القوى القوية فى أى مجتمع راغبة فيه. ومقدرة له وينتج عن هذا أن السياسة لا تكون ممكنة عندما يكون الناس راغبين عنها.

وفى تقدير مبارك، أنه لا يكون عنصر الإرادة مستقلا عن الظروف، ولكنه كان دائما يلقى بثقله إلى هذا الجانب أو ذلك فى كفتى الميزان، ومن الطبيعى- كما يعتقد- ألا يكون ثمة أدنى شك فى العصر الحاضر فى أى من الثمرتين العظيمتين للعالم المتقدم حضاريا، وهما السياسة والتقنية، تلقى المزيد من الطلب- وهو يقول- بأنه، إذا كان التاريخ قد أظهر أن هاتين الثمرتين قد ظهرتا معاً، فليس ثمة ما يضمن أن فى استيرادها من قبل الدول النامية مستقلا معا بنفس الود والترحاب.

ويعتقد مبارك أن اليد العاملة فى حد ذاتها عامل كبير الأهمية فى احتمال ظهور السياسة فى الدول النامية. وشدة الطلب مع موارد المتعلمين، وعلى العدد القليل المتوافر من ذوى المواهب الفعلية وعلى العلماء والاطباء والمهندسين، وقد يجعل- فى تصوره- مهضه السياسة تبدو وكأنها ترف لامبرر له. أو كأنها الشخصيات التى يستمر تمثيلها لغيرها فى المجتمعات ذات التعددية الحزبية.

ويذكرنا الرئيس مبارك أن رجل القانون يحتل دائما مكانا هاما، فمهنة المحاماة فى مصر- كما يقول- كانت الدرب الوحيد للتقدم الإجتماعى بالنسبة إلى المتعلمين، كما كانت نقطة الوثوب فى الميدان السياسى. وقد بات- كما يعتقد- أن العرض بالنسبة الى المحامين الآن اكثر من الطلب. وذلك على صعيد العمل القضائى المجرد. وهذا يعنى- فى مفهومه- بقاء



صدام حسين ومجموعة من الأكراد ـ ٢١ / ١١ / ١٩٨٣

القيم السياسية على قيد الحياة. إذا تصبح السياسة هى الحلبه التى يؤمن بها الموهوبون الذين لا عمل لهم. ولكن هذا قد يعنى- فى اعتقاده- أنه إذا تم إسكات المعارضة تطبيقا لمبدأ أو الضرورة مزعومة، فإن عدد ذوى المواهب اللازمين للبيروقراطية المستنيدة يكون مضمونا. فالامل والخوف- كما يقول- ينبعان من جديد من المصدر نفسه ويعتمد القرار من جديد وإلى حد كبير على الحب الواعى للسياسة.

ويؤكد حسنى مبارك على أنه من الأشياء ذات الصلة الوثيقة بهذا القرار ما يعنيه بعض الكتاب من الحديث عن السنن السياسية والسنن الدستورية على إعتبار أنهما شرطين للمجتمعات الديمقراطية. وعلى أنهما يعنيان أن من واجب الناس الموافقة على حل المشاكل الإجتماعية بالوسائل السياسية والقانونية وتقبلها- وهو يقول بأن الزمن الذى كان فيه الناس يشكون من الأحزاب والتحزبات على أنها ليست فى الواقع إلا ظواهر أنانية ومجزأة لوحدة البلاد قد انقضى. ولكنها مع ذلك- فى رأية- طبيعة حتمية ولا يمكن القضاء عليها إلا بالقضاء على الحرية نفسها. ولهذا- يؤكد الرئيس- أنه يجب تحديدها وكبح جماحها لا تحطيمها. أما وقد تضمنت الدولة وتوسعت وأصبحت أكثر تعقيداً، فإن فى وسع مبارك القول بأن هذه التحزبات أو على الأدق الأحزاب لأن الآخيرة- فى تصوره- هى القادرة على تشكيل الحكومات المسئولة الضرورية للسياسات الديمقراطية فى الدول العصرية. وعليها- كما يرى الرئيس- أن تتابع السير لتحقيق غاياتها الأنانية- وذلك لأنها الطرق المبتكرة مهما كانت عقائدها، أو مهما كان إفتقارها إلى العقيدة التى يستطيع الناخب عن طريقها إعتبار الحكومة مسئولة عن أعمالها، كما وأنها الموجهات التى تتعلم أية حكومة بوساطتها ما يمكنها

أن تعمله بأمان وبطريقة صحيحة، ولكن يجب إرغامها على أن تتابع السير فى طريق تحقيق أهدافها بشكل لايهدد أمن البلاد العام للخطر وأن تكون محدودة إذا أريد لهذه الأهداف أن تحظى بتأييد الجماهير ضمن الإطار الذى يمكنها من التحقيق دون أن تعرض السياسة للدمار. ويضيف الرئيس مبارك بأنه مهما كان الناس على إقتناع بصواب حزبهم، فإن عليهم أن يوفقوا بين مطالبة وبين حاجات الإطار الإنتخابى والقانونى حتى لا تصبح الثورة هى الطريق الوحيد لانتزاع السلطان منه واخراجه من الحكم، والتساهلات السياسة- كما يقول مبارك- هى الثمن الذى يجب أن تدفع للحفاظ على الحرية.

ويقول الرئيس مبارك أن أى قانون لا يستطيع البقاء إذا إزدادت الحاجات إلى المتطلبات الجديدة. وإذا لم يكن القانون الأساسى مرناً، فإنه- فى تقديره- يصبح وسيلة إعاقه بدلا من أن يكون طريق عون فى السياسات الديمقراطية، والدساتير نفسها مبتكرات سياسية. ويقول الرئيس أنه قد ينظر اليها فى المدى القصير على أنها حقائق ذاتية الإكتفاء، ولكن على المدى الطويل يكون النشاط السياسى هو الذى يضفى أى معنى على أى دستور أو ينزعه منه. وعندما تمتدح أى دستور، فإننا- كما يقول مبارك- لانفعل أكثر من مجرد مدح تلخيص معين لسياسة معينة فى وقت معين. وإذا كان التلخيص ذكيا وكانت الظروف مراتية فإنه- فى تصوره- قد يعيش فترة طويلة ويساعد على تأمين الإستقرار فى الدولة، ولكن المعنى قد يختلف على المدى الطويل. إن ظلت العبارات فيه ثابته لاتتغير ولم يتعرض لأية تعديلات ذات أهمية.

ويضيف مبارك قائلا: أنه ليس ثمة شك فى أن النظام القانونى المستقر ضرورى فى كل وقت لضمان الحرية والسياسة. والقانون أيضا- كما يؤكد- ضرورى فى أى مجتمع مهما كان معقداً- ومن الواجب- فى تصورة- أن يتبين الشعب ما هية هذا القانون بصورة دقيقه إلى حد ما. وأن يعرف أفراده بطريقة إستخدامه. والنقاش لا السياسة- كما يقول- هو الشر الذى لابد منه فى الدول الديمقراطية. وأن الحاكم المستبد يطيع القوانين دون أن يشاور فيها أحداً أو يناقشة إنسان. وينظر الحاكم فى ظل الجماعية إلى القانون على أنه سياسة والناس يحاكمون لا لما يجترمونه من مخالفات للقوانين، بل لعدم إنسجامهم والعهد.

ويقول مبارك أيضا أنه لما كان عمل السياسة هو التوفيق بين المصالح المتضاربة، والعدالة يجب أن تنفذ فحسب، بل أن تراقب عند تنفيذها أيضا. وهذا ما يعنى به الكثيرون عندما يتحدثون عن «حكم القانون»، ويكون اطار التوفيق فى ممارسات معقدة، مخيبة للآمال، آمال الفريقين المتنازعين، وإن ضمنت الايصدر القرار الا بعد الإستماع بجميع الإعتراضات الجوهرية والشكاوى الأساسية، والإجراءات القانونية- فى تصور مبارك- ليست غاية فى حد ذاتها، وإنما تمكن الحاكم من عمل شئ، ولكن بعد تقديم ما فى الإعتراضات على الإجراءات من قوة. وتساعد الإجراءات- كما يقول الرئيس- على وقف كل من الحكومة والمتقاضين من التقدم بادعاءات لايستطيعان تنفيذها.

وفى تصوره أن الإجراءات سواء أكانت قضائية أو وبرلمانية تستطيع إذا اتيح لها شئ من السلطان المؤقت المستطيل أن تفرض على الأقل برغم ما

تتطلبة من جهد مضمن، وبرغم ما تصنعة من عراقيل، وما يتمثل فيها من تفاهة أحياناً، أعمالا عظيمة من التجديد الذى يمكنها من إيضاح نفسها علانية، وأن نترك- كما يقول- الباب مفتوحاً على الأقل لإجراء أية تعديلات فيها إذا كانت الحكومة قد أساءت تقديراً أكبر مما تستحقه السياسة، كقانون دستورى طالما أنه ليس ثمة شك فى ضرورة الإجراءات للسياسة، وطالما أن ليس ثمة شك فى أن كل إجراء معين، محدود بالزمان والمكان.

ويتصور الرئيس مبارك أن واجب السياسى دائما أن يسعى إلى كسب الوقت. ففى- إعتقاده- أنه من الطببعى الا يكون السياسى بالنسبة إلى ما يتحتم أن يتصف به من مرونه اكثر من رجل أقل إنطوائية أو طموحاً من الآخرين. وقد يستدر السخرية الرخيصة من الجماهير، ولكنه لاينظر إلى هذه السخرية نظرة جدية تنطوى على الإيمان. ومن واجب السياسى الناجح- كما يرى الرئيس- أن يتعلم إبتلاع الإهانات وإزدرائها- فهو لا يحقد أو يحتفظ فى ذاكرته بما يتعرض له من مهانات أو سباب، كما لا ينظر إلى المعارضة عندما يكون فى الحكم، نظرة شخصية جاعلا من كل إتهام مهين يوجه اليه قضية مبدأ أو مشكلة خطيرة جداً، وقد لا يكون السياسى شأنه فى ذلك شأن أى منا فوق جميع الصغائر والتفاهات، ولكنه ليس فى حاجة إليه. ولذا- ففى رأى مبارك- أن عليه ألا يظهرها، حتى إذا تعرض لإغراء ضخم.

الفصل الخامس
صدام حسين
والطريق إلى السلطة..

لا شك أن العلاقة بين الأرض والشجرة لاتحتاج إلى عمق تفكير، فنوع التربة وطبيعة المناخ هما اللذان يحددان حجم الشجرة وشكلها، وهذه قد تؤثر على ما حولها وتهئ المجتمع للحياة..

ومن هذا المنطلق، فإن البيئة تلعب دوراً هاما وأساسيا فى تكوين الإنسان، بنفس القدر الذى يلعبه المجتمع لتكوين بنيته الأساسية. وهى الأسرة.

وفى تقديرنا أنه ليس شرطاً أساسيا أن يكون الفرد إنعكاساً لبيئتة، هذا إذا سلمنا جدلا بأحدى نظريات علم الإجتماع، بأنه من الممكن أن تفرز لنا بيئة تعيش فى الرزيلة إنساناً صالحاً، والعكس. ولكن الرئيس العراقى صدام التكريتى قد تمكن من إثبات عدم صحة هذه النظرية.. وأكد بأن

الإنسان إن هو إلا إنعكاس لبيئته.

والواقع أنه لا أحد، بل وليس هناك ما يدل على الإطلاق أن يوم ٢٨ أبريل عام ١٩٣٧ هو مولد صدام على وجه التحديد. ودليلنا إلى ذلك أن المتبع فى ذلك الوقت، بل وإلى وقت قريب فى العراق. أن عمليات الزواج تتم بين مشايخ القبائل دون أيه أوراق رسمية؛ أى على الطريقة الشرعية البدائية، وهكذا تزوجت السيده صبيحه طلفاح أحد الفلاحين المعدمين والذى لايكاد يجد قوت يومه هو حسين التكريتى.. ومن هنا فنحن يساورنا الشك أن صدام حسين قد ولد فى هذا التاريخ، كما يعتقد بعض الكتاب الذين قاموا بتفصيل كتب عن الرجل، وبالتالى فقد ساعدوا بشكل غير مباشر فى تنمية ما يحمله من مرض منذ الصغر..

وقد ولد صدام يتيما، فقد مات أبوه بعد أعوام قليلة من زواجه. وبعد سنوات قليله وجد الطفل نفسه يعيش مع أمه التى تعيش فى أحضان رجل ليس والده، ولكنه عمه الفلاح البسيط جداً والذى إنحرف ليصبح زعيما لإحدى العصابات التى تقوم بسرقة الماشيةوغيرها. وهو إبراهيم التكريتى.

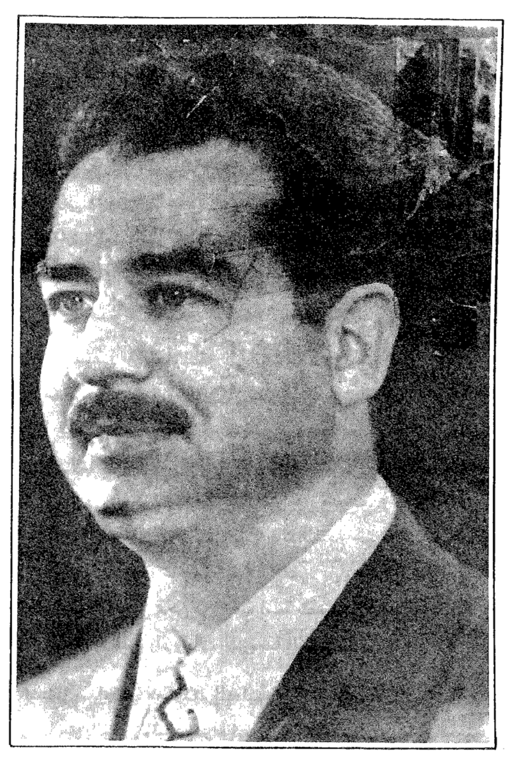
واكتشف صدام الحقيقة المرّة جداً، والتى كانت بمثابة الصدمة القوية الأولى، والتى كان لها اكبر الأثر فى تغيير مجرى حياته.. لقد إكتشف الطفل الصغير الذى لم يبلغ بعد السابعة من عمرة، أن والده لم يمت ميتة طبيعية، ولكن على طريقة ظاهرة قتل الأزواج التى بدأت تطفو على سطح المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة.. وقد ذكر لنا أحد شيوخ القبائل فى تكريت، وقد كان أحد جيران هذه الأسرة أن ابراهيم التكريتى والسيدة صبيحة والدة صدام كانا يعيشان قصة حب، إلا أن تقاليد العائلات فى ذلك

الوقت كانت نقضى بزواج الأخ الأكبر، وبالتالى فقد تزوجها حسين التكريتى.. وتولدت لدى الطفل عقدة الإنتقام والميول إلى العنف، بالأضافة إلى تأثيرات بيئة ليست زراعية، ولكنها صحراوية، بكل ما تحمله من أبعاد، كان لها الفضل الأول فى تكوين شخصيتة اللاسوية..

كان الشيخ خير الله طلفاح، وهو شقيق أمه، هو أحد الخدم الذين كانوا يعملون فى منزل رشيد عالى الكيلانى. ولم يكن ضابطا كما يدعى صدام أو أسرته، وكما تشير معظم كتابات بعض الإعلاميين الذين يستقون معلوماتهم من المصادر الرسمية العراقية، والتى تسير على طريقة «إنى لا أكذب.. ولكنى أتجمل».

ومن الطبيعى أن يلجأ الطفل إلى بيت خاله هرباً من بطش عمه الذى هو زوج أمه فى نفس الوقت. فقد كان فظاً غليظ القلب، وكيف لا؟ وهو من عتاة المجرمين فى ذلك الوقت. ولم يكن صدام قد تعلم بعد القراءة والكتابة حتى سن التاسعه من عمرة تقريبا إذا سلمنا جدلا بتاريخ ميلاده الذى يعتبر عيداً قوميا فى العراق. والذى نشك كثيرا فى صحته. وحيث كان قريبا من بعض الذين كانوا يترددون على بيت خاله الشيخ خير الله طلفاح.. حيث كان أحدهم يفك الخط، مما أثار إعجاب الفتى. بل ودفعه إلى محاولة تعليم الحروف الأبجدية حتى تمكن من كتابة إسمة بنفسه هادفاً من وراء ذلك قراءة بعض قصص الأطفال والروايات التاريخية البسيطه.

إستمر صدام فى محاولاته للتعليم، وبذل الكثير من الجهد والمحاولات التى باءت بالفشل لإقناع أسرته فى أن تساعده لتحقيق حلمة الكبير، وهو الألتحاق بالمدرسة.. ونظرا لأنه كان عنيدا عناد الأطفال، فقد قرر أن يغادر



صدام حسين نائب رئيس الجمهورية العراقية

تكريت الى بغداد. ويحاول صدام حسين أن يزعم بأن هذا القرار كان بهدف التعليم فى الدرجة الأولى، ولكن الحقيقة أن الدافع الأول لإنتقاله الى بغداد كان هرباً من عمه الذى كان قاسياً معه لسبب فى نفس يعقوب، كما كان يحاول الضغط عليه لكى يعمل معه فى مجال الإجرام. ثم كان أيضا محاولة للخروج من حالة الإكتئاب النفسى التى كانت تسيطر عليه إلى حد مميت.

ذهب صدام إلى أحد أقربائه الذى يقطن فى أحد ضواحى بغداد، حيث وجد له فرصة عمل فى أحد مقاهى بغداد ليتمكن من الإنفاق على نفسه. وحيث كان طه ياسين رمضان نائب رئيس الوزراء العراقى يعمل بائعاً للثلج. ومن هنا بدأت العلاقة بينهما قوية متينة.. وقد تنقل الفتى من عمل إلى آخر، وفى نفس الوقت التحق بالمدرسة حيث تمكن فى أوائل عام ١٩٥٧ من الحصول على شهادة إتمام الدراسة الإعدادية على حد زعمه.

فى تلك الفترة- مغادرة صدام من تكريت إلى بغداد- أى فى حوالى عام ١٩٤٥ على وجه التحديد كانت حركة البعث التى كان ميشيل عفلق أحد مؤسسيها، وهو يهودى، صار نصرانيا، ثم مسلماً بعد أن استقر فى بغداد.. حتى يتمكن من البقاء فى مجتمع كان اليهود فيه غير مرغوب فيهم خاصة والصهيونية العالمية كانت بصدد تنفيذ خططها فى فلسطين المحتلة. وهذا ما تدلنا عليه الوثائق الرسمية.. نقول أن حركة البعث فى سوريا، قد تمكنت من التحول من مجرد تنظيم سياسى فوضوى متطرف إلى «حزب».. وكانت الحرب العالمية قد وضعت أوزارها.. وتعاظمت فكرة الوحدة العربية التى كانت تستقطب الكثير من الشباب المتحمس، فى وقت كان فيه الإحتلال

الأجنبى البغيض يجثم على صد الأمة العربية، وكان أيضا الإقطاع المتحالف مع الأجنبى والرأسمالية المستغلة، وقبل هذا وذاك فقد كانت دول المنطقة تعيش عصر الملكية الفاسدة.. بالاضافة إلى محاولات الصهيونية العالمية المتكررة تمهد الطريق لاشاعه وطن قومى لليهود فى فلسطين. وكان ذلك بمثابة الإمتحان الخطير جداً للأنظمة العربية القائمة التى لم يكن إسقاطها أحد الاختيارات، بل كان الطريق الوحيد الذى يسلكه كل التنظيمات فى أنحاء الوطن العربى. إلا أن الإنقلاب الذى قام به حسنى الذعيم فى سوريا، وهو أحد مؤسسى حزب البعث، وكان ذلك فى عام ١٩٤٩، لم يكن فى مستوى التغيير المطلوب، وهذا- فى إعتقادنا- هو السبب الأول الذى خلق إحباطاً كبيرا فى نفوس رواد هذا الحزب الوليد- حزب البعث السورى.

والشئ الملفت للنظر، أن هذا الحزب قد إتخذ موقفا غريبا وشاذاً، ومناقضا لمبادئة التى يدعيها، من الثورة المصرية- ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢- ومن زعيمها جمال عبدالناصر. وليس لشئ، إلا لأنه لم تكن تروق لهم أن يكون على المسرح السياسى العربى أحداً غيرهم، وبذلك يضمنون زعامة الأمة العربية. وهذه عقدة البعث إلى اليوم، وهذا إذا جاز لنا أن نعتبرة «حزبا» بما تعنية كلمة «الحزب» من أبعاد.

كان العدوان الثلاثى على مصر على ١٩٥٦، عقب تأميم الزعيم الراحل جمال عبدالناصر لقناة السويس.. هو السبب الرئيسى الذى خلق حالة من المد القومى فى هذه المرحلة، توجت بقيام الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ بناء على طلب سوريا ورئيسها السيد شكرى القوتلى. وكذلك أيضا ثورة ١٤ يوليو فى العراق فى نفس العام.

فى النصف الثانى من عام ١٩٥٧ ، كان صدام حسين قد بلغ العشرين من عمره.. فانضم الى حزب البعث.. الذى تولى السلطه، بتولى عبدالكريم قاسم السلطة أو الزعيم الأوحد، كما يلقب نفسه.. ويبدو أن قراءة تاريخ العراق، يلقى الكثير من الضوء على أن كل زعماء العراق لم يكونوا إلا أناساً مرضى.. ولست أدرى هل بعيد التاريخ نفسه مع صدام حسين، أم أن صدام هو الذى حاول أن يقتدى بهذه النفوس المعقدة المريضه.

إن الرئيس الأمريكى «رونالدريجان» كان ممثلا سينمائيا، تحول إلى رئيس اكبر دولة فى العالم. واعتقد أن هذا شيئا طبيعا. ولكن اللاطبيعى، بل والمدهش حقا هو أن يتحول رئيس العراق إلى ممثل يريد أن يلعب دور من سبقوه من الزعماء الذين لاقيمة لهم.

انفرد عبدالكريم قاسم بالحكم فى العراق، وراح يصفى كل رفاقه وزملائه الواحد تلو الآخر، وانحرفت مسيرة تلك الثورة، تحت قيادة الرجل المريض، اقول إنحرفت إلى مستنقع دموى.. وهذا أمر طبيعى جداً فى العراق، إذا قرأنا تاريخه. وسقط أحد أحدا عوان عبدالكريم قاسم فى تكريت. فكان من الطبيعى أن تقوم السلطات باعتقال كل من تشتبه فيهم. وكان صدام حسين هو أحد هؤلاء المشتبه فيهم. وأودع السجن دون أن يقترف إثما، سوى أن إسمه كان مدرجاً بقوائم المنتمين إلى حزب البعث. وهكذا وجد الشاب الصغير نفسه وقد إرتدى ثيابا أكبر كثير مما يتخيل أو يحتمل هو نفسه. حيث أن مجرد وضعه فى السجن- فى تقديره- إنما يحق له صفة المناضل الكبير. ويبدو وأنه تقمص الدور، وعاشه وتعايش معه حتى يومنا هذا، وقد ساعدة على ذلك موهبته الفائقة فى فن التمثيل، والذى نؤهله وتزكيه

بلالتحاق بأكاديمية الفنون المسرحية.

وبعد أن أطلق سراحه، وخرج من السجن، وجد فى إنتظاره أمراً حزبيا بالسفر الى بغداد حيث يلتقى مع أحد زعماء التنظيم البعثى، الذى قام بدورة يعمل غسيل المخ المعتاد، والواجبات اللازمه لتهيئة شاب نصف متعلم للقيام بالاشتراك فى مهمة خطره.. وفعلا سافر مع رفاقة الى بغداد حيث إنتظروا عبدالكريم قاسم، وهو يمر بسيارته، ليطلق أحدهم عليه الرصاص بينما صدام يقوم بدورا لنا ضورجى..

وإذا وضعنا فى الإعتبار الظروف الإجتماعية والسياسية، ومظلة الجهل التى كان يستظل بها المجتمع العراقى. نجد أن هذا العمل ليس عملا خارقا، أو فوق العادة مما يمكن أن نسميه بطولة.

هرب جميع أفراد مجموعة الإغتيال هذه، دون أن يصاب أى منهم، إلا أن صدام الذى أصيب برصاصة طائشة فى قدمه اليسرى، والتى تركت أثرا الى اليوم، وأخذت تنزف وهو يركض هرباً، حيث وصل إلى أحد الأوكار الخفية أو المكان الطبيعى للبعثيين، بعيدا عن أعين السلطة حيث قام أحد زملائه بإجراء جراحه له بطريقة بدائية.

أفاق صدام من غيبوبته، ليغادر هذا الوكر متجها الى تكريت حيث بيت خاله الشيخ خير الله طلفاح، الذى طرده بدوره بعدما سمع القصة، وعلم أن الشرطة تتعقبه.

وتقول الروايات أنه إشترى فرساً، ليهرب إلى سوريا من المنطقة الحدودية، ولكن يبدو أن الحقيقة غير ذلك، فقد سرق الفرس، ولم يشترية، ووصل إلى



فى احد اللقاءات بين الرئيس صدام حسين وميشيل عفلق مؤسس حزب
البعث الذى كانت وفاته وراء الغاء احتفالات الفاو - ٢٨/٦/١٩٨٩

سوريا حيث مكث بها عدة أشهر، غادرها بعد ذلك إلى القاهرة فى أوائل عام ١٩٦٠.. وآوته القاهره، ملاذ كل العرب. وإستظل بعطف وكرم الشعب المصرى الأصيل.

وفى خلال وجوده بالقاهرة، إستطاع أن يلتحق بصفة إستثنائية بالدراسة الثانوية، مدعياً أنه حاصل على شهادة الدراسة الإعادادية، دون أية أوراق أو حتى شهادة ميلاد.. وقد قمت بالتحقق بنفسى متتبعا تدرجه فى الدراسة، فلم أجد أولا أن إسمة مدرجاً فى قوائم الناجحين فى الثانوية العامة. ولكن المؤكد ومن واقع سجلات المدرسة الثانوية التى كان يدرس فيها، أنه رسب فى الصف الثانى الثانوى.

ونحن لم نجد أيضا ما يؤكد إلتحاق صدام حسين بكلية الحقوق جامعة القاهرة كما يزعم هو نفسه. بل الأدهى من ذلك أنه فى تلك الأثناء- أثناء إقامته فى القاهرة، وترددة على أوكار المخدرات، حيث تم القبض عليه، وحفظت القضية بأمر من السلطات المصرية فى ذلك الوقت..

ويبدو أن زواجه من السيده ساجده خير الله وموافقة والدها الذى هو خاله، كان نتيجة زعمه لهم أنه أصبح طالبا فى كليه الحقوق وأنه حصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية العامة.

فى الثامن من فبراير عام ١٩٦٣، قام البعثيون فى العراق بمحاولة إنقلاب، إستولوا على أثرها على الحكم.. وعندما علم صدام بهذا النبأ، عاد إلى بغداد ليصبح عضوا فى مكتب الفلاحين المركزى. إلا أن هذا الحزب أخذ يمارس عمله الحقيقى باقترافه المآسى والجرائم ضد الشعب العراقى، وياليها

من تصفية للحسابات ومع الجميع.. إنتهاك الحرمات وهتك الأعراض، بكافه الوسائل اللاإنسانية والتى تتنافى وكل الشرائع والأديان السماوية، وبالتالى فقد إنحرف البعثيون.. أو على الأصح عادوا إلى طبيعتهم. ودبت الخلافات داخل صفوفهم.

انعقد مؤتمر القيادة القومية لحزب البعث فى سوريا- وكان صدام فى ذلك الوقت قد تزوج إبنة خاله رغم محاوله أهلها تأجيل هذا الزواج إلى أن تستقر أموره، إلا أنه استقل نفوذه فى الحزب ليجبر خاله على تزويجه بسرعة- وقد أخبر زوجته أنه سيغادر مع زملاء له إلى سوريا لمدة أسبوع. وتوجهوا سراً فى سيارة فولكس يملكها أحد رفاقه.. يقطعون الطريق بين السهول والوديان، تاركا لها من المال ما يكفى أيام. وإذا بمن يخبرها أن صدام، مطلوب القبض عليه، وأن هناك من أبلغه بذلك على الحدود.. وأن هذا الوضع الجديد يفرض عليه أن يختفى بعيدا عن الأعين، ويطلب منها أن تحاول إستئجار مسكن آخر. وفعلا بدأت زوجته فى تنفيذ طلب الزوج. ولكنها كلما نجحت فى إستئجار منزل سرعان ما يطردها صاحبه بعد أن يعلم بقصة زوجها، ولم تجد الزوجة أمام هذا الفشل المتكرر إلا أن تنتقل بعيداً جداً، فى منطقة نائية تكاد تكون صحراوية، كل هذا وهى حامل فى أبنها الأول عدى صدام حسين، الذى يمكن أن يقال عنه أن هذا الشبل من ذاك الـ (...). كما كانت ترى زوجها أحيانا ولساعات قليلة.

وفى هذا الوقت يفشل انقلاب الخامس من سبتمبر (ايلول)، مما جعل الشرطة تقوم بتكثيف حملاتها فى كل مكان، حتى فى بيت خير الله طلفاح. ويلعب القدر دوره، فلا يحضر الزوج فى موعدة، ولكنه يبعث برسالة

إلى زوجته يطلب منها إلا تعود إلى بيتها، بينما الزوجة فى طريقها إلى البيت، ولم تصلها الرساله فتفاجأ برجال الشرطة وسط الظلام الداس، وهم داخل منزلها يحملون الرشاشات، يفتشون كل شبر فى المنزل، ولما لم يجدوا ضالتهم، إتجه إثنان من الجنود إلى السيدة ساجده لإستجوابها، ومارسوا معها الكثير من أساليب الضغط المعروفة لمعرفة مكان زوجها.. لدرجة أنهم كانوا منهى القسوة معها. حسب ما تقوله الروايات وشهود العيان فى ذلك الوقت، قاموا باغتصابها وهذه أيضا عقدة صدام حسين..

وفى ٤ اكتوبر يتم القبض على صدام، ولم يعرف أحد من أهلة ولا زوجته أين هو، حتى أن رفيقه الذى كان وسيلة الإتصال بينه وبينهم كان قد تم القبض عليه أيضا إلى أن جاءت رسالة من أحمد حسن البكر يطمئنهم على أن الزوج فى الزنزانه المجاورة له، ولكن السلطات لا تسمح بزيارته، على الوقت فى الوقت الحاضر.

ومرت أيام إنتقل صدام بعدها إلى الأمن العام، وسمح له بالزيارة، فطلب من زوجته فراشاً ووسادة وبعض الأشياء الشخصية. وكان الزوج تزورة بين الحين والحين ولكن من خلف الأسلاك، وبعد أيام قام كافه المساجين باضراب عام داخل السجن مطالبين بالسماح لذويهم بزيارة بلا أسلاك شائكه، وتم لهم ما أرادوا، حيث كانت، تتم فى حديقة السجن وهنا يبدأ صدام فى إستغلال الفرصة، حيث بدأت زوجته لمدة طويلة تحمل الأوراق والخطابات والرسائل من داخل السجن بوضعها فى صدر طفلها حتى لا تقع هذه الرسائل فى أيدى حرس السجن، لتوصيلها إلى أعضاء التنظيم البعثى فى خارج الأسوار، والعكس. وكلما قارب موعد الإفراج عن صدام فإنه يستعد



انديرا غاندي تستقبل صدام حسين نائب الرئيس العراقي أحمد حسن البكر
في بدايه زيارته للهند وقد طوقت عنقه بالورود

للخروج، ولكن لايخرج. فتراودة فكرة الهروب من السجن وتسيطر عليه. فيطلب من الزوجة أن تأتى اليه بمنشار حديدى فتجيبه الى ماطلبه من خلال صديقة لها، حيث أنها كانت مراقبة. وتحمل المنشار داخل ملابسها.. ولكن المشكلة التى واجهتها، هى كيف يمكنها أن تخرج وسط زوار السجن وأعين السلطة الذين ينتشرون فى كل مكان بين الزوار فتعود به مرة أخرى. ثم يطلب- صدام منها «رشاشا» من أحد أصدقائه، وعند التنفيذ يقلع عن الفكرة.. وتعلم الزوجه مدى حاجتهم إلى المنشار لفض شباك السجن، وسط ضجيج يحدثونه ليتمكن أحدهم من الهرب، ويمر الشتاء ببرده وأمطاره ويأتى الصيف، وزوجه صدام تحاول أن تؤدى دورها فى دقة متناهية. وفى أحد أيام الصيف، وخلال جلوسها مع أسرتها فى بيت والدها، تفاجأ، بأحد ضباط الشرطة، يقتحم المنزل، ويقوم بتفتيشه، ويبلغها بأن زوجها قد هرب من السجن.

وبعد أيام تصلها رسالة من الزوج يطلب منها أحضار ملابس لها ولابنها، فتذهب لتجد زملاءه جميعاً فى منزل مظلم هو أحد أوكار حزب البعث، ثم تنتقل معة إلى منزل أحد أصدقائه، لبعيشا فترة من القلق والخوف إلى أن صدر العفو عن جميع الهاربين والسجناء. وهكذا بدأت مرحلة جديدة فى حياتهما، حيث قاما باستئجار بيت بالقرب من بيت خاله.

وفى ظل هذه الإنطلاقة، ظلت إجتماعات أعضاء التنظيم البعثى للتخطيط لعمل مسلح كان ذلك فى سبتمبر ١٩٦٤، ولكن السلطات العراقية فى ذلك الوقت تمكنت من كشف الخطة قبل تنفيذها، فبدأت موجة عاتية من الاعتقالات والتعذيب، وطلب اليه الحزب أن يتوجه إلى دمشق.

ولكنه رفض الإنصياع للأمر وهذا شئ ليس مألوفا فى نظام البعث. وقرر البقاء فى بغداد. ثم دخل السجن مرة أخرى. إلا أنه خرج منه بعد عامين ليشارك فيما سمى بعد ذلك بثورة السابع عشر من تموز/ يوليو ١٩٦٨ بقيادة أحمد حسن البكر. وكان صدام حسين هو المدنى الوحيد الذى يساهم فى إقتحام القصر الجمهورى على ظهر دبابة. وينجح الإنقلاب.

وإن كان الطريق إلى النجاح أو تحقيق الهدف بالنسبة إلى أى إنسان لابد وأن يكون مليئا بالصعاب والأشواك. فإن طريق صدام التكريتى الذى سلكه طيلة إحدى عشر عاما، أى حتى وصل إلى منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة.. كان مليئا بالضحايا، وكان الرجل يتلذذ وهو يسير على أشلائهم، إن حياته سجل حافل، ملئ بالمآسى التى يعجز القلم عن التعبير إنه شئ مروع يمحية الذوق العام..

لقد قام صدام باغتيال قائد القوات المسلحة العراقية ووزير الدفاع ذلك الوقت من بداية الثورة، وهو اللواء حردان التكريتى، الذى كان يرعاه ويمد له يد المساعدة له ولأسرته. وتم ذلك فى دولة الكويت حيث كان الرجل يعيش هناك بعد طردة من العراق، وحيث يقوم بفحوصات طبية، وقد تم تنفيذ هذة الجريمة بواسطةأربعه من رجال المخابرات العراقية التى كان يشرف عليها صدام التكريتى.

وفى عام ١٩٦٧، خطط صدام لحرب طائفية فى العراق، حيث قام باغتيال عدد من قادة الشيعة فى النجف وبغداد، ونفذ فيهم حكم الإعدام بمحاكمات صورية لم تدم إلا لعدة ساعات، ولم تترك لهم أية فرصة للدفاع عن النفس أو دفع ما وجه اليهم من تهم باطلة وإختراعات كاذبة. وحاول أن



إليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى يستقبل صدام حسين نائب الرئيس العراقى فى بداية زيارته للاتحاد السوفيتى يوم ١٩٧٥/٤/١٤

يغطى عمله الدنئ هذا بصنع مشهد مسرحى مع سوريا التى إوهم قادتها فى ذلك الوقت برغبته فى الوحدة مع سوريا. وفى غمرة فرحة الشعب العراقى بمشاهد هذه المسرحية، تناسوا جرائمه. لكن العرس لم يدم، ولم تتم المسرحية فصولها. فقد حاول صدام الذى كان هو الحاكم الفعلى، أن يجعل من أحمد حسن البكر قطعة شطرنج يحركها كما يشاء وفى الوقت الذى يشاء، مستغلا مدى ما يتمتع به البكر من حب الشعب العراقى.. وبعد أن تتم توقيع الإتفاق مع سوريا بعد لقاءات بين حافظ الأسد والرئيس البكر فى أواخر عام ١٩٧٨ ولما كان أحد بنوذ هذه الإتفاقية ينص على أن يتولى الرئيسان البكر والأسد رئاسة دولة الرحدة بالتناوب.. وهذا ما دفع صدام إلى محاولة ضرب هذه الإتفاقية، ففجر قنبلة مفتعلة، وتمثيلية حاول إتقانها عندما إتهم عدد من القياديين والوزراء والمسئولين من زملائة بالتآمر عليه شخصيا.. وكل ما إرتكبه هؤلاء هو تحفظهم أورفضهم التصويت فى إجتماع مجلس قيادة الثورة لانتخابه رئيسا للمجلس وللجمهورية بدلا من الرئيس احمد حسن البكر..

ومما يثبت صدق ماذكرناه، وكذلك يبرهن على أن صدام كان يخطط لتولى الحكم وإرغام البكر على الإستقالة، هو جولته فى أواخر عام ١٩٧٨ وأوائل ١٩٧٩ فى جميع أنحاء العراق من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه ليخطب فيهم ويحاول أن يخدع السذج من الشعب عندما يرتدى ملابس البدو وهو بينهم وزى الصيادين وغيرها. وقد اكد المراقبون والمحللون فى العالم أن عملية إقالة البكر تمثل مرحلة جديدة من مراحل الصراع على السلطة.. وقد ذكرت وكالات الأنباء العالمية أن التصفيات الجسدية التى جرت فى العراق طوال الفترة السابقة.. على تولى صدام السلطة قد مكنته

من تشديد قبضته على المكتب العسكرى والمخابرات العراقية. وقد اكدت كل الأنباء الواردة من بغداد فى ذلك الوقت على أن البكر لم يقدم إستقالته، وإنما أرغم على ذلك، وأن الرجل كان يبدو فى صحة جيدة وهو يلقى بيان الإستقالة فى التليفزيون.

وكانت تصفية الحسابات التى إنتهجها صدام التكريتى، فاقتص من معارضيه، وبينهم حامد حسين زوج أخته وأقرب الناس اليه، والذى كان يشغل منصب وزير التخطيط، وكان كاتم أسرار. الشخصية، كذلك وزير التربية، ووزير العمل والصناعة والداخلية. وقد رفض أحمد حسن البكر الذى إكتشف دهاء صدام وحيلته الماكره، فرفض التصديق على أحكام الإعدام، الذين وجه اليهم تهم باطلة، وهى التواطؤ مع النظام فى سوريا. وفضل الرجل الإستقالةطريقا لتجنب إرتباط إسمة بهذه الجريمة البشعة. وحتى لا تلطخ يده بدماء الأبرياء.

ونذكر على سبيل المثال زوجه عدنان حسين الحمدانى الصديق الحميم لصدام التكريتى والذى يشغل منصب مدير مكتبه ونائب رئيس الوزراء، حين ذهبت إلى القصر الجمهورى وهى تحمل بيدها طفلها الرضيع ذا العشرة أشهر ونزلت على قدم صدام تقبلها والدموع تنهمر من عينيها وترجوه ألا يعفو عن زوجها، بل يحكمه بالسجن المؤبد حتى لا يصبح هذا الطفل يتيم الأب فقال لها صدام بالحرف الواحد: «لو كان إبنك يستطيع أن يطلق الرصاص على والده لأمرته أن يقتل والده بيده لأنه خائن- وإذا سمعت بأنك إرتديت ثوب الحزن عليه فسوف يكون مصيرك مثل مصير زوجك».

فأى حقد دفين يحملة قلب هذا الرجل.. وهناك أمامنا أسماء أصدقاء

صدام الذين أوصلوه إلى كرس الحكم وقد أعدمهم إما عن طريق حوادث متعمدة أو عن طريق إكتشاف مؤامرات وهمية تدبر للإطاحة به ومنهم على سبيل المثال لا الحصر،. عبد الوهاب كريم، عضو مجلس قيادة الثورة. وقد قتل فى حادث إصطدام سيارة من قبل المخابرات العراقية فى مدينة الحله عام ١٩٦٩، وعبدالكريم الشيخلى وزير الخارجية فى الفترة من ١٩٦٨-١٩٧١، وقد قتل فى شارع الرشيد فى بغداد على أثر إطلاق النار من قبل المخابرات العراقية. والدكتور عزت مصطفى وزير الصحة فى الفترة من عام ١٩٦٨-١٩٧٦، وهو عضو مجلس قيادة الثورة وقد قتل على أثر إطلاق النار عليه من قبل المخابرات العراقية فى مدينه حديثة، ومدلول ناجى المحنا سفير العراق فى الأردن فى عام ١٩٧٢-١٩٧٨، وقد قتل فى السجن من جراء التعذيب الوحشى من قبل جلاوزة صدام. ثم مرتضى سعيد حديثى وزير الخارجية فى الفترة من عام ١٩٧١-١٩٧٦، وهو عضو مجلس قيادة الثورة، وقد قتل أثناء سيره فى أحد شوارع مدينة الرمادى حيث أطلقت عليه المخابرات العراقية الرصاص بناء على أوامر شخصية من صدام. وكذلك سمير عبدالعزيز النجم سفير العراق فى القاهرة فى الفترة من عام ١٩٧٢-١٩٦٧، وقتل على أثر إطلاق النار عليه فى مدينة المحمودية من قبل المخابرات العراقية. وعبدالله سلوم السامرائى وزير الثقافة والإعلام فى الفترة من عام ١٩٦٨-١٩٧٠، وقد قتل فى السجن عن طريق دس السم اليه من رجال صدام. ومحمد أحمد حسن البكر نجل الرئيس العراقى الراحل أحمد حسن البكر، وقد قتل فى بغداد- تكريت أثر إنفجار قنبلة وضعها صدام فى سيارته حيث أنه لم يوافق على تعبيئة مستشارا سياسيا لوالده.

وناظم كزار الذى حاول ترتيب إنقلاب كاد أن ينجح، وهو الرجل الذى كان

يتولى الأمن العام والمخابرات فى ذلك الوقت. أقول كاد أن ينجح لولا خوف بعض الضباط الذين أبلغوا صدام بالخطة، وباحوا بأسرارها ظناً متهم أنهم سيكونون فى مرتبة مميزه عند صدام. لكنه أطاح بهم مع كزار ولم يرحم أى منهم. وعقب ذلك قرر تعزيز جهازى الأمن الداخلى والمخابرات فنصب شقيقه برزان التكريتى على رأس الجهازين.. لكنه خشى من أن يخطط شقيقه لقلب نظام حكم. فاكتفى بتعيينة مسئولا عن جهاز المخابرات. ودخل برزان صراعا رهيبا من طرف واحد مع الشعب العراقى، وبكل طوائفه وأفراده الأبرياء، واللاجئون السياسيون فى الخارج من المعارضين لحكم البعث، فى بعض الدول العربية والأجنبية وإغتال منهم المئات. بعد أن تم تجنيد اكثر من ثمانين الف مدنى وعسكرى للعمل فى هذا الجهاز فى السفارات والدوائر المدنية والتجارية داخل وخارج الدولة. وبدأ صدام فى ذلك الوقت فى تطبيق مبدأ «إذا لم تكن بعثيا، فلا موقع لك داخل العراق» وكذلك رفع شعار «كل عراقى بعثى وافق أو رفض» وإلا فليترك العراق. وإقتصر التعيين والتوظيف والإستثناء على البعثيين، فامتلات المكاتب والوزارات والدوائر الحكومية بالدجالين والمجرمين والقتله والمنحرفين من منتفعى النظام وتسلط أقرباء صدام وأهلة على كل المقدرات. بالإضافة إلى تدعيمة جهاز الأمن العام وهو يشبه مباحث أمن الدوله فى مصر من حيث عمله. مع الفرق الكبير طبعا. باكثر من خمسين الف مصدر من خريجى المرحلة الإبتدائية والمتوسطة، ممن عجزوا عن إكمال دراستهم أو توقفوا عند هذا الحد من التعليم بسبب تخلفهم العقلى. وكان من الطبيعى أن يمثل هؤلاء خطرا كبيرا على المجتمع وعلى المواطنين الأبرياء لحقدهم عليهم من ناحية، ومن ناحية أخرى لطاعتهم للنظام طاعة عمياء، لايترك فرصة للتردد فى تنفيذ أية



شاه ايران محمد رضا بهلوى وصدام حسين نائب رئيس جمهورية العراق

يغادران منصة مؤتمر الأوبك في الجزائر مارس ١٩٧٥ ـ ٧ / ٣ / ١٩٧٥

أوامر مهما كانت. ومارس هؤلاء دورهم كما هو مرسوم على أكمل وجه، حتى طلاب الجامعات والمدارس. وهكذا أصبح سجن «أبى غريب» الذى يبعد خمسون كيلو مترا عن بغداد مكتظا بالسجناء الذين يزيد عددهم عن مائتى وخمسون الف مواطن كردى وتركمانى وعراقى وأجنبى وعربى. وكذلك نساء حتى الحوامل منهن وما أكثر اللاتى انجبن دخل هذا السجن. عدا من مات منهم تأثرا بما شاهدوا من عذاب وقهر.

وهناك مثال آخر يدل على غباء صدام حسين، وعلى أنه رجل طموحاته أكبر كثيرا من إمكانياته، وأن الفتن والإنقسامات فى صفوف الشعب العراقى هى قمة ما يتلذذ به الرجل المريض هذا.

فى اكتوبر عام ١٩٧١ أجمعت كل وكالات الأنباء العالمية على أن الملا مصطفى البرزانى الزعيم الكردى، قد أثبت براعة سياسة لانظير لها. بسلوكه منذ محاولة إغتيالة.

فالملا قد وضع مسئولية التحقيق فى يد السلطات العراقية، وفى نفس الوقت قام باذاعة الحقائق ذات المغزى عن المحاولة. إبتداء من الخطة ودقتها وتعقيدها الفنى حتى إذاعة أسماء المنفذين الذين قتلوا جميعاً.

وبالنظر فى الحقائق التى نشرتها جريدة «التآخى» لسان حال الحزب الكردستانى فى العراق، لايبقى شئ إلا توجيه الإتهام صراحة ومباشرة إلى السلطات العراقية، وهو مالم يفعله الملا، أو ما حرص على ألا يفعله.

ضمنته توقيع إتفاق الحكم الذاتى الكردى فى ١١ مارس ١٩٧٠. والملا يحرص على أن يلعب لعبة الحريص على تنفيذ الإتفاق. أما شكوكه وعدم

ثقته فى نوايا السلطة البعثية التى وقعت الإتفاق، فيبقيها على كتمانه الذى يتميز به كعشائرى وكمتصوف.

ورغم أن جميع الدلائل التى تتراكم تؤدى إلى مماطلة واضحة من جانب حكومة بغداد فى تنفيذ الإتفاق، فلم يصدر، عن الملك حتى الآن أى رد فعل يتساوى مع هذه المماطلة. فحكومة بغداد عينت وزراء اكراداً، ولم تعين نائب رئيس جمهورية كردى كما نص الإتفاق- ولم تتخذ أى خطوة فى الإحصاء الذى يحدد المناطق دات الأغلبية الكردية، وبالتالى ينطبق عليها إتفاق الحكم الذاتى، وأوضحها لواء كركوك الذى إتفق على فكرة الإحصاء من أجله بالذات. وسار تنفيذ بقية بنود الإتفاقية ببطء شديد جداً. إلا أن السؤال الذى كان يثور فى هذه المناسبة هو؛ هل لمحاولة إغتيال الملا مصطفى البرزانى صلة بالتصفيات الجارية فى العراق، والتى تتجه الى تركيز السلطة فى يد صدام حسين والذى كان يشغل نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس الجمهورية فى وقت واحد؟.

والمعروف أن صدام حسين، وهو فى أوج زحفه إلى صدارة السلطة هو الذى إتخذ الخطوة الجريئة بالسفر بنفسه إلى مقر الملا مصطفى البرزانى قبل شهور من توقيع إتفاق ١١ مارس ١٩٧٠، ليفتح صفحة جديدة فى المفاوضات. وكانت زيارته للملا، هى التى وضعت أساس حسن النية الذى أدى إلى توقيع ذلك الإتفاق. فهل يتآمر صدام حسين الآن على الإتفاق الذى تنسب أبوته الشرعية الية؟. هذا كان السؤال حينئذ.

وكان الإفتراض أيضا، أنه لو كان صحيحاً لكان معناه أن صدام التكريتى، فى اللعبة التآمرية للإستئثار بالسلطة يملك قدراً كبيرا من بعد

النظر. فاتفاق ١١ مارس ١٩٧٠، حقق للسلطة العراقية الكثير فى ذلك الوقت.

أولا- جرد توقيع الإتفاق إثنين على الأقل من القوى السياسية الرئيسية في العراق، من أساس من أهم أسس شعبيتها بين الأكراد، ومن علاقتهما الوثيقة بالحركة الكردية. هاتان القوتان هما الحزب الشيوعى العراقى والحزب الوطنى الديمقراطى، إذ كان فى مقدمة المطالبين بحل المشكلة الكردية على أسس ديمقراطية. ونقدمية، وكسر هذا الاتفاق إلى حد كبير الحاجز الذى كان يفصل حزب البعث الحاكم فى العراق، عن قسم كبير من الرأى العام المثقف والتقدمى فى العراق. وأكسب حزب البعث درجة من رضا هذه الفئة.

ثانيا - إستهدف الإتفاق، بل ونجح إلى حد كبير فى خلق مصالح متعلقة بالسلطة داخل صفوف الحركة الكردية والذى ظهر فيما بعد أن صدام حسين بعد أن حقق إتفاق ١١ مارس ١٩٧٠ هذه الأهداف. فأخذ يسعى إلى الإنقضاض عليه .. وبدأ يرعى ويشجع زعامة كردية، تتمثل فى شخص عبد الله البرزانى الإبن الأكبر والمتمرد، للملامصطفى، بتأييد من عمه الشيخ احمد البرزانى ومنافس أخيه الملامصطفى التقليدى الضعيف.

إن ظلالا من الكآبة قد سيطرت على العراق فى منتصف يوليو ١٩٧٩ أى بعد تولى صدام حسين السلطة هناك. وحلم الوحدة بين العراق وسوريا بعد مسرحية المؤامرة التى ألفها صدام قد أنتهى تماما. وبعد أن تمكن من الإنفراد بالحكم أمر بأعدام منافسيه من كبار المسئولين فى الدولة والجيش من الشخصيات السياسية البارزة والتى يخشى منافستها له.

والواقع أن موجة الأعدام التى تمت بعد الكشف عن مؤامرة الإنقلاب الأخيرةفى العراق قد شملت ٢٢ حكما بالإعدام بالاضافة إلى ٣٣ حكما بالسجن لمدة تصل إلى خمسة عشر عاما، وقد تم بالفعل تنفيذ احكام الإعدام على وجه السرعة.

إن اعترافات محى عبد المحسن سكرتير عام مجلس قيادة الثورة فى ذلك الوقت، قد تم تسجيلها على أجهزة الفيديو لمواجهة السفراء العراقيين الذين تم إستدعاءهم من الخارج وكذلك الكوادر السياسية الأخرى. وقام البوليس الحربى بإلقاء القبض على أكثر من مائتى وخمسين شخصا، ومعظمهم من مجلس قيادة الثورة العراقى وكبار السياسيين، وكذلك من الحزب والجيش وذلك بعد أن تم نزع القابهم ورتبهم العسكرية. كما أن صدام حسين أمر أن يشهد بنفسه عمليات الإعدام التى جرت رميا بالرصاص، وذلك حتى يتمكن من وداع صديقة الشيعى نائب رئيس الوزراء عدنان حسين حمدانى.

وبالرغم من جيهات معادية متعددة لصدام حسين إلا أن الإتهام قد وجه إلى سوريا بدعم وجود انها هى الدولة المجاورة - وسوريا هى نفس الدولة التى تحدث عنها صدام فى أحد أحاديثه بمجلة «دير شبيجل» الألمانية قبل عدة أسابيع من الأحداث قائلا :"إننا سنكون دولة واحدة .. جيش واحد سياسة واحدة .. علم واحد، ونشيد وطنى واحد، أى كل شئ يؤدى إلى قيام دولة واحدة".

إن محمد عايش وزير الصناعة الذى تم أعدامه ضمن افراد المؤامرة الوهمية، إتهم بأنه إتفق مع الرئيس السورى حافظ الأسد على ضرورة تجرد صدام حسين من سلطاته لأسباب عديدة أهمها خطة المعادى للشيعة، علاوة

على أن الإيرانيين لايطيقونه بسبب طرده للزعيم الشيعى خومينى من النجف معقل الشيعيين، وبالإضافة إلى ذلك أن العلويين الشيعة فى حزب البعث السورى، وهم بالطبع رفقاء الشيعة العراقيين الذين يمثلون نصف الشعب العراقى إلا أنهم غير ممثلين فى القيادة السياسية العليا. وأن معظم المناصب العليا فى الجيش مقصورة على ضباط سنيين من منطقة تكريت التى ينتمى اليها صدام والرئيس السابق احمد حسن البكر. وكان لقب تكريتى شائع بين معظم أعضاء مجلس الثورة والجيش إلى أن صدر قرار بمنع إستخدامه ثم كذلك موقف صدام حسين المعادى لمنظمة الصاعقة الفلسطينية الموالية لسوريا وهذا ماإضطر العراق إلى أن تدفع برجلها ميشيل عفلق لتولى أحد المناصب العليا فى دولة الوحدة، وذلك بالرغم من أن عفلق قد صدر عليه حكم إلاعدام فى سوريا.

وبهذا فقد أنتهى حكم الوحدة تماما بالنسبة للعراق الذى يعتبر نفسه جزء من الأمة العربية. ولم يتبق على يد صدام حسين سوى الحطام.

والقى صدام حسين خطابا فى أحدى وحدات الحرس الجمهورى، فإتهم الإمبريالية والعناصر المضادة بتدبير الإنقلاب الذى إكتشف أخيراً ضد نظام الحكم فى بغداد. وإذا كان صدام حسين لم يعين وقت إلقاء خطابه أسماء بالذات، إلا أنه فى كلامه قد حدد الصورة التى تعين سوريا وتدين حزب البعث السورى بهذا الإتهام. وأصبحت المواجهة بين الرئيس الأسد وصدام حسين على المكشوف، وأن إنقلاب صدام ضد البكر، إنما كان الهدف الأوّل فيه هو القضاء على محاولات الوحدة بين سوريا والعراق وحدة عسكرية وسياسية كما قيل وقتها.



صدام حسين نائباً للرئيس العراقى احمد حسن البكر يقدم وشاح الرافدين وهو اعلى الأوسمة فى العراق إلى الجنرال فرانكو حاكم اسبانيا خلال زيارته لأسبانيا

على أن هذه السياسة المحورية كانت قد بدأت تظهر فى شكل آخر يعتبر أخطر مايكون فى تصفيه جماعات الرفض كما كانوا يطلقون علي أنفسهم، سواء فى ذلك الأصليون أو التابعون. فقد أعلن أن الملك حسين يدعو إلي قمة تضم الأردن وسوريا وفلسطين لبحث موقف دول البترول العربية لأنها لم تدفع أنصبتها بالنسبة لدعم دول المواجهة، والمقدر لها سبعة مليارات ونصف مليار دولار وهو المبلغ الذى كان قد تحدد فى قمة بغداد. وكان هذا يعنى أن دول البترول التى وعدت بالدفع لم تدفع شيئا، وأن الدورل التى إستجابت لمزاعم الرفض موعودة بالدعم الكبير لم تأخذ شيئا، وإنما عادت من المظاهر الرفضية بخيبة الأمل .. وبعد أن أمتهنت كرامتها ونزلت إلى أسفل درك من الإستجداء دون أى مقابل، وأن هذا هو ماصنعته معها دول البترول، وهذا هو الأخر مجور كان مقدراً له دوراً فى تصفية الجبهة الرفضية والذين إستجابوا لمظاهرة الرافضين.

لقد كانت أياما عصيبة واجهت الأمة العربية، وليس الأمر فى هذا أمر الإستعمار والإمبريالية والصهيونية كما كانوا يقولون، إنما هذا كان أمر أولئك الحكام الذين كانوا يصرون على ضمان وجودهم بالدم، وأولئك الذين كانوا يعيشون فى نعمة الجهل ومنهم صدام التكريتى ..

والواقع إِنه منذ أن وصل الدكتاتور العراقى صدام حسين إلى الحكم على أثر إنقلاب ١٧ تموز عام ١٩٦٨، وإذاعة بغداد كانت تبث ليل نهار الأناشيد الحماسية التى تدعو إلى تحرير فلسطين والشعارات تملأ جدران المدن العراقية "لاصوت يعلو على صوت المعركة". ولكن أعمال صدام حسين كانت عكس ماتذيعه وسائل إعلامه.

فأول ماقام به من أعمال وهو فى منصب نائب رئيس مجلس الثورة هو أغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى بغداد عام ١٩٦٨، وإنشاء منظمة من بعض المرتزقة الفلسطينيين وبعض عملاء المخابرات العراقية أطلق عليها اسم "منظمة التحرير العربية"، ومهمتها زرع الشقاق بين الفلسطينيين وقتل المواطنين العرب.

وعندما كانت حرب الإستنزاف على أشدها فى عام ١٩٦٩، فإن وسائل الإعلام التكرتيتة أصبح همها الوحيد هو التهجم وسب الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

لقد حاول صدام حسين أن يزرع الشقاق بين صفوف أبناء الشعب العراقى، وأبناء الشعب المصرى عن طريق برنامج إذاعى يسمى «كعود»، حيث كان مقدم البرنامج يسخر من أبناء الشعب المصرى ويكيل له السباب، بينما عشرات الشهداء يتساقطون كل يوم من أبناء الشعب المصرى فى الجبهة من أجل فلسطين.

والواقع أننا لو إستعرضنا أهم هذه الحوادث التى مرت بها القضية الفلسطينية لعل الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات يتذكرها. فى وقت لست أدرى إذا كان يتجاهل ذكرها، أم أنه فقد الذاكرة وأسقط هذه الفترة من حساباته. ليقابلها أرصدة ضخمة فى بنوك العالم.

لقد لعب صدام حسين دوراً هاما فى إشعال الحرب بين الفدائيين والأردن حيث أصدر مجلس قيادة الثورة بياناً بتاريخ ١٥ سبتمر «ايلول» عام ١٩٧٠، أعلن فية أن قيادة الجيش العراقى فى الأردن تحت أوامر ياسر

عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، بينما يتصل بالملك حسين مشجعاً على ضرب الفدائيين، وأن القوات العراقية ستزود الدبابات الأردنية، بالذخيرة والوقود.

ويذكر الدكتور كيسنجر وزير خارجية أمريكا السابق مانصبه «وأبلغت نيكسون أن القوات العراقية ١٧ الف جندى، لاتحرك ساكنا، بينما الجيش المصرى الأردنى يسحق قوات الفدائيين على مقربة منها.. وظل الجيش العراقى ساكتاً وكان يحرك نفسه- كلما ظهرت الضرورة- لكى يبتعد عن طريق الأذى..».

وقد علق استاذنا الكاتب الصحفى موسى صبرى على أقوال كيسنجر فى كتاب «ولكننى أعتقد جازما أن هذا الداهية كيسنجر يخفى شيئا هاما فى مذاكراته عن موقف العراق.. وهو لاشك إتفاق سرى بين أمريكا والعراق وحسين واسرائيل وهو يخفيه الآن متعمداً لأنه ليس خافياً فى الدوائر الأمريكية، وأن العلاقات العراقية الأمريكيه الآن «سمن على عسل» كما يقولون.. وكان قبول العراق للحل السلمى قبل مؤتمر بغداد كشفا لموقف العراق.. ثم هذا الغزل المكشوف عن إعادة العلاقات.. ثم العلاقات التجارية.. إلى آخر كل ذلك.. ولكن لابأس أن تهاجم إذاعه بغداد وصحفها.. الإمبريالية الأمريكيه التى تتأمر مع مصر لبيع قضية فلسطين».

وقد ذكر الفريق حردان التكريتى نائب رئيس الجمهورية العراقى قبل مصرعه بأيدى زبانية صدام.. فى الكويت حديثا صحفيا ما نصة: «لقد جرى اجتماع سرى بين زيد بن شاكر القائد العام للجيش الأردنى وصدام التكريتى، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى، وريتشارد هيلنز مدير

الإستخبارات المركزية الأمريكية، وإسحاق رابين سفير إسرائيل فى واشنطن، وقد عقد هذا الإجتماع فى إحدى العواصم الأوربية، وتم التنسيق فيه على ضرب الفدائيين فى الأردن، وقد تم سحب الجيش العراقى المتواجد هناك، لأن الجنود العراقيين يساعدون الفدائيين الفلسطنيين، وهذا يشكل خطراً على الأردن وإسرائيل».

أما دور صدام حسين فى حرب اكتوبر. فيذكر أستاذنا الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر السابق فى أحد مقالاته فى جريدة الأهرام، ذكر فيه بأن الرئيس السادات كلفه بمهمة رسمية إلى بغداد حيث إجتمع مع الرئيس العراقى احمد حسن البكر ونائبه صدام التكريتى، وأخبره بأن مصر ستدخل فى معركه مع إسرائيل فاجابه البكر، بأنهم إستلموا الحكم والجيش العراقى فى حالة لاتسمح له الظروف بالمشاركة فى أية حرب وكل الذى يستطيعون أن يقدموه هو سرب الطائرات.

وقد ارسل العراق هذا السرب من الطائرات وقد سحبت من أرض المعركة فى يوم ٢٢ أكتوبر بينما يعلم الجميع بأن لدى العراق فى ذلك الوقت اكثر من ١٥٠ طائرة ميج ١٧ وميج ٢١، ولكن هذه الطائرات لاتستعمل للحرب مع إسرائيل، بل لضرب أبناء الشعب العراقى، كما حدث فى مدينة النجف عام ١٩٧٦، عندما ضربت طائرات الميج أبناء المدينة المقدسة بالصواريخ.

لقد خطط صدام التكريتى لعملية إغتيال الشهيد المصرى يوسف السباعى، فنفذها عملاؤه الفلسطينيين، وكان هدفة زرع الفرقة والشقاق بين الشعبين المصرى والفلسطينى، حيث كان يتصور أن الشعب المصرى سيتخلى عن قضية فلسطين، ولكن حكمة الرئيس الراحل انور السادات أفسدت



الرئيس صدام حسين وزيارته للجبهة العراقية للاطمئنان على سير العمليات وبعدها بدات عملية طرد الأسرائيلين - ٢٠ / ٣ / ١٩٨٥

وأفشلت هذا النخطط الجهنمى، وبالعكس، فقد كشفت مصر جهودها فى سبيل القضية الفلسطينيه، فى كل محفل دولى، وما المبادرة الأوربية فى ذلك الوقت إلا إحدى ثمار الدبلوماسية المصرية الشامخة، عندما شعر صدام التكريتى بالفشل من هذه المحاولة لجأ إلى إغتيال قادة المقاومة الفلسطينية، وقد راح ضحية عملية الاغتيال خيرة القادة من أبناء فلسطين أمثال الشهيد سعيد حمامى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى لندن والشهيد عز الدين قلق ممثل المنظمة فى الكويت وغيرهم.

وقد أصدرت حركة التحرير الوطنى الفلسطينى «فتح»، دائرة التعبئة والتنظيم تعميم يحمل رقم ٣٤ تحت العنوان التالى: «إنعزاليو بغداد الحوار.. نعم للأحرار.. نعم أيضا». ويقول هذا المنشور: «.. إن فتح لم تقم لآداء المهام التى يفترض أن يقوم بها أبناء الشعب العراقى، وقواه الوطنية، ولكن لاشك أن من بين الأسباب التى جعلت فتح ضرورة موضوعية، هو إدراك مفاضليها أن بغداد صدام التكريتى ليست شيئا آخر غير بغداد نورى السعيد، وإذا كان الفلسطينون لم يستطيعوا إعتبار نورى السعيد بطلا قوميا، فإنهم عاجزين عن رؤية ملامح البطل القومى فى وجه صدام التكريتى العبوس.

إن صدام حسين التكريتى الذى يحمل على صدرة نياشين وأوسمة وقلادات كثيرة، أصدر أوامره باستباحة دم مناضلى فتح.. وفى النصف الثانى من مارس عام ١٩٧٨، ! تخذ مناحم بيجن قرارا مشابها، إذا أمر باجتثاث جذور فتح، لكن مناحم بيجن كان قادراً على أن يزج فى حربه ضد فتح أكثر من ثلاثين الف جندى وستين طائرة، وبضعة مئات من الدبات

والمصفحات بالاضافة إلى كتائب المدفعية والسفن الحربية. خصائص كثيرة مشتركة بالاضافة إلى الأصدقاء المشتركين تجمع صدام التكريتى القاتل المحترف ورئيس وزراء إسرائل، ولايجوز لأحد أن يشدد اكثر مما يجب على الفروق.

وقال السيد ياسر عرفات لدى تشييعه الشهداء الذين أغتالهم أيادى صدام حسين فى خطاب له قال فيه: «إننى أعرف الهدف من العمليات الجبانه التى يقوم بها النظام العراقى، ولذا فإننا سنرد بقوة وأقول لصدام التكريتى، إننى لن اركع وسوف أفشل المؤامرة».

وهكذا كان طريق صدام حسين إلى السلطة..



الفصل السادس

التطورات على المسرح الإيرانى

من البديهى أن كل ثورة تأتى عقب اختلال واضح فى توازن المجتمع. وعندما اختل التوازن فى المجتمع الإيرانى، ووصل الظلم إلى درجة الإحساس به.. كانت الثورة الإسلامية فى إيران..

ونعتقد أن تطورات هذه الثورة الإيرانية كانت تكمن فى ذلك التطور فى العلاقة بين الحاكم، وهو شاه إيران الذى يمثل السلطات بكافة أجهزتها ومؤسساتها والشعب الإيرانى بكل طوائفة وأحزابة. ومن المؤكد أن هذه الثورة ما كان يمكن أن تقوم إلا تحت مظلة الحريات التى أعطاها الشاه بعد أن سلبها من الشعب الإيرانى.

وقد لاحظ الكثير من المراقبين أن ثمة تعديلات قد أجريت فى نشاط السافاك حيث جعله الشاه ينحسر فى محاربة المخربين والمتطرفين القادمين من خارج البلاد أو الذين يعملون فى الداخل. وهكذا بدأ بتغير وجه هذا

الجهازالمخيف، وتتجه للعمل الوطنى. وقد اكد الشاه هذا الاتجاه الجديد فى تصريحاته.

وا' ع أن الهدف من وراء إنشاء جهاز الساقاك فى النصف الأول من عام ١٩٥٦ برئاسة اللواء تيمور بختيار، هو أنهاء حالة الطوارئ التى فرضت على البلاد فى إعقاب حركة الإغتيالات السياسية التى قام بها أعضاء حزب توده الشيوعى والتى استمرت حتى نهاية عام ١٩٥٩، كان تيمور.بختيار فيها حاكما عسكريا عاماً، تمكن خلالها من القبض على الـ ـير من الشيوعيين ووضعهم فى المعتقلات والسجون، ثم كافأه الشاة بعد ذلك بترقيتة إلى رتبه الفريق، وكذلك عينه رئيسا لهيئة الأمن والمعلومات بدرجة نائب رئيس وزراء. ومن هنا كان هذف هذه الهيئة هو تعقب الشيوعيين، وأطلقت يده فى هذا المجال طوال اكثر من خمس سنوات إستطاع خلالها أن يعتقل الكثير من المناهضين السياسيين، على إختلاف مذاهبهم، وأن يقدم الكثير منهم إلى الإعدام. وقد كان الغاء الحاكم العسكرى يعنى أول ما يعنى أن يقوم جهاز السافاك بمهام هذا الحاكم. وعندما سئم بختيار من هذه المهمة فر خارج البلاد عام ١٩٦١ وصرح للصحفيين فى روما بأنه ليست هناك حرية فى أيران.

وقد تولى هذا الجهاز من بعده حسن باكروان اكثر من ثلاث سنوات كان آخر عمل قام به هو نفى آية الله الخمينى فى ٤ اكتوبر ١٩٦٤، باعتباره محرضاً على الثورة ويسعى إلى قلب نظام الحكم ويهدد أمن البلاد للخطر. وبعد هذه الحادثة بعدة أشهر تولى رئاسة الجهاز الفريق نعمه الله نصيرى الذى كان رئيسا للحرس الأمبراطورى برتبه العقيد إبان أزمة مصدق. وهو

الذى سلمه قرار إقالته وبهذا رقى إلى رتبه اللواء. وكانت الفترة التى تولى فيها نصيرى رئاسة «السافاك» واستمرت ثلاثة عشر عاما من أحرج واقسى الأوقات التى عانى فيها الإيرانيون الرعب وعدم الأمان حيث استحدثت أجهزة التعذيب حتى الموت والمحاكمات الصورية والإعتقال لمجرد الشك أو الاستياه، وقد نشرت فى الصحف بعد ذلك الكثير من الجرائم، وأجريت الأحاديث الصحفية مع المعتقلين الذين تم إطلاق سراحهم حيث ذكروا أسباباً تافهة لإعتقالهم مثل ضبط بعض الكتب أو عن طريق الشكوى الكيدية أو غير ذلك، وكيف انهم عذبوا ابشع أنواع التعذيب لأجبارهم على الإعتراف بجرائم لم يرتكبوها. - تقديمهم لمحاكم عسكرية سريعة وصورية.

وبدأت المعارضة تنشط، وتقوم بدورها فى إثارة قضية هذا الجهاز المخيف، وتطالب الإعلان عن أعضائه وجواسيسه، وأسلوب تشكيلاته وميزانيته السرية، وتشكيل لجان التحقيق مع قياداته- وفى تصريح للدكتور كريم سنجابى زعيم الجبهة الوطنية فى ذلك الوقت قال فيه: «حقيقة أن وجود جهاز للأمن والمعلومات ضرورى فى كل الدول لمواجهة أعدائها فى الداخل وفى الخارج. لكن المؤسف أن تجاوز جهاز السافاك هذه المهمة وسلب راحة الشعب وأمنهم، وقام بأعمال مشينة ضد الوطنيين المخلصين».

وأما هذا الموقف من المعارضين أصدر الشاه قرارا بعزل الفريق نصيرى من رئاسة هذا الجهاز، وعينه سفيرا لبلاده فى الباكستان كبداية لتغيير سياسته. ثم أعلن عن عزل أربعة وثلاثون مسئولا كبيرا من وظائفهم فى هيئة الأمن والمعلومات، وتغيير وجة هذا الجهاز وإعادته إلى وظيفته

الأساسية. وقد صرح أحد مسئولى هيئة الأمن قائلا! «إن الذين خرجوا من الهيئة هم من القياديين الذين بلغوا سن التقاعد، كما أحيل للتقاعد أيضا عدد من المسئولين الذين عرفوا بأسلوبهم الخشن فى التعامل مع الشعب أو مع المعتقلين السياسيين، وقال أنه فى السنه الأخيرة قد تم وضع رقابة من الصليب الأحمر الدولى على المسجونين السياسيين الذين كانوا يبلغون الشاه مباشرة إذا حدث أى نوع من التعذيب للمعتقلين، وما انتفى معه حدوث أى تعذيب فى هذه السنة، واعترف المسئول عن هيئة الأمن بأنه كانت تحدث بعض أعمال القسوة عند القاء القبض على المعتقلين. وكان من الصعب تلافيها، كما أن انتشار الشائعات زاد من سوء الفكرة فى التاس عن الهيئة، ولاشك أنه من غير الممكن أن نسلب موظفى الهيئة حق الدفاع عن أنفسهم أمام المخربين».

وهكذا ضاق الخناق وأطبق حول عنق جهاز السافاك، وشجعت المعارضة الشعب على تقديم البلاغات إلى المدعى العام الإيرانى ضد بعض الأفراد المنتمين إلى هذه الهيئة والذين قاموا بتجاوزات على بعض المواطنين. وقد قدمت معظم الشكاوى ضد الفريق نصيرى نظرا لأن مقدميها لم يكونوا يعرفون شخصية المسئول الذى تجاوز أو تعدى عليهم حتى أن المدعى العام الايرانى إضطر إلى أن يعلن إتهام الفريق تصيرى فى ثلاث عشرة جريمة ويأمر بالقبض علية واحضاره من باكستان إلى طهران لمحاكمته. وقد تم له ذلك.

لقد زاد ضغط المعارضة على الحكومة، لكى تكشف عن المختلسين، والمستغلين لمناصبهم من كبار رجال الدولة، وأن تعمل على إعتقالهم

ومحاكمتهم، حيث طالب الإشتراكيين الراديكاليين بزعامة آحمد بنى احمد القضاء بتعقب الذين قاموا بنهب أموال الشعب. واكد أن إنتشار الفساد والسرقات مظهر من مظاهر الإختناق المستهتر. وإقترح زعيم الإشتراكيين إقامة محكمة ثورية تحتكم إلى الدستور وحده فى عملها، وأن تعلن خلال مدة أقصاها شهراً أسماء كل رؤوس الفساد والإنحراف فى كتاب أسود. وقد شكك فى تنفيذ هذا الاقتراح على يد الحكومة الحالية لأن بها ثمانية وزراء من الحكومات السابقة، واكد ظفرى عضو مجلس النواب أن المجلس إذا تعقب لصوص بيت المال على مستوى رؤساء الوزرات والوزراء والمحافظين والمدراء خلال الخمسة عشر عاما الأخيره لزاد عدد اللصوص عن الألف، ويمكن تنفيذ هذا من خلال إصدار قانون «من أين لك هذا؟». وقد اكد السناتور سزاوار هذا الأمر يقوله: «لو تعقبنا لصوص بيت المال لتعطلت كافه المصالح الحكومية لكثرة عددهم،» وعلى أيه حال فقد أقر المجلس النيابى هذا القانون، وتم عن طريقه القبض على كثير من المسئولين السابقين من بينهم؛ محمد على نقيب زاده رئيس الجمعية التعاونية للإسكان، رحيم على حزم المقاول الثرى، ورئيس الغرفه التجارية السابقة، ودكتور شيخ الإسلام زاده وزير الصحة السابق، محمد رضا نقابت وكيل وزرة الصحة السابق، دكتور نيلى آرام وكيل وزراة الصحة السابق أيضا، رسول رحيمى رئيس الغرفة التجارية للعاصمة، على أصغر وزازيان مستورد الفاكهة، قاسم ساربانها صاحب شركة النقل البرى، باخر عاملى مدير هيئة تعمير القرى سفير إيران فى السودان مدير عام وزارة الزراعة مدير هيئة الطيران المدنى وثلاثه من كبار موظفيها..

هذا وقد أثيرت قضية المعتقلين السياسيين بشكل حاد، وثبتت الجمعية

الإيرانية للدفاع عن حقوق الإنسان هذه القضية، وتزعم هذا الإتجاه مهدى بازرجان، حسن نزيه نقيب المحامين، دكتور عبدالكريم لاهيجى رئيس جمعية الحقوقيين، دكتور على أصغر حاج سيد جوادى الكاتب والمفكر، دكتور سيد مناجى دكتور احمد صدر حاج سيد جوادى، مهندس رحمت الله مقدم. ورغم أن هؤلاء قد واجهوا حملات من التهديد والإرهاب لدرجة وضع القنابل فى منازل البعض أو القبض على بعضهم إلا أنهم لم يكفوا عن المعارضة العلنية، كما حاولو الإحتماء برجال الدين وخاصة آيه الله شريعة مدارى، مطالبين بوقف التعذيب فى المعتقلات وتكوين لجنة تفتيش عليها، وإطلاق سراح الوطنيين، كما أعلنوا استعدادهم للدفاع عن أى شخص معتقل دون مقابل، والدفاع عن المدانين الذين يلاقون التعذيب والمعاملة اللاإنسانية فى السجون. وقد طالبوا بضرورة تشكيل محكمة ثورية وطنية تضمن حصول كل فرد على حقه وتكفل إيجاد قضاء سياسى مفتوح وحرية القلم والبيان ومحاربة الفساد وإنصاف المعتقلين السياسيين والسماح بالمظاهرات فى حدود الدستور. ومثلما نهضت نقابة المحامين للدفاع عن الحريات والمعتقلين السياسيين، قام العاملون بالمؤسسات الصحفية بالاحزاب والاعتصام والضغط على الحكومه خلال المقالات والتحقيقات من أجل إطلاق حرية الصحافة، ورفع الرقابة عن الصحف والمطبوعات وقد أثمرت جهود الصحفيين متمثلا فى نقابتهم عندما أسفر إضراب اعضاء النقابه عن توقيع إتفاق مع الحكومة لحرية الصحافة والنشر والتأكيد على صحة سياسة حرية الصحافة وضمان سلامة العاملين بالصحف فى إطار ضمان السلامة العامة للأفراد وعدم التدخل المباشر وغير المباشر فى شئون الصحافة، وأن يكون القضاء هو الفاصل فى المخالفات الصحفية. ولقد عبر أحد الصحفيين عن

فرحته بهذا النصر الرائع بقوله: «إنه لم يأخذ إجازة من حياته الزوجيه طول إثنين وعشرين عاما من زواجه إلا ليلة الإعلان عن حرية الصحافة حيث سمحت له زوجته أن يبقى فى الصحيفه ليل لها وأن يكتب ويكتب.».

وقد أصدرت الحكومة على أساس هذا الإتفاق قانوناً جديدا للصحافة تحقق فيه القيود على إصدار الصحف والمجلات وتحديد مسئوليات رئيس التحرير والمحررين وضوابط النشر وتمنح بعض الحرية للصحافة من خلال هذا القانون.

وعلى ذلك الأساس سارعت الحكومة إلى إصدار القرارات لتخفيف العبء- عب الضرائب- على الدخول والمرتبات، كما أعلنت وقف مساعداتها المالية لحزب النهضة، تمهيداً لحلة وإلغائه، واكدت سعيها لإعادة المتهمين الهاربين خارج البلاد لمحاكمتهم. ولكن هذا لم يكن يعنى التخفيف من قبضة النظام العسكرى والأحكام العرفية أو تتهاون مع مثيرى الشغب والمحرضين على العنف، حيث إعتقلت أكثر من الف شخص خلال فترة الأحكام العرفية التى لم تتجاوز بضعة أيام، وقد أعلن رئيس الوزراء صراحة أنه تم القبض على الفا وثمانون شخص من مثيرى الشغب فى المظاهرات الأخيرة. وأعلن الدكتور جوادسيد القائم بأعمال السكرتير العام لحزب النهضة حل الحزب وتسليم كافة أموالة ومنقولاته ومبانية إلى الحكومة. وأجرى شريف إمامى رئيس الحكومة حديثا صحفيا مع أحد مراسلى الصحافة فى المانيا الغربية، لخص فيه كافة الظروف التى تحيط عمل الحكومة فى هذه المرحلة من القلق والإضطراب فقال: «سوف نستمر فى جعل المحيط السياسى ليبراليا بالرغم من وجود حالة الطوارئ لتحديد

الاجتماعات ووقف أعمال العنف، وسنجرى إنتخابات عامة فى العام المقبل تشترك فيها كافة الأحزاب بكل حرية، وأن الفرق الجوهرى بين سياستنا وسياسة الحكومة السابقة هو أننا نهتم بمطالب الشعب فى الدرجة الأولى ونحترمها، ونحن لا نستيغ إطلاق النار على الأبرياء. ولكن حالة الطوارئ، إعلان الأحكام العرفية لها قوانينها التى لا تتدخل الحكومة فيها، وإن كانت كل الدلائل تشير إلى أن مثيرى الشغب من العناصر اليسارية المحولة من الخارج.

إلا أن هناك خطوة كان قد أقدم شاه إيران عليها من أجل الجماهير الغاضبة والناقمة على الفساد المنتشر فى البلاد، حيث قام بتعيين الدكتور «فلى أردلان» أستاذ الإقتصاد وزير البلاط. وكان أول ما قام به أردلان بناء على توجيهات الشاه هو تنفيذ القرار الخاص بمنع تدخل أعضاء الأسرة المالكة فى الشئون الحكومية ومؤسسات القطاعين العام والخاص وشركاتهما وهيئاتهما. أو إستخدام النفود للحصول على منفعة شخصية لهم أو آخرين أو حتى التوصية لدى هذه الهيئات لصالح أحد، والإقناع عن الوساطة أو أى نوع من السخرة أو الحصول على وظائف فى مجالس الإدارات أو الشركات أو البنوك وعدم التدخل أو الإهتمام بأى شأن يخرج عن شئونهم الشخصية. وهذه الخطوة من جانب الشاه هى خطوة جريئة فى حقيقة الأمر، ربما أثارت أفراد الأسرة الملكية والحقت بمكاسبهم بعض الأضرار إلا أنهم أذعنوا للأمر إدراكا منهم لخطورة الأوضاع وثورة الجماهير. وقد أنشأ رئيس الوزراء لجنة لتعقب الإنحرافات والإستغلال والفساد فى كافة الأجهزة الحكومية والوزارات وسمحت الحكومة فى نفس الوقت إلى زيادة دخل العاملين من منتسبيها صيانة لهم من الإنحراف.، ولكن هذه الإجراءات لم

تمنح الحكومة ما كانت ترجوه من تأييد الشعب أو دعم موقفها إزاءه أو تقوية قبضتها الممسكة بزمام الأمور التى كاد يفلت منها، ومع ضعف الأمل فى أن تحقق الحكومة ما يرجى منها فى توفير الأمن والاستقرار فى ايران، وتلبية إحتياجات الجماهير الثائرة التى بلغت فى التعبير عن اعتراضها حد العنف.

لقد كثر الحديث عن المستقبل السياسى لإيران، وبدأ زعماء المعارضة- ينشرون آراءهم حول هذا الموضوع حيث دعا على أمينى رئيس الوزراء الأسبق جميع الأحزاب والجماعات السياسية للنهوض من أجل إنقاذ البلاد مؤكدا أن العدالة الأجتماعية ينبغى أن تطبق عن طريق الضرائب وعدم التفرقة فى المعاملة، وقيام قضاء نقى وقوى، وطالب بمحاربة الفساد، وعدم التسامح مع المنحرفين واللصوص. كما طالب بوقف الإسراف ومنع التضخم وأيد إعلان حالة الطوارئ، وقيام حكم عسكرى لمنع الفوضى وتوفير الأمن، كما أكد أن ما أعلنته الحكومة من إصلاحات لا يعنى بالغرض. وركز على ضعف جهاز السافاك فى تحديد مواقع إيران فى المنطقة وعلى المستوى الدولى.

وقد أكد أخرون مثل شابور بختيار والدكتور حسن طيب عضو مجلس النواب وعلى أصغر مظهر على أنهم يرون أن المستقبل السياسى لأيران مظلم تماما.

ولكن البعض من الموالين للحكومة قد أكدوا أن هذه الفوضى والأضطرابات ليست فى مصلحة إيران. فهى لاتخرج إيران من الدكتاتورية إلا إلى أخطار اكبر وتطرف أبعد. وكان لتدخل العسكريين لإنهاء هذه

الفوضى والمحافظة على الأمن والإستقلال فى البلاد إزدياد نظرة السخط والكراهية من جانب الشعب الأيرانى..

لقد إستطاع أيه الله شريعة مدارى بما يتمتع من نفوذ روحى قوى على جماهير الشعب الإيرانى أن يصبح ذو كلمة مسموعة بين كل الإوساط، إلى درجة أن حكومة شريف أمامى كانت تضع تصريحاته موضع الإعتبار، وتحرص بشده على بذل كل الجهد لمحاولة إرضائه. ونعتقد أن أكتر مثل على ذلك هو إستجابة هذه الحكومة لكل الشروط التى أعلنها من أجل العمل على إعادة الهدوء والاستقرار فى البلاد وذلك قبل مضى نصف المدة التى حددها حيث أطلقت هذه الحكومة سراح آيه الله طالقانى، وكذلك آيه الله منتظرى، وكفلت لهما حرية القول والفعل فى حدود الدستور، حيث أعلنا قور خروجهما من السجن أنهما مدينان للشعب الإيرانى بحريتهما، وعاهدا الشعب على الكفاح المقدس لهذا الشعب، واكد آيه الله منتظرى أن المادة الثانية المتممة للدستور تشير إلى ضرورة قيام رجال الدين، بالرقابة على القوانين ولم توضع موضع التطبيق. ثم سمحت الحكومة لأية الله طباطبائى أيضا بالعودة إلى إيران، وقد أقام فى مشهد وإشتغل فى تدريس العلوم الدينية والوعظ، كما وعدت الحكومة بالتفاوض مع آية الله الخمينى من أجل عودته إلى إيران.

وبالرغم من ذلك النفوذ الدينى القوى وكذلك نفوذه السياسى الذى كان يتمتع به آية الله شريعة مدارى الأرنه دان رجلا نعتدلا. فقد أعلن أحترامة للنظام والدستور مع مطالبته بتطبيق الشريعة الإسلامية التى ينص عليها الدستور الإيرانى، كما أنه يقدر ظروف الحكومة وكثيرا ما كان يدعو

الجماهير الثائرة إلى الهدوء، والتزام النظام والمحافظة على الأمن والإستقرار. وكثيرا ما كان يمنع المظاهرات التى كانت تنظم ضد الحكومة مطالباً المتظاهرين بإعطاء الفرصة للحكومة لتثبت حسن نواياها، وتقوم بالأصلاحات اللازمة. وكما يقول الدكتور محمد عبدالمؤمن، فإن اليسار الماركسى الذى ركب الموجة- موجة الثورة- ضد النظام لم يجد فى آيه الله شريعة مدارى المعتزل زعيما يصلح لقيادة الثورة الإسلامية، لذلك التفت كل القيادات اليسارية حول آيه الله طالقانى المتشدد، ودفعته إلى الزعامة، حيث جعلت منظمة فدائى السلام اليسارى منه أبا روحيا لها، كما أن الجبهات الأخرى المعارضة إتجهت إلى أية الله العظمى الخمينى لقيادة الثورة.

والواقع أن نشاط الخمينى، كان قد بدأ بعد أن رفعت السلطات العراقية الخطر عنه. وبإيعاز من الحكومة الإيرانية، فغادر العراق إلى باريس فى ٥ أكتوبر عام ١٩٣٨. ويعتبر هذا التاريخ بداية العمل السياسى المنظم والمعلن من جانب الخمينى ضد نظام الشاه، وقد أصدر البيان الأول له من باريس بعد ثلاثة أيام تقريبا من وصوله حيث أعلن فيه أن حكومة العراق طلبت منه أن يختار بين السكوت أو مغادرة البلاد إلى بلد آخر، وأنه لم يكن يستطيع السكوت، لهذا فقد فضل مغادرة العراق لأنه شعر أن السكوت هو إثم كبير فى حق الشعب الإيرانى، ولما رفضت دولة الكويت السماح له بالدخول إلى أرضيها، فكان قراره بالسفر إلى باريس ليتدبر أمر إقامته من هناك وقد رشح له بعض المقربين اليه الذهاب إلى بلد إسلامى ليستقر فيه مثل الجزائر أو سوريا.

وهنا بدأت السلطات الفرنسية تبدى إهتماما كبيرا ومتزايدا بالخمينى وتمنحة بعض التسهيلات، والحرية فى ممارسة نشاطة، وكذلك تسمح له ولاصدقائة وأتباعه بزيارته ولقائة. ثم بدأت تخرج من العاصمة الفرنسية التصريحات التى يدلى بها الخمينى، وأذكر أن أول رسالة له إلى الطلاب الإيرانيين المضربين يشجعهم ويطلب منهم الحيطه والحذر، ويهاجم فيها حزب توده الشيوعى ويتهمه بمحاولة إحباط النهضة الإسلامية القائمة فى إيران، ويهاجم الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى والصين ومحاولاتها المتكررة للتدخل فى شئون إيران. وقد شجعت هذه التصريحات أقطاب المعارضة الأيرانية فى البرلمان الذين أثاروا بدورهم قضية إبعاد هذا الزعيم الدينى عن البلاد وتقديم إستجوابات للحكومة حول أسباب ذلك وسرعة إتخاذها لقرار بعودتة إلى البلاد،

وفى هذه الأونه، على أثر ما أثير فى البرلمان، قام مهدى بازرجان رئيس لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان فى البرلمان الإيرانى، بلقاء آيه الله الخمينى فى باريس. فكانت بداية العمل المنظم التى تكونت بزعامة الخمينى لمناواة النظام الحاكم والعمل على إسقاطه من خلال إتفاق بازرجان وميناجر الذى حضر اللقاء على ضرورة إيجاد لغة التفاهم والإتفاق التكتيكى، على حد تعبيره، بين كافة أجنحة الثورة السياسية المخالفة للنظام داخل إيران وخارجها. ورغم صعوبة تنفيذ هذا الإتفاق، إلا أنهم إعتبروه أمراً حيوياً وضروريا أيضا. وأخذوا على عاتقهم إزالة المشاكل والتعقيدات عن هذا السبيل والتقريب بين الشعارات المختلفة والتكتيكات المتفاوته للجماعات السياسية المعارضة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. وقد أثمر هذا الإتفاق دون جهد كبير فى إنضمام إيران الوطنية بزعامة كريم سبجابى،

وسرعان ما طار هذا الزعيم للقاء الخمينى الذى إستقبلة على الفور. وقد أدلى سنجابى بتصريح عقب اللقاء بأن محادثاته مع الإمام الخمينى هى أعظم إنجاز قامت به الجبهة الوطنية فى الظروف الراهنة. حيث تحددت من خلال هذه المحادثات إستراتيجية العمل السياسى للجبهة فى المستقبل.

وقد التزمت الجبهة الوطنية بتوجيهات الخمينى، وكانت تتدارسها بصدق لوضعها موضع التنفيذ، بل لقد جعلت من النقاط التى أعلنها الخمينى محدداً بها موقفه من الحكومة القائمة والنظام وعلى رأسها عدم التفاوض مع الحكومة أو النظام أو من يمثلة، وطرد كل من يتفاوض منهم مع التحالف الخمينى الذى قام عند ذلك، جعلت الجبهة هذه النقاط حدوداً تتصرف فى إطارها ولاتخرج عنها فى تحركاتها السياسية، كما تصاعد نشاط رجال الدين وتحددت آراؤهم وأفكارهم ومطالبهم على ضوء تصريحات الخمينى، وتحت قيادة كل من آية الله طالقانى وآية الله منتصرى ومباركة آيه الله شريعة مدارى ومساعدة آيه الله صدقى وسيد جعفر بهبهانى. وقد إتخذت كلمه رجال الدين بشكل واضح فى هذه الفترة، وصار مطلبهم الرئيسى الذى أعلنوه صراحة هو إقامة حكومة إسلامية كحل وحيد للخروج من هذه الأزمة.

والواقع أن هذا المطلب كان يبدو معقولا لكافة القوى الوطنية المعارضة لنظام الحكومة وخاصة الجبهة الوطنية التى راحت تؤيده بكل ماتملك من قوة. والحقيقه أن الإتجاه المعتدل الذى تزعمه شريعة مدارى أصبح يلقى إهتماما من كل القوى الموالية للنظام، وكان من شأن هذا الاتجاه أن ينجح فى إخراج إيران من أزمتها إلا أن آيه الله الخمينى لم يحبذ هذا الاتجاه، كما أن آيه الله طالقانى كان يميل بتشجيع من العناصر اليسارية إلى تصعيد المواجهة

مع النظام. وقد إستطاع بالفعل بتصريحاته الحماسية أن يجتذب إليه الجماهير الثائرة المتعطشة إلى الثورة ضد النظام. وبالتالى فقد تدفقت هذه الجماهير على منزله، والتفت حوله حيث بلغ عدد الزائرين له فى اليوم الواحد اكثر من ثلثمائه الف شخص.

ويبدو أن إعلان آية الله الخمينى بأن تكون إيران جمهورية إسلامية، قد أحدث تصدعاً، حيث لم ير رجال الدين المعتدلين وعلى رأسهم شريعه مدارى فى ذلك أمراً ملحاً فى الظروف الراهية فى وذلك الوقت. وأن الوقت فى تقديره لم يحن بعد للعمل على تحقيق ذلك، فى حين إستصوب اليساريون الفكرة كوسيلة لتغيير النظام، كما لاقت قبولا لدى آية الله طالقانى ومؤيديه. أما الجبهة الوطنية فكانت اكثر ميلا إلي موقف شريعه مدارى، حيث ترددت فى قبول هذه الفكرة.

وفى الواقع أن الحكومة لم تحسن التصرف - فى تصورنا - فى ذلك الوقت حيث حددت إقامة شريعه مدارى، ومنعت الجماهير من التردد علية فى منزله، وكانت هذه من الأخطاء الواضحة التى تدل على تخبط الحكومة لأنها لو استمالت هذا الزعيم الدينى الكبير والمعتدل لإستطاعت عن طريقة أن تجتذب قطاعاً عريضاً من الجماهير لتأييدها، ولاستطاعت أيضا التفاهم مع الجبهة الوطنية التى أعلنت معارضتها لفكرة الكفاح المسلح ضد النظام ومطالبتها باقامة حكومة وطنية إئتلافية مؤقتة تكون مهمتها الخروج بالبلاد من محنتها. ونعتقد أن هذه التصرفات من جانب الحكومة غير الواعية قد أدت إلى تشجيع الجماهير الغاضبة على التطرف والإتفاق حول الزعماء المتطرفين من رجال الدين أو الإنضمام إلى التكتلات اليسارية والماركسية

المعادية للنظام. وكان هذا مايخشاه كل من آية الله شريعة مدارى والجبهة الوطنية، لأن هذا التطرف كان سيقود البلاد من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. ولقد حاول الشاه التفاهم مع بعض العناصر المعارضة، لعله يستطيع عن طريقها أن يخرج البلاد من هذه الأزمة، فعقد سلسلة من الإتصالات مع بعض الزعماء السياسيين الموجودين فى إيران وإستمع إلى وجهات نظرهم، لكن الشاه فى الحقيقة لم يكن ينظر إلى الأمور من خلال منظار جديد يوضح تطور الأمور على حقيقتها، وإنما كان همه أن يعثر على رئيس وزراء قوى يستطيع الإمساك بزمام الأمور، ويتمكن من دفع هذه الفوضى السياسية عن البلاد، وكان يحاول التلويح للزعماء السياسيين بنفس الأوراق القديمة التى كان يلعب بها فى الماضى. وقد أدرك الخمينى مايرمى اليه الشاه، فأعلن على أثر ذلك أن كل من يتصل بالنظام أو يفاوض معه سوف يطرد من الحركة الإسلامية، ويصبح عدواً لها. كذلك أكد آية الله طالقانى هذا الأمر عندما أعلن أن الوقت أصبح متأخرا بالنسبة للنظام الحاكم فى إيران الآن وحذر الجبهة الوطنية من الانخداع بمناورات الشاه ونظامه، واكد لزعمائها أنه كان يتعاون مع الجبهة الوطنية منذ عهد الدكتور مصدق وأنه مازال على أستعداد للتعاون معا والتوسط بينها وبين الخمينى من أجل أتخاذ موقف موحد وبناء إستراتيجية موحدة.

ويبدو أن الجبهة الوطنية والزعيم الدينى شريعة مدارى والسياسى القدير على أمينى يميلون لإقامة حكومة إئتلافية. ولكن كان واضحاً أن الجبهة الوطنيةكانت تريد لنفسها الزعامة فى هذه الحكومة. وأعلن أحد مسئوليها صراحة أنه ينبغى أن يرأس كريم سنجانى زعيم الجبهة مثل هذه الحكومة، فى حين كان أمينى يطمع فى رئاستها، وكان يحاول جاهدا الحصول على

تأييد شريعة مدارى، أن ينجح فى ذلك لولا أن الشاه لم يكن يثق فيه حيث قال عنه "إنه صديق للولايات المتحدة الأمريكية المفضل ضغطت علىّ كثيرا لأعنيه رئيساً للوزراء، وإضطررت إلى ذلك. وقد راحت إشاعة على أن الرئيس الأمريكى كنيدى قد عرض علىّ مساعدة قدرها خمسة وثلاثين مليونا من الدولارات من أجل القبول بأمينى رئيسا للوزراء، إلا أن الإشاعة عارية من الصحة. والواقع أن أمينى نفسه حصل على المبلغ من الولايات المتحدة بعد إستلامة للمنصب إلا أنه أساء التصرف بعد ذلك لدرجة أحوجته لطلب ستين مليون دولار أخرى من الأمريكيين الذين رفضوا الطلب. وطبيعى أن نظرة الشاة على هذا النحو لاتجعله يختاره مرة أخرى للوزارة كما أن الجبهة الوطنية أعلنت عن عدم إشتراكها فى آية حكومة يرأسها أمينى. وقد كان واضحاً أيضا أن سيجابى كان متردداً فى الإتصال بالشاة أو الإتفاق معه على مثل هذه الحكومة. كما أن الشاة نفسه يخشى من وقوع سنجابى تحت تأثير التيار الدينى بزعامة الخمينى.

وهكذا تلاحقت الأحداث، وضيقت الخناق على الشاه حتى وجد نفسه مضطرا للتعاون مع الجبهة الوطنية دون زعيمه سنجابى الذى كان واقعا تحت تأثير الخمينى. وقد نجح فى الإتصال بالرجل الثانى فى الجبهة وهو شابوربختيار، حيث يقول الشاه فى مذكراته :"إقترح الجنرال مقدم رئيس جهاز السافاك تعيين بختيار رئيسا للوزراء، وقد كان وزيرا فى حكومة مصدق وعضوا فى الجبهة الوطنية، وإتصلت به عن طريق آموزجار، وجاء به الجنرال مقدم إلى قصر تيمور بعد فشل المباحثات مع سنجابى الذى إتخذ جانب الحذر والصمت، وتحدثت مع بختيار لفترة طويلة بالغ فيها فى التعبير عن ولائه للدستور والملكية، وأراد مراعاة الدستور بتسمية مجلس وصاية

ينوب عنى لدى مغادرتى البلاد فى عطلة، وقد عينته على أمل أن يجانبه التوفيق ويستطيع إنقاذ البلاد من الخراب الذى حاق بها".

وبمجرد موافقة بختيار على تولى السلطة حتى بدأت الأمور فى الإضطراب داخل الجبهة الوطنية ودار الجدل فيها وحولها وكادت تتصدع نتيجة للهجوم والضغوط التى تعرضت لها من جانب العناصر المختلفة المعارضة للنظام. وكان على زعماء الجبهة أن يقرروا ما إذا كانوا سوف يسيرون خلف بختيار ويقبولون الإشتراك معه فى الحكومة الوطنية أو يقبلوا على مسايرة للحركات الأخرى. ويبدو أن زعماء الجبهة الوطنية قد حذروا بختيار من المضى قدما فى مسعاه، وحاولوا الضغط عليه بل وتهديده، ربما بدافع من الغيرة على الجبهة خوفا من التشتت والضعف، وربما خوفا من مواجهة تكتل القوى المعارضة الأخرى ضدها، وربما خوفا من تحمل هذه المسئولية الثقيلة على عاتقها وحدها، وربما خوفا من تهديدات آية الله الخومينى وأنصاره، وجبهة رجال الدين، وليس من المستبعد أيضا أن يكون حسداً أو غيرة من زعماء الجبهة لبختيار على إستئثاره بالزعامة دونهم، وظهوره بمظهر المنقذ أو البطل .. وقد مضى شابور بختيار قدماً فيما إنتوى عليه ضارباً بتهديدات زملائه وغيرهم من المعارضة عرض الحائط، فإجتمعت قيادات الجبهة الوطنية وقررت طرد بختيار وأعوانه من الجبهة. كذلك أعلن آية الله الخمينى طرده من الحركة الإسلامية، وأعلنت باقى الأحزاب المعارضة عن رغبتها فى التعاون معه، ورغم ذلك أعلن بختيار تعهده بأن يقوم بحركة الإصلاحات التى يطالب بها الشعب من خلال الدستور، وإتفق الشاه أن يغادر البلاد فى إجازة حتى تستقر الأوضاع بحيث يعود بعدها ملكا يملك ولايحكم كالنظام فى بريطانيا. وبحيث تطبق أصول الملكية البرلمانية كما

نص عليها دستور ١٩٠٦ الغيابى.

ويبدو أن بختيار لم يكن يدرى بما خطط له الخمينى مع انصاره داخل إيران وخارجها، كما أنه لم يزن بدقة حجم قوة الخمينى وأتباعه بالصورة الصحيحة وقد كان واثقا من نفسه وقدرته على مواجهة الموقف اكثر مما ينبغى واضعاً فى أعتباره أن أية إصلاحات لايمكن أن تتم قبل أن يتمكن من أحكام قبضته على مجريات الأمور بما فى ذلك إعادة الهدوء والنظام والأمن للبلاد. لذلك فقد إستعان بالجيش فنزلت وحدات من القوات المسلحة إلى الشوارع، وكان ذلك يعنى تصعيد الصراع إلى ذروتة، فإما أن يتمكن بختيار بقوته العسكرية من الإمساك بزمام الأمور وهذا ماكان واثقا منه، وإما أن ينقلب الأمر ضده وينتصر معارضوه عليه. ولكنه كان يحبذ المغامرة. وقد روج معارضوه أن نزول الجيش إلى الشوارع يعتبر عملا عدائيا ضد الشعب وإستفزازا صريحاً له وعودة إلى الدكتاتورية، وفرض الملكية بالقوة، وإعادة التسلط والإستبداد بعد أن نجح الشعب فى مقاومته. وكانت الفرصة سانحة لكل من رجال الدين واليساريين، حيث أعلنوا الثورة الشعبية، ودعوا الجماهير النزول إلى الشوارع تصديا ببإستبداد. وقد وجدت هذه الدعوة إستجابة قوية، حيث أخذت الجماهير تتدفق إلى الشوارع والميادين، والقيادات المعارضة تمضى قدما فى تصعيد الموقف وتحريض الشعب بحيث تجمع فى ميدان الجيش، وماحوله اكثر من مليونى شخص من الرجال والنساء والأطفال جلسوا على الأرض وأحرقوا إطارات السيارات، وهاجموا المكاتب الحكومية فى المنطقة وأخذوا يقذفون قوات الجيش بالحجارة متصايحين بعبارات الإحتجاج ضد تصرفات بختيار وقراراته، وقد حاول الجيش تفريق الجماهير المحتشدة باطلاق الرصاص فى الهواء، وبالقنابل المسيلة للدموع

وبقنابل الدخان، إلا أنه فشل فى ذلك إزاء تصميم المعارضة والجماهير من ورائها على المضى فى تصعيد الموقف حتى النصر. وقد إضطر الجيش إلى إطلاق النار على الجماهير لإرهابها وسقط بعض الضحايا دون أن يؤثر ذلك فى موقف الجماهير بل زاد من غضبها، فأذعن الجيش وأوقف إطلاق النار، وإنسحب إلى ثكناته وترك الجماهير تنصرف منها.

وتحت مظلة هذه التطورات السريعة فى الأحداث، أصبحت الظروف مواتية تماما لعودة الخمينى إلى إيران رغم أنف الحكومة وإعتراض بختيار الصريح على تلك العودة وسط هذا الاضطرابات. إلا أن الخمينى صمم على العودة وأعتقد أن هذا التصميم يوحى بأنه وراء هذا الإضطرابات وأنه لاخطر عليه منها حيث تم أتخاذ التدابير من جانب أنصاره لحمايته. وأذعن بختيار فى النهاية. ووصل الخمينى إلى إيران ليستقبل إستقبال الفاتحين. والتف حوله الناس والزعماء وأصبح سيد الموقف فى إيران. وهنا لم يجد بختيار بداً من ترك البلاد إلى باريس. ولتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ إيران ...

أنظر كتاب مسألة الثورة الأيرانية للدكتور محمد السعيد عبدالمؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستاذ مصطفى أمين المحترم

تحية تقدير ومحبة للانسان الذي عشق الحرية ورفض أن يختص بها نفسه ، فآثر ولوج الطريق الصعب يدافع بها وعنها ، رافضاً رايات خفافيش معتقداً أن سيرمي مشعلها طلاب درسوا في مدرستكم وحفظوا الدرس جيداً .. فاللهم اجز الأمين على الكلمة منا خير الجزاء ، فقد فارق قولة الحق ولا يزال ولم يفت في عضده قوة الظالم وجبروت الظلم .

استاذنا المحترم .. طالعتنا فكرتك التي نحرص على متابعتها يومياً بل فما من يغضها مسلسلة العدد لينسقها يوماً في كتاب ، الفكرة التي نشرتها الاخبار يوم ١٧/٥/١٩٨٢ شدتنا من الاعماق وجعلتنا نتزاور ليبشر احدنا الآخر بعبارة "هل قرأت فكرة الاستاذ مصطفى امين هذا اليوم" فقد اصبحت كبير الحجم واسع مكتب الظلم الذي ومنع وما يزال على شعب العراق .. عن المقابر الذي فرض نفسه في كل زاوية .. عن الصمت الذي لف الشارع .. عن الاعتقالات العشوائية واختفاء الناس والقاصف المرعب .. عن الحرب والشوارع المهجورة من زحمة الشباب ..
صحيح انك لم تسم البلد ولكننا شعرنا حالاً انك تتحدث عن اسبوع احتفالات صدام حسين بعيد ميلاده والبلد يعيش مجللاً بالسواد .... اننا نقول للكاتب والاستاذ القائل عن الحرية ورفض الظلم شكراً والف شكر فانه بعث الامل بدلاً بكلماتكم التي الهبت المشاعر وكانت من القوة ما فاد رجال النظام الى التهجم عليكم ببذيء الكلام وكأنهم عرفوا انك قصدتهم .....

ارجو المعذرة ايها الاستاذ ان أنا ازعجناك بسرد بعض المعلومات عن العائلة الحاكمة التي تقود بلده الى خراب .

١- وصل صدام حسين ومجموعته الى الحكم في ١٧/٧/١٩٦٨ بمساعدة فريق من مجموعة عسكرية وتشكل النظام منهم بعد ذلك وبدأ الغدر بعضهم .. عبد الرزاق النايف رئيس الوزراء أزيح بعد اسبوعين وطرد الى الخارج ثم اغتيل في لندن ودفن في الاردن .
ابراهيم عبد الرحمن الداود وزير الدفاع طرد الى الخارج ولجأ الى السعودية وقد قتلوا اخاه المنتخب عبد الوهاب . حردان التكريتي نائب رئيس الجمهورية طرد واغتيل في الكويت . عبد الكريم الشيخلي [illegible] واغتيل في بغداد .. الاعظمية وهو يدفع اجور الماء والكهرباء احمد حسن البكر رئيس الجمهورية أجبر على الاستقالة وقتل مسموماً . ناصر الحاني وزير الخارجية اغتيل في بغداد بعد ان قالوا لزوجته الامريكية انه مطلوب بالقصر الجمهوري ثم [illegible] والمجلس الحاكم - محمد عايش وزير الصناعة - محمد محجوب وزير التربية . عدنان حسين وزير التخطيط . عبد الخالق السامرائي عضو القيادة . مرتضى الحديثي وزير الاقتصاد . بالاضافة الى ٥٥ شخص بين محافظ ومدير عام وضابط جيش وقد تم هذا في ١٧/٧/١٩٧٩ عندما تولى صدام رئاسة الجمهورية ، اذا كان صدام مع جماعته هكذا فتصور مع الغير فحمام الدم يسيل ليل نهار لكل من يقول لا او يعترض على شيء وقد فقد الرجل ثقته باقرب الناس اليه

حيث كان دور اجهزة المخابرات في كل صغيرة وكبيرة . وتولى اقرباؤه كل شيء مثل مدير ابن خاله
عدنان خير الله ابن خاله وشقيق زوجته وقد اختفى نتيجة حريق في طائرة هيليكوبتر - مدير المخابرات
شقيقه برزان ابراهيم . النائب الاول لصدام عزت ابراهيم " مدير الامن شقيقه
وطبان ابراهيم وتولى الوزير يراقب عزة الدوري نائب رئيس مجلس الثورة كمدير لمكتبه
شقيقه سبعاوي ابراهيم مدير مكتب نعيم حداد رئيس المجلس الوطني . ابن عمه
عرابه كل شيء . ابن عمه علي حسن المجيد نائب رئيس المخابرات العامة
مسؤول عن قطاع الطيران . ابن عمه علي حسن المجيد أصبح عضو القيادة القطرية
لقمع الانتفاضة . من المشكوك بولائهم .
حماماته الدم بدأت بالسياسيين القدماء واغتال الدكتور عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء الاسبق
ورشيد مصلح وزير الداخلية الاسبق لتنتهي بكل القائلين لا للظلم ..
وأخيراً عم الظلم جميع افراد الشعب بحرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل وبدأت بتهجير ٥٠ الف
شخص كانوا يعيشون في العراق من عشرات السنين واذا بهم يلقون على الحدود الايرانية
امام مدافعها وبلا اثم من الشيعة الايرانية - وهذه رسالة تمس من الاباء والاجداد
وتمتد الى نكلان من ابنائهم الشيعة بشاي حفظ ابناءهم القاصرين انه يكتشفوا منه ايرانيين
وهناك منهم من انهى اي علاقة و ولائه للوطن لا بل قدم العسكرية وكل ذلك لم يمنع وبدأت
تحصل الحرب بأن نجحت الامور لصدام بسهولة للعداء مع الخميني ويعيد ما اعطاه للشاه
في اتفاقية ١٩٧٥ . بانتزاع من منتصف شط العرب ودون الايراني وبات صدام يتهم
العرب وقادتهم !! وبدأت الحرب ولم تنتهي الا بعد ثماني سنوات من المآسي والآلام
والمعوقين - ويعيد صدام الآن ويؤكد انه سيوافق على اتفاقية ١٩٧٥ فلماذا كانت اذن
الحرب ؟ المفروض انه من يدخل في ابتدائه عملية ويفشل يقدم استقالته او يحاكم محاكمة وهذا
ما تعلمناه من السياسة وما حدث حرب فوكلاند ليس ببعيد ، ولكن لما طلب الدكتور رياض
ابراهيم حسين وزير الصحة من صدام ذلك حتى يمكنه من ينهي الحرب اطلق صدام عليه
الرصاص في مجلس الوزراء ودفن الرجل في منطقة الرمادي مسقط رأسه وامر اخيراً
اهله بعدم اقامة مجلس العزاء .
لقد ازداد صدام حب في الدنيا الاخيرة ارهاباً وزادت صوره في كل مكان حتى في الساحات
التي يلبسها ازياء الشعب وصدام يتصل ذلك عبر اذاعة عند تحقيقه برزان في اروقة المخابرات .
ويكفي ان تطالعوا صحف الثورة والجمهورية التي تصل الى العاصمة لتروا الى اي مدى وصل الاستخفاف
بالشعب و التمجيد بصدام وكأنه إله لا بل أكثر من ذلك . وسخر الاعلام داخليا وخارجيا للتمجيد
بالاسماء الجديدة وقد باع مع الاسف الكثير من الصحفيين اقلامهم له لقاء ثمن بخس ... من يقبض الملايين
بالعملة من ذلك - أمير اسكندر صحفي مصري اصدر كتاب لصدام اسمه - صدام حسين
مناضلاً ومفكراً وانساناً - صدر في فرنسا وطبعته مطبعة هاشيت في باريس بلغت
تكاليف لقاء ٢ مليون فرنك سلمها امير اسكندر من نوري : حميد الموسوي سفير العراق
في باريس مع جواز سفر دبلوماسي . فؤاد مطر - صحفي لبناني اصدر كتاباً سماه صدام
حسين القائد والفكر لقاء ربع مليون دولار وصدر كتابه باكثر من لغة ومنها الانكليزية

عليها لنزداد ارتباطاً . ولقد نوه أخيراً مدير مجلة الوطن العربي في باريس لعدد [illegible]

شهرية [illegible] بسبب [illegible] على شركة [illegible] مقدار

بتهمة تدريب نحو [illegible] يعمل كصاحب [illegible] أمام السفارة العراقية بجوار

محلة [illegible] أسماء الطلبة العربية [illegible] تحريرها فلسطيني اسمه ناصيف عواد .

لهذه أمثلة لممارسات الاعتقال التي ينتهجها النظام القائم في الوقت الذي يعاني فيه

الشعب هذه الأيام [illegible] لا مثيل لها . ولعلكم شاهدتم [illegible] مشاهد الجبهة

٨٠٪ [illegible] بعد [illegible] وتلك حقاً أضحوكة لم يسبقها أحد حتى هوليود

[illegible] (الأغاني) [illegible] العراق قد تكلفت وتم [illegible]

[illegible] بلغ نحو ٧٪ [illegible] عدداً ضخماً [illegible] العشرية

سنة [illegible] عام ١٩٥٧ . [illegible]

لا نريد أن نثقل عليك . هذا قليل من كثير مما يعانيه شعبنا في العراق ولولا [illegible]

[illegible] لولا معرفتنا بكم خير كتاباتكم ودفاعكم عن المظلومين لقلنا

[illegible] القادر [illegible]

[illegible]

[illegible] . نفعكم الله [illegible] الصحة [illegible]

ودمتم بخير

مجموعة من الطلبة العراقيين

ولعلك تقدر بأننا لم نضع

عناويننا خوفاً وتكفي أسماؤنا.

عنهم: عبد الوهاب

٢٥ شارع المدينة المنورة . [illegible]

١٩٨٢/٥/٢٨





الكاتب أحمد الشايب فى حوار مع الدكتور العوضى وزير الشئون الخارجية لدولة الكويت.



الرئيس العراقى صدام حسين يصافح الزعيم جورباتشوف قبل الأجتماع
الذى تم بينهما فى الكرملين ـ ١٨ / ٢ /١٩٨٥



ام جندى عراقى قتل فى الحرب مع ايران تقبل صدام حسين عندما حضر إليها
فى منزل الشهيد العراقى لتقديم التعزية إلى أسرته

الفصل السابع

تطورات الأحداث على المسرح العراقى

في الوقت الذى كانت فيه الأحداث تتلاحق على المسرح السياسى الإيرانى، كان صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقى، يقوم بجولات مكثفة فى أنحاء العراق شمالا وجنوبا، وبالرغم من أن الشعب العراقى، كان يعتبر أن هذه الجولات والزيارات هى شئ طبيعى، وقد يكون فى تصورهم أنها بتخطيط من حزب البعث، إلا أن المراقبين والمحللين السياسيين كان يشتابهم الشك إلى درجة كبيرة فى مغزى وهدف هذه الجولات.. فقد كان الاعلام العراقى وأجهزته المرئية وغير المرئية وكذلك الصحافة تسلط الأضواء بشكل ملفت للنظر.. وأصبحت جميع هذه الأجهزة مسخرة لخدمة هذه الجولات وقد ظهر صدام حسين وصورة التى كانت تنشر فى الصحف والتليفزيون فى صور ووجوه كثيرة.. مرتديا زى الصيادين، والفلاحين، والعمال وحتى الزى الوطنى الكردى..

وفى النصف الأول من شهر يوليو ١٩٧٩ عقد مجلس قيادة الثورة

العراقى جلسات مكثفة ليناقش مسألة إستقالة الرئيس أحمد حسن البكر الذى لم يمارس فى الواقع سلطاته طيلة خمس سنوات على الأقل قبل تولى صدام للسلطة من بعده.. فقد كان الأخير هو الرئيس الفعلى والحقيقى للعراق.. تمكن بدهائه ومكره وتخطيطه متعاونا مع مجموعة من أقاربه وعشيرته ونبى البعث التكريتى ميشيل عفلق الذى لعب أيضا دوراً كبيراً لأقصاء عدد من قيادات البعث التى كانت تعارضه أو تنافسة بمساعدة صدام التكريتى. مثل منيف الرزاز.

ولكن هل كان يكفى كل ذلك ليتمكن صدام من الوصول إلى السلطة؟ فى أواخر عام ١٩٧٧، وبعد زيارة الرئيس الراحل أنور السادات لإسرائيل التى كانت بمثابة ضربة قاضية لإسرائيل نفسها، وكانت مفاجأة أدهشت العالم أجمع تمكن بعدها السادات من استعادة الأراضى المصرية التى كانت تحتلها إسرائيل بكرامة وعزة دون أية تنازلات، إلا إذا كان السلام فى نظر البعض هو نوع من التنازل..

وبالرغم من أن هذه الزيارة حققت الكثير من النتائج لصالح شعوب المنطقة كلها إلا أنها كانت فرصة العمر بالنسبة لصدام التكريتى حاول إنتهازها بكل الطرق وبأسلوب الذكى المتفهم لطبيعة الحكام العرب من خلال إستغلال الورقة الفلسطينية.. فحاول من خلال أجهزة إعلامة الموجهة إثارة الشعب العربى فى كل مكان محرضاً إياة على الضغط على حكامة ليتخذوا موقفا من مصر مدعياً الكثير من الإدعاءات الكاذبة التى صدقها الجميع مع الاسف الشديد.

ونحن نزعم أن صدام حسين رجل طموح إلى درجة كبيرة جداً، ولكنه يفتقر إلى كل الإمكانيات اللامادية التى لا تتناسب وطموحاته.. لقد كانت زيارة الرئيس السادات إلى القدس فرصة طيبة بالنسبة للعراقيين.. لان فكرة زعامة الأمة العربية قد بدأت منذ تأسيس حزب البعث بقيادة اليهودى ميشيل عفلق، ووجدت صدى كبيرا لدى العراقيين المرضى بنقص كبير فى شخصيتهم كما يدل التاريخ على ذلك.

والواقع أن القاء نظرة على الشرائح الإجتماعية فى العراق، نجد أن الاكراد الذين ينتمون إلى القومية الكردية يمثلون حوالى ٢٧٪ من تعداد الشعب العراقى وهم على عداء دائم ومستمر مع حزب البعث التكريتى بوجه عام، وصدام حسين على وجه الخصوص.. ثم التركمان الذين يمثلون حوالى ١٠٪ وهم يناصبون العداء للبعثيين وصدام بالدرجة الأولى.. فالاكراد والتركمان يعتبرهم الحزب مواطنون من الدرجة الثالثة، حتى أنه ليس من حق أى كردى أن يقوم بشراء قطعة أرض أو منزل وتسجيله فى الشهر العقارى، ولكن من حقهم فقط السكنى دون التملك.. بالاضافة إلى ذلك فإن جرائم صدام التكريتى مع الأكراد لاتفتقر حتى على المستوى الإنسانى.. فقد تم إعدام الآلاف منهم واكثر من ذلك رهن الإعتقال والسجون السياسية. ثم الأشوريين الذين لا يتمتعون حتى بمجرد حق المواطنه وهم يمثلون ٨٪ من الشعب العراقى وهنا بعد ذلك نسبة ٥٥٪ الباقية وتتكون من الشيعة الذين يؤلفون القسم الأعظم من هذه النسبة، أى ٤٠٪ ثم المسلمون السنة الذين يمثلون ١٥٪. وكلا الفريقين اللذين ينتميان إلى المذهب الشيعى أو السنى يناصبان العداء لحزب البعث الذى لايعترف أساساً

بالاديان السماويةبل وهو على النقيض منها. ثم السنة الذين قد يحتمون أحيانا بصدام حسين الذى يعتبر سنياً فقط بالاسم.

ومن هنا بدأ صدام حسين يبحث عن قوة يمكن أن يستند اليها، وتصبح يده الطولى فى الوصول إلى منصب الرئاسة أو توطيد أقدامة فى السلطة.. وقد كان له أن وجد صالته فى المصريين الذين وصل تعدادهم فى أوائل عام ١٩٧٨ إلى أكثر من مليونين ونصف مليون مواطن فى العراق.. وقد إعتمد صدام فى فكرته هذه على وفاء وتحضر وثقافة العنصر المصرى الذى يمكن أن يصبح غطاء ومظلة الأمان لحكمة.

وقد كانت فكرة ذكية تماماً حاول بها خداع المصريين،. عندما فوجئنا بالشعب العراقى نساءاً ورجالا وأطفالا يقومون بمطاردة المصريين وضربهم وإيذائهم عقب زيارة الرئيس السادات إلى القدس. ونحن نود أن نؤكد هنا أن الشعب العراقى بكل فئاته وطوائفة لا يمكن أن يقوم بأى عمل دون تعليمات أو أوامر من قيادات حزب البعث التكريتى الذى يملك جهازا على نفس نمط الجستابو الذى أسسه «هتلر». وكان هذا الأمر من صدام شخصيا وقد أصيب الكثير من المصريين بإصابات خطيرة فى أغلب الأحيان وأستشهد منهم قرابة ثلاثمائة مواطن مصرى. وهنا فاجأ صدام حسين الشعب العراقى بقرار من مجلس قيادة الثورة.. هو نفسه الذى أصدره بأن كل من يتعرض لمصرى سوف يقبض عليه ويحاكم وللمصرى نفس الحقوق والواجبات التى يمنحها الدستور- دستور الشاكو ماكو- للعراقيين.. ومع دهشة العراقيين من هذا القرار، فقد قوبل من جانب المصريين بالترحيب والحب لصدام حسين. وهنا تمكن الرئيس العراقى من كسب مليونان ونصف

مصرى إلى جانبه وصدَّق المصريون الطيبون هذه الكذبة الكبرى من جانب أهل الكذب والنفاق.. أهل العراق.. قتلة الحسين رضى الله عنه..

وهكذا نجح صدام حسين فى إيجاد سند قوى له يجعله فى أمان ويجنبة بطش العراقيين..

فى أوائل عام ١٩٧٨ بدأ التقارب السورى العراقى، وكانت ضجة إعلامية كبيرة بعد الاتفاق المبدئى بين الحكومتين السورية والعراقية على الوحدة بين البلدين وسمحت بغداد ودمشق بصفة فورية للمواطنين فى كلا الدولتين على الدخول والخروج بالبطاقات الشخصية. وفعلا بدأ العراقيون يتوافدون على سوريا بشكل مكثف جداً، وكذلك السوريون أيضا بدأوا يتوافدون بشكل غير عادى، وبينما العراقيون يذهبون إلى دمشق للسياحة، إلا أن السوريون كانوا يتوافدون الجزء الأعظم منهم للعمل، والقليلون لزيارة أقربائهم الذين يعيشون فى بغداد..

وقد كان الأتفاق- إتفاق الوحدة- بين الدولتين ينص على تولى كل من الرئيسين أحمد حسن البكر وحافظ الأسد تولى رئاسة دولة الوحدة باتناوب.. فقد كان ذلك مصدر القلق الدائم والخطر جداً بالنسبة لطموحات صدام فى الوصول إلى السلطة.. بالإضافة إلى ما كانت التقارير تشير الية من أن أسهمه بدأت فى الانخفاض من جانب المصريين.. فالسوريون بدأوا بزاحمون المصريون فى العمل.. وأصحاب العمل فى كثير من الأحيان يفضلون السورى لعدة أسباب؛ أولا وبالدرجة الأولى عامل نفسى يؤرق الرجال العراقيين فالمصريون باعتبارهم أناس متحضرون ومتفهمون بالاضافة

إلى ما تلعبة البيئة الزراعية فى غرس صفات كثيرة فيهم، كانوا يلاقون كل الإعجاب من جانب الجنس العراقى اللطيف. والمرأة العراقية تفضل الرجل المصرى على العراقى. والسبب الثانى أن المميزات التى منحها الرئيس العراقى للمصريين سواء فى الأجور أو المعاملة قد أحدثت نوعاً من الخلل فى العلاقه بين العراقيون والمصريون، وثالث هذه الأسباب أن أجور العمالة السورية كانت أقل كثيرا من أجور العمالة العراقية. وبالتالى بدأت البطالة تزداد بالنسبة للمصريين مما أحدث نوعاً من السخط والاشمئزاز تجاه صدام التكريتى.

وقد أكد جميع المراقبون فى بغداد ودمشق أن عملية إقالة الرئيس الراحل أحمد حسن البكر، إنما تمثل مرحلة جديدة من مراحل الصراع المحموم بين عناصر حزب البعث الحاكم فى بغداد ودمشق عن طريق المؤامرات والإقالات.

والواقع أن التصفيات الجسدية التى جرت فى العراق عقب مسرحية المؤامرة التى أخترعها صدام حسين ليزيح من طريقه كل من يشك فى ولائه لشخصة. مما مكنه من تشديد قبضته على المكتب العسكرى وقيادات البعث التكريتى. وقد أكدت جميع وكالات الأنباء الواردة من بغداد فى ذلك الحين أن البكر لم يستقل، وإنما أرغم على الاستقالة.. وأنه كان يبدو فى صحة جيدة وهو يلقى بيان الاستقالة فى التليفزيون العراقى. وأكد الجميع أن التعديلات الشاملة التى جرت كانت نتيجة الصراعات الداخليه وهدفها نقل السلطات لصدام لمواجهة المشكلات الداخلية.

وأعلن صدام حسين أنه تولى كل مسئوليات الرئاسة فى العراق منذ عام،

وقد كان توقيت إستقالة البكر مفاجأة لكل المراقبين، فلم يسبقها أى إعلان من تدهور حالته الصحية بالإضافة إلى أن البكر هو الذى أعلن بنفسه نبأ إستقالته من إذاعة وتليفزيون بغداد.

وقد كشفت محطة الإذاعة البريطانية أن صدام حسين تمكن من وضع مؤيديه فى المناصب الرئيسية فى الجيش العراقى لضمان إستقرار النظام فى مواجهة العديد من التحديات الداخلية، وعلى رأسها المعارضة العنيفة من جانب طائفه الشيعة والأكرادو الشيوعيين.

وهكذا رافق إستقالة أحمد حسن البكر، إعفاء الوزراء الموالين له وفى مقدمتهم سعد حمودى وزير الإعلام، كما إستهدفت هذه التعديلات إضعاف بعض مراكز القوى فى بغداد. فقد أبعد سعدوى شاكر من منصبه كرئيس لهيئة المخابرات العامة، وتولى منصب وزير الداخلية فى التعديل الوزارى الجديد. وبدأ النظام الصدامى يواجه عدة أزمات ومن بينها الصراع الدائر بين حزب البعث والحزب الشيوعى العراقى، والتى كانت له أنعكاسات سلبية على العلاقة بين بغداد وموسكو. بالإضافة إلى الخلافات داخل نظام البعث التكريتى حول تقييم الأحداث فى إيران، ثم مواصلة الأكراد فى شمال العراق النضال ضد نظام بغداد التكريتى، الأمر الذى يعنى فشل الحكومة العراقية فى وضع سياسة الحكم الذاتى للأكراد موضع التنفيذ، وكذلك الخلافات الحادة داخل القيادة السياسية فى بغداد حول خطوات الوحدة مع سوريا.

وقد ذكرت بعض وكالات الأنباء أن التغييرات السياسية فى العراق تعد

دليلا جديداً على الشقاق الحادبين حزب البعث والحكم فى بغداد وبين الشيوعيين العراقيين الموالين لموسكو الذين فقدوا المقعدين التقليديين فى الحكومة العراقية الجديدة، وقد كانت هذه هى المرة الأولى منذ سبع سنوات التى لايضم مجلس الوزراء العراقى وزراء شيوعيين. حيث أن الشقاق بين حزب البعث والحزب الشيوعى- فى واقع الأمر- كان قد بدأ فى أوائل ١٩٧٨ عندما إتهم البعثيون الشيوعيين بتكوين خلايا سرية فى الجيش بهدف الاستيلاء على السلطة، وقد تلا ذلك إعدام أكثر من سبعين شيوعيا عراقيا.

وإجتمع صدام حسين فى بغداد بعد تولية السلطة مباشرة مع عبدالحليم خدام الذى كان نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية، سلمة فيها الأخير رسالة من الرئيس الأسد. كما نشرت فى نفس الوقت معظم الصحف السورية نبأ استقالة البكر دون تعليق. وأصبح يوم ١٨ يوليو الذى يوافق تسلم صدام حسين السلطة رسميا، هو يوم عطلة رسمية تعطل فيها الدوائر الرسمية وشبه الرسمية..

وبدأ صدام حسين يواجه مشكلات داخليه صعبة ومعقدة الشيعة متمثلين فى حزب الدعوه الإسلامى، والشيوعيون العراقيون والتركمان، والأكراد، والمعارضين للنظام الصدامى، فى الوقت الذى كان يحاول فيه صدام أن ينتزع زعامة العالم العربى من مصر.. إبتداء من مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى أوائل عام ٧٨ عندما كان نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة وتمكن بالتهديد والوعيد للرؤساء العرب الذى حضروا هذا المؤتمر فى بغداد من الحصول على قرار بتجميد عضوية مصر فى الجامعة العربية ونقل مقرها إلى

تونس كنوع من المناورة السياسية- حيث نقل عدد من منظمات الجامعة فى بغداد، وبدأ الرجل يعد مدينة ضخمة للمؤتمرات كلفت ميزانية العراق أكثر من أربعة مليارات دولار تمهيدا لنقل الجامعة العربية وكل منظماتها إلى هناك حتى يتسنى له نقل زعامة الأمة العربية لبغداد وهذا هدف فى حد ذاته كان يتمنى تحقيقه..

لقد وجد صدام التكريتى نفسه وحيداً يواجه كل هذه المشكلات والصراعات فى الجبهة الداخلية.. وهنا طرأت له فكرة جهنمية سرعان مادرسها دراسة غير واعية وقرر تنفيذها حتى يهدف بطريقة ذكية من مواجهة المشاكل ولإلهاء الشعب العراقى حتى يتناسى عداءه للسلطه..

ففى عام ١٩٧٥. تم التوقيع على معاهدة صلح بين شاه أيران وصدام حسين بعد حرب دامت ستة أشهر تقريبا فى شمال العراق دفع العراق فيها الكثير من الشهداء، تنازل العراقيون حسب نص هذه المعاهدة على أرض عراقية للإيرانيين مقابل سلام بين الدولتين.

وإعتقد الدكتاتور العراقى أنها فرصة ذهبية، لكن الأحداث والتطورات والمشاكل التى كانت تواجه شاه إيران، والتى أدت فى النهاية إلى تولى الخمينى السلطة فى إيران وقيادة الثورة الايرانية، وبحسابات صدام حسين. فإن هؤلاء المعممين- فى تصوره- أناس لايفهمون فى السياسة أو فى النواحى العسكرية، فراقت له فكرة القيام بعمل مسلح لن يستغرق أكثر من ساعات يسلم له الإيرانيون ويستسلمون فيسترد تلك الأرض العراقية التى تنازل عنها للإيرانيين عام ١٩٧٥. وبذلك يصبح بطلا فى نظر العراقيين،

وترتفع أسهمه وشعبيته وهو بالتالى- كما يظن- طريقا سهلا للهروب من المشكلات الداخلية..

وهكذا قرر صدام حسين الإعتداء على الإيرانيين وبدأت الحرب التى دامت أكثر من ثمان سنوات دون مبرر يذكر اللهم إلا إذا كان المبرر هو نشر بعض الأخبار عن عنوان لكذبة عراقية جديده إسمها «قادسية صدام».



الفصل الثامن

الكويت والغزو العراقى

للرئيس العراقى صدام حسين، بين الحين والاخر موعد لقاء مع الصحافة الكويتية يكون مناسبة لحديث صريح تطرح خلاله كل القضايا العراقية والخليجية بشكل خاص والعربية بشكل عام. فى حوار يخرج عن قاعدة المؤتمرات الصحفية، ويدخل فى نطاق حرص الرئيس العراقى على أن يكون الحوار، مباسطة ومكاشفة، يضع فيها الصحافة الكويتية فى أطار الصورة الكاملة للاوضاع الحقيقية فى العراق الشقيق، وتوجهاته، وعلاقاته العربية والدولية، وموقفه من الحرب المستمرة مع ايران منذ اربع سنوات.

وكان اللقاء الاخير بين رؤساء تحرير الصحف الكويتية بالرئيس العراقى مناسبة طرحت خلالها قضايا تتعلق بالوضع العراقى الداخلى، وطبيعة الحكم، ومؤسساته، ومراكز اتخاذ القرار، والوضع الاقتصادى، واجراءات التغلب على الصعوبات الحالية. والاستراتيجية العراقية فى المجابهة مع ايران لوضع نهاية الحرب، وبالتالى تأثير العنصر غير العربى فى مصير دول الخليج، وترسيم الحدود الكويتية العراقية والعلاقات مع مصر وكيفية اعادتها الى طبيعتها، والتعاون العربى فى ضوء معطيات الواقع.

وكان الرئيس صدام حسين كعهده دائما صريحا، لم يغفل سؤالا أو نقطة اثيرت الاواجاب عليها..

وفيما يلى نص الحوار:

الرئيس: زين تأخرنا عليكم تعبناكم هالفترة هذه

لقد تعمدت أن تبقوا اطول فترة ممكنة فى بغداد..

الواقع أننا شاهدنا اللى شاهدناه وهذا شئ رائع.. وقد لمسنا لكم شعبية فعلا لا تكاد توصف وتهنئك على ذلك..

الرئيس الحمد لله على كل حال. وهو لكم كلكم وفى نفس الوقت هى مستمدة من روحكم، من روح الأمة وتاريخها وعظمتها. هذا هو الاساس، كل شعب أى جزء من شعبنا فى الوطن العربى ما لم ينسب الى عمقه التاريخى لا يمكن أن يستنفد الكفاية من الطاقات والمعنويات مما يجعله قادرا على مواجهة الصعوبات ومهام البناء الموكولة للامة والتى تحيط بها، لأن الأعداد والمشاكل اللى تواجه الامة كافة ككل، فاذا انت ما واجهتها بجزء من الأمة تغلب، لكن كونها موجهة ضد عوامل الطاقة الاساسية فى الامة ككل، فاذن انت لازم حتى عندما تواجهها على جزء من الوطن العربى ينبغى أن تستقر فى عمق الامة وتستحضر كل مقومات تكوينها التاريخى وتطلعها للمستقبل حتى تكون فى وضع معنوى ونفسى وفكرى قادر على أن تواجه كما ينبغى. فالعراقيون يستمدون القوة من عمقهم العربى والامة العربية.

دموع الفرح

● سيادة الرئيس لاحظنا فى الاحتفالات أن الدموع ترقرقت فى عينيك، كما لاحظنا أن الشعب هو الرئيس، والرئيس هو الشعب فما هو سر هذا التلاحم بين صدام حسين وابنائة؟

– أن الانسان لا يكون سويا اذا لم يفرح ويحزن، وبالنسبة لى هناك حالتان أفرح فيهما ولكن أحس كم مطلوب منى بالاضافة للالتزام الاخلاقى والمجهود الذى يجب أن يبذل للناس الذين يقدمون كل شئ.

شعبية عز مثيلها

● سيادة الرئيس: فعلا صدام حسين محبوب من الشعب العراقى بس نتكلم بصراحة، أجهزة الاعلام العراقية يكن مضخمة.. لكن اللى شفناه من خلال حفل فعاليات الاطفال وبالاحتكام الى الشارع فى بغداد بالذات ان هذا الكلام أبدا مو مبالغ فيه.. وهذا شئ يشرنا. يعنى رئيس عربى فى بلده عنده الشعبية هذه قلما الدول العربية وأيضا فى وضع حرب وفى وضع حساس.. الله يطول بعمرك؟



الرئيس: الله يعزكم ويبارك فيكم، ويمتعكم بكل عناصر القوة المتوازنة مع الخير، احنا أهم ما متوازنين آبتداء من صدام حسين، حتى ما يفقدوا أى عنصر من عناصر القوة للاغراض الانسانية والقومية. لان القوة ما لم تكن متوازنة تكون شريرة ومدمرة.. والشعور بالقوة ما لم يكن متوازنا مع الاحساس العالى بالمسؤولية أيضا قد ينزلق. أن شاء الله ما نخيب ظن العرب فى أن نكون متوازنين، وما نخيب ظن العراقيين بأن هذه الثقة دائما نسعى لان نزيدها دون أن يحذف منها. وعندما نسعى لان نزيدها يمعنى أنه بالعمل الصبور الدقيق بالخدمة المستمرة للشعب وبعدم الغرور. فى تقديرى هذه العوامل الاساسية التى يتحملها الانسان المتوازن سواء عندما يتصل بشعبية بالوصف اللى وصفتوه، أو عندما يتلمس عناصر القوة فى الميادين العامة ومنها يعنى وجود قناعة ويقين لدى الشعب بصواب المسيرة.

ربط السلام.. بالاستقالة!

● سيادة الرئيس: هذا يقودنا للسؤال اللى بيقول أو بيربط عملية السلام باستقالة صدام حسين.. بهذا الجو ترد عليه سيادة الرئيس؟

أنا ما عندى «ماعندى رد» أنا هذا الكلام اللى يحكوه لو عندهم ذرة من العقل يستحون لما يحكوه، أولا الشعب العراقى ما هو ضيعة حتى الناس تعين له رؤساء، شعبى ترفوه جزء من شعبكم، وهذه الخرافات ولت هاى مال القرن ١٨ و ١٦.

العراق والمستقبل

السيد الرئيس.. بالنسبة للعالم العربى فيه شواهد كثيرة لما تيجى زعامات يجى الزعيم ويأخذ شعبية كبيرة.. السنوات التى مرت على العراق فى السابق، وحتى بالنسبة لبعض الدول العربية وتفرض حبها على الشعب أو حتى سيطرتها على الشعب.. وبعد انتهاء فترة الزعامة هذه، كأن واحدا جاء بأستيكا ومحى شخصية الزعيم من عالم الدولة هذه فهل هناك خطة لدى العراق بعد عمر طويل طبعا سيدى الرئيس.. هل هناك خطة فى العراق أن يكون هناك مؤسسات صدام حسين موجود، سنة البشر كلنا ما راح نكون موجودين.. فهل جهز العراق على أن يكون عراق مؤسسات.. يعنى الان شخصية صدام حسين القوية هى اللى قدارة انها تجمع الشعب حواليها لكن ماذا بعد صدام حسين.. هذا السؤال المطروح سيدى الرئيس؟

– هذا سؤال منطقى وعملى كل واحد مخلص لازم يسأله. اذا ما كان اللى أمامه يكفيه من الاجابة. الحقيقة، من آلتجارب العربية الاساسية التى كان لها دور فى أبعادنا من الزلل على المستوى الاستراتيجى هى تجربتين واحدة تجربة حزب البعث العربى الاشتراكى فى سوريا، والآخرى تجربة عبدالناصر، فكانت تجربة معروف دوره فى التاريخ العربى ومعروف أيضا الحالة التى حصلت بعده، كانت هذه التجربة تفصيليا أمامنا فى ايجابياتها وفى سلبياتها، فى التطوير الجيد وفى الحالة التى

لم ترها التجربة كما ينبغى. طبعا مع اختلاف التجارب فى الوطن العربى علينا أن نقول، الكثير من اللى وصفتوها هى تجارب ضباط وطنيين يقومون بانقلابات ثم يسعون بعد ذلك أن تكون لهم تجربة فى البناء الوطنى والقومى.. الحالة فى العراق تختلف بالكامل.. الحالة فى العراق، صدام حسين لما صارت الثورة وهو نائب أمين سر القطر هو طالب فى الصف ثالث حقوق، ومتربى فى صفوف حزب جماهيرى، يعنى ما عنده من سمات جيدة، الاساس بيها هو دور الحزب. واذا ما تصرف تصرفا خاطئا فهو عليه وليس على الحزب أو على الشعب. فالتعبير الدقيق عن الوطنية هى ليست رغبة فحسب، وانما هى بناء يسبق المسؤولية ثم يتصل بها فيستمر. فاذا ما كانت ممارسة المسؤولية فى أطار سياسى سبقت المسؤولية فى اطار السلطة فعند ذلك تكون قد كونت أرضية ورؤية أدق وأعمق، كمقياس عام لكن ممكن أن تجد بين الانقلابات الوطنية ما تظهر شخصيات عميقة جداً وتنضج وممكن أن تكتشف بين الحركات السياسية الثورية ناس يطلعون مغامرين وكأنهم ليس لهم صلة بالحركة الجماهيرية من اللى تبنتهم وكانوا جزء من صفوفها.. على أية حال هذه خلفية أريد أن أشرح بيها الحالة فى العراق.. باختصار هو توضيح وليس دعاية وأريد أعطى تفسيا لبعض الظواهر، ربما أنتم أحياناً ما تقدرون تعطوها كل التفسير المطلوب لانه ما تحوشون مسؤوليتها من مستوى القمة، يعنى منذ البداية أحنا كنا نقيم وزن كبير لاقناع أنسان اقناع فردى فى العمل الحزبى حتى شلون يكون فى صفوفنا ونعتقد أن الاقناع الفردى لواحد عامل أو ليقال صغير أو لحرفى أو لاستاذ جامعة يشكل عنصر قوة النا.. البناء العسكرى خارج الاطار السياسى الثورى يختلف عن هذه الحالة.. يكون قائما اعتياديا على الاوامر فلما ييجى يستلم مسؤولية السلطة خارج اطار الحركة الثورية، اعتياديا يمكن حتى مع وجود الخيرين يمكن أن تظهر حالات شاذة تضعك أمام مفاجآت كبرى، مثل ما حصل بشخصية اللى تتحدثون عنها هى موجودة.. فى أى دولة فى العالم شنهو الموجود من مؤسسات للحكم.. يعنى أكو التسلسلات التالية، مركز الشخصى الاول ثم وزارة ورئيس وزارة، ووزارة وبرلمان ومؤسسات دولة عموما فى كل الميادين. هنا فى العراق موجودة حالة أقوى من الحالات الموجودة فى بلدان كثيرة من العالم اللى تتسم بأن وضعها يوحى بالاطمئنان لما بعد غياب الشخص الاول، لانه موجود الحزب، هو أكبر مؤسسة الان لقيادة الشعب.. فى تقاليد فى نظام داخلى.. وفى عقيدة. وفيه منهج فكرى مقسم على الزمن أى برنامج عمل لكل مرحلة وهذا المنهج تعبر عنه مؤتمراته العليا، وبعد انتهاء كل مؤتمر يوزع على الحزب ويوزع على الشعب، فأن شخص لما ييجى بعد صدام حسين حتى لا سمح الله لو توفرت لديه نوايا الانحراف فهو غير قادر على أن ينحرف ويخفى انحرافه عن الشعب، مثل ما حصل مثلا فى تجربة أنو السادات سواء بمقياس الحالة على سابقتها أو قياس الحالة على برنامجها.

الجانب الاخر هو على رأس هذا الحزب قيادة صدام حسين اخذ بيها صفة الشخص الاول فى الدولة من صفة الشخص الأول فى الحزب، وليس العكس. فيما كان تجارب الانقلابات حتى عندما يقولون

شخص أول في الحزب يسمونه جماهيري، عمليا هذه صفة هي تابعة لصفة الشخص الأول في الدولة التي جاءت عن طريق الانقلاب. ثم هنالك مؤسسة رسمية قيادية معروفة هي مجلس قيادة الثورة. وهي المعبر عن جوهر الاطار العام المرسوم، مرحليا، من قبل الدولة والحزب، بقرارات ذات قوة قانونية وسياسية وادارية تعالج شؤون البلاد من موقعها. فشوفوا المؤسسات على مستوى الدولة، موقع رئيس الجمهورية، رئيس مجلس قيادة الثورة رئيس الجمهورية يعني صفة رئيس الجمهورية هذي حالة تابعة من كونه رئيس مجلس قيادة الثورة. وصفة رئيس مجلس قيادة الثورة. وصفة رئيس مجلس قيادة الثورة أعتياديا هي حالة تابعة لصفته كونه أمين سر القطر، مجلس قيادة الثورة، ومجلس قيادة الثورة بيه تسلسل. يعني صحيح أنه في حالة غياب رئيس الجمهورية يجتمع مجلس قيادة الثورة ليقرر انتخاب رئيس جمهورية. يعني التسلسل الموضوع الآن هو ليس حالة حكمية ومفروضة بشكل أوتوماتيكي بمجردغياب رئيس مجلس قيادة الثورة ولكن نائب رئيس مجلس قيادة الثورة فورا يقود مجلس قيادة الثورة ويدعو إلى الاجتماع لينتخب رئيس مجلس قيادة الثورة من بين أعضائه، فاذن ماكو حيرة واحد يقول شنو نسوي وشنو ولمن. صيغة هذي مبينة دستوريا ومن ينتخب رئيس مجلس قيادة ثورة يصبح رئيسا للجمهورية على مستوى التسلسل الان وأن كانت الصفة مندمجة بحسب قرار القيادة رئيس مجلس الوزراء رئيس الجمهورية، طرحت هذه عام ٦٩ واتلمست رأي الرفاق حول أمكانية أن نفصل بين رئيس مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية فما كانوا يحبذون يصير فصل لمرحلة من الزمن. ولكن هناك مجلس وزراء ينعقد ليتخذ قرارات في شؤون الدولة وهذه القرارات لها قوة الالزام. وهنالك مؤسسات فرعية على مستوى كل قطاع نوعي، ثم بناء الدولة مثل ما انتو شايفين. وهناك المجلس الوطني الله لهقانون دستوريا محدودة صلاحياته، وينتخب من الشعب بصورة مباشرة وعلى مرحلة واحدة. أليست هذه مؤسسات، ليس هناك أقوى وأقدر منها في ادارة شؤون البلاد والدليل على هذا هو ثبات قدرتها وهي في أصعب حالة من الحالات اللي ممكن أن تواجه شعب اللي هي حالة الحرب، اثبتت أن كل شئ تمام وعلى المستوى الاقتصادي قالوا العراقيين ما قدرنا نهزمهم على المستوى العسكري خلنا نهزمهم على المستوى الاقتصادي وليس سراً أنه هذه كانت من الحالات الصعبة، لكن بسرعة تكتل الشعب أعطيناه الصورة تماما كما هي يعني هذه هي الصورة ولكننا قادرين على تجاوزها. فعلا أحنا ما عندنا شئ نعتقد أنه هو خارج قدرة البشر، طالما هو من مهام الانسان فالشعب تجاوزها ومؤسسات الدولة كلها أشتغلت، الحمد لله الأن وضعنا الاقتصادي متوازي. صحيح مقترضين، ومقترضين من الاشقاء بما فيها دولة الكويت، مقترضين من أشقائنا العرب الأخرين، مشاريعنا كل شئ أسمه مشروع تنمية، طبعا استمراريته صارت بصيغة قروض وبالدفع الاجل للدول وللشركات اللي كانت ملتزمة في هذا الموضوع. وبدأت هذه الحالة منذ سنتين ونصف تقريبا خلصت هذه سنة ٨٤ ما بقى منها وسنة ٩٨٥ هي أخر مراحل الصعوبات



الاقتصادية، ثم ينفتح افق جديد، يعنى حالة جديدة وقدرات جديدة. فكل هذا يعبر عن وجود مؤسسات، ومسميات، وأننا تتصرف بالواقع الفعلى. صحيح صدام حسين هو محل احترام من رفاقه والشعب مثل ما لمستوا وتتحدثون، ولكن ماكو قمة بدون سفوح وبدون قاعدة. القمة اللى بدون سفوح وبدون قاعدة هى أرض مستوية. وأحنا نؤمن بأن القائد مهما يكون وزنه اذا ما يكون دوره هو خلق قادة هذا مو قائد، هذه حالة عبور. يعنى هو حاكم اخذ صفة القائد. لكن منين جايبين. فى الواقع الدرس الأول فى هذا الموضوع تعلمناه من اجدادنا قبل من يقولون بيه فلان الخليفة مات، يجوا يطلعوا لك مرشحين ١، ٢، ٣ واحد بامكانه يكون مثل الخليفة اللى مات. لما يقولون مين قائد الجيش اللى يقاتل فى العراق يشوف يتنافسون على القيادة فى اطار مشروع ٢ قائد هذى ما كانت موجودة بالعراق حتى داخل الجيش، كنا اذا بنريد نختار قائد فيلق، نشوف نحتاج واحد، والمعروض واحد واللى نتمناه حنا أفضل من المعروض. نحتاج قائد فرقة معروض اثنين واللى نتمناه خارج الاثنين. لكن الان نقول نحتاج قائد فيلق يتنافسون اربعة على قيادة الفيلق. بنفس المواصفات اللى نتمناها، نحتاج قائد فرقة يتنافسون عشرة. على مستوى القيادة تشوف الرفاق وبالذات من سنتين وجاى على وجه التحديد الرفاق وبالذات من سنتين وجاى على وجه التحديد تشوف كل واحد قابض عمله ومحزم كقائد فى مكانه بالكامل بكل ما يعنيه القائد مسؤول المنطقة الجنوبية للعراق هو قائد فى المنطقة الجنوبية يقود جماهير الشعب ويقود الجيش الشعبى ويقاتل لما يصير خرق خارج حدود المواضع المدفاعية للجيش مثل ما حصل فى عمليات شرق دجلة، عمليا الايرانيين خرقوا المكان، ما كان موجودة بيه دفاعات. مين اللى قاتلهم وواجههم؟ الشعب والجيش الشعبى فى المرحلة الأولى بقيادة مسؤولى الحزب، كل مكان تلقى قادة محزمين على مستوى الناحية قائد فى الناحية، على مستوى القضاء على مستوى المحافظة.. هذه هى الضمانة الحقيقية.. وجود قيادة مقترنة بوعى شعبى عالى المستوى فى تحديد المسار التاريخى لخواص المسؤولية القيادية.. هذا الحمد لله موجود عندنا يعنى هذه من الاشياء اللى أنا مريحتنى من سنتين وجاى على وجه التحديد مريحتنى واننى أنام تماما.

من يحكم العراق الآن؟

السؤال الان من يحكم الدولة.. فى الانظمة الديمقراطية المتقدمة يحكم البرلمان مثل بريطانيا وفرنسا وأميركا. وفى الدول العربية وأغلبها يحكم الشخص الفرد أو مجلس الوزراء.. الان حسب ما تفضلت فيه من شرح. السؤال الان من يحكم العراق، هل هو الحزب، هل هو المجلس الوطنى، هل هو مجلس الوزراء، هل هو صدام حسين. وخصوصا بالنسبة لموضوع المجلس الوطنى.

يقود الشعب ويرسم الاستراتيجية الشاملة الحزب، ويقود الدولة قيادة الثورة. هذا بالتحديد الدقيق. أما يحكم فجميعهم يحكمون، كل من موقعه وفى مكانه وحسب المسؤوليات المحددة له بموجب الدستور. هذه هى الصورة.

الحرب على جبهتين

سيادة الرئيس، الأخوان تقدموا بمجموعة من الأسئلة ونحن نظمناها .

السؤال الأول:

هل تعتقدون أن الحرب على أعتاب النهاية، وهل تعتقدون أن تصعيد الحرب بعمليات نوعية يمكن أن يعجل بأنتهاء الحرب ومتى سيلجأ العراق الى ظروف قتالية يحسم فيها الحرب ويجبر ايران على وقف أطلاق النار؟

فلنتحدث من الحرب من الطرف الايراني والطرف العراقي.

العراق يريد أيصال المسؤولين في ايران الى مرحلة من العجز بحيث يبدو الحديث عن استخدام السلاح لتنفيذ الاطماع التوسعية حالة مرفوضة داخل إيران بالاضافة إلى المجتمع الدولي.

كيف يمكن أن نصل إلى هذا الهدف الستراتيجي: نصل بالتصرف بميدانين: ميدان السياسة وميدان الحرب.

ميدان الحرب هو بتفشيل الهجمات الايرانية من أن تحصل على نتائج تستطيع أن تؤمل بها الايرانيين بأنه هذه المرة حصلنا على البصرة وفي المرة القادمة سنحصل على بغداد، فيصبح الايرانيون، حتى من كل يتمنى أن يصل الى بغداد عن طريق السلاح، أمام حالة أن بغداد لا يمكن أن يصلها الا زائرا بتصريح رسمي من دولة العراق. أو يريد أن يشتغل مثلما كانوا يجون يشتغلون في العراق والكويت وكل مكان بموافقة الدول العربية التي قسم منها توافق على السماح لهم بالعمل وقسم أخر يقول لهم لا لدينا ما يكفينا من الايدي العاملة.

هذا يتحقق في الجانب العسكري بافشال الهجوم.. مو فقط افشاله وانما جعلهم في كل هجوم يخرجون مغرقين في دمائهم، وجروحهم عميقة الى الحد الذي تصبح فيه مرئية من قبل شعوبهم في أقصى بقاع أيران...

الجانب السياسي هو في نتصرف في منهجنا السياسي العام بما يجعل الدوافع العربية والعراقية مفهومة لدى شعوب أيران التي ليست لديها مصلحة في استمرارية الحرب من أننا لسنا أعداءهم الا عندما يكونون أعداءنا، واعتقد أن هذا المنهج في جانبيه كما هو معلوم لديكم، الأمور تسير بشكل طيب.

في تقديرنا أن مسموعا وأصبح يتوسع حتى داخل أيران، كم سيكون مؤثرا على قرار الحاكم؟ فالحاكم لا يقتل بسيفه وأنما يقاتل بمن يحمل السيوف في القتال، فعندما لا يجد من يحمل السيوف لاجتياز حدود العراق أو لاجتياز حدود الكويت، عند ذلك لا يستطيع أن يجتاز الحدود.

الشيئ الاكيد أنه أحد الاسباب التي هبطت بشعبية خميني لاي مستوى ولاي درجة ليس هذا المهم، وانما هناك هبوط يسجل تدريجيا ومستمر، وهي حالة لم تتوقف عند حد في شعبية خميني

وأركان حكمه والسبب الاساسى فى هذا هو آستمرار الحرب.

ويقينا أن مصدر القرار حتى لو هبطت شعبيته كل ستة أشهر بنسبة ٥ بالمائة فهى خسارة. أذن سيصبح فى يوم ما فى وضع غير قادر على أن يحمل سيفه ليس لاجتياز حدود العراق وأنما حتى لقمع المعارضة فى داخل أيران بسبب أساسى هو استمرار الحرب.. وهذا صادر مرئيا لكم وليس لنا فقط، وأصبح مرئيا للجميع أن الاوضاع فى أيران تسجل حالة قلة شعبية الحاكم، ظواهر كثيرة أمامنا تؤكد لنا بشكل يقينى هذه الحالة.

اللى يخلينا نتيقن أن سياستنا هى السياسة صحيحة ومسموعة ومرئية من قبل قطاع مهم فى أيران هم اللاجئون الايرانيون الذين يلجأون الينا والاسرى والمعارضة. فاعداد الذين لجأوا للعراق فى الستة أشهر الاخيرة ازدادت فى المعارضة الاخيرة عدد الاسرى ازداد عما كان عليه فى السابق، وهذه كلها مؤشرات.. فى نفس الوقت المعارضة الايرانية اصبحت متفهمة لمنهج العرب فى العلاقة التى يريدونها مع جيرانهم عموما.

كل هذا كسب، وهذا الكسب بالنتيجة وليس بالنوايا، يستصرف بصيغة ايقاف الحرب فى زمان ما، وهو العنصر الاساسى والحاسم وكل ما عدا ذلك هى عناصر أضافية سواء فى الجهد اليومى أو غير ذلك.

أذن من المفروض أن نتطلع ونعمل للسلام. ولكن من المفروض ان لا نضع فى سلة التهيؤ العسكرى أية صيغة من صيغ الامل فيها يتعلق بالسلام وكان السلام لا يحصل الا بافشال النظام الايرانى عسكريا لكى تظل الجهود العسكرية معباة وقرية فى هذا الجانب وفى نفس الوقت نعمل فى السياسة ضمن ما أشرت له.

الوضع الشعبى أفضل

فى العراق لا أشرح لكم الوضع، فقد شاهدتموه بانفسكم وشرحتموه لى، أنا أقول أن الوضع الشعبى الان أحسن مما كان عليه عام ١٩٧٩ ومما كان عليه عام ١٩٨٠ قبل الحرب ومما كان عليه عام ١٩٨٠ بعد الحرب، من حيث رسوخ اليقين والتفاؤل فى النظرة للمستقبل، والوضوح الكافى فى أننا على حق فى مقاتلتنا للغزاة وهذا اليقين تجده عند الطفل، عند المرأة، عند الشيخ الكبير وعند المقاتل فى الجبهة، ويعبر عن هذا بفعل ملموس على واقع الارض خلف خطط القتال. أو فى خطوط القتال وانتو بعضكم زار خطوط القتال.

مزاعم الحرب الكيماوية

● **هل هناك صلة بين ما تثيره إيران عن الحرب الكيماوية من حملة دعائية ضد العراق فى العالم وما تسمعه هذه الايام من تهديد مباشر من أسرائيل بضرب بعض من تهديد مباشر من إسرائيل بضرب بعض المنشآت الحيوية والعسكرية فى العراق.. وهل اتخذت أجراءات احترازية لافشال**



صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية





الرئيس حسنى مبارك يستقبل الرئيس صدام حسين بحفاوة بالغة ١٩٨٨
وعيون الصدام غائرتان ووجهه لا يعبر عن التفاؤل والأمل



صدام حسين فى مركز القيادة المتقدم وهو يقود بنفسه عملية رمضان مبارك
وحوله مجموعة من القادة الفريق ماهر عبد الرشيد وقادة الحرس
الجمهورى - ٢٧ / ٤ / ١٩٨٨

المخطط الاسرائيلى؟

موضوع الحرب الكيماوية والكلام عن الضربات الكيماوية الخ.. مما يتحدث عنه الاعلام فى الخارج وطبعا واضح لو تراقب أجهزة الاعلام لرأينا أكثر جهة استمرت فى متابعة هذا الموضوع، هى الجهات الاعلامية التى تسيطر عليها وتؤثر فيها الاوساط الصهيونية سواء فى أميركا أو فى أوروبا. ثم تناغم مع أخبار ومعلومات وتصريحات من ايران. تارة يقولون بأن البواخر التى تأتى الى العراق عن طريق العقبة هى محملة بالغازات الكيماوية واخرى يقولون بان مجمع عكاشات لانتاج الفرسفات ينتج عناصر كيمياوية. كل هذا واضح أن الغرض منه تهيئة الاجراء لتوجيه ضربات الى بعض الحلقات المهمة فى الاقتصاد العراقى.

ولابد انكم أطلعتم على أن التلفزيون الايرانى يتحدث فيه مسؤولون عن الوقاية من الغازات السامة، واذا ما وجه لكم ضربة يقصدون بيه الناس اللى فى الكيان الصهيونى من قبل العراق ضربة كياوية شلون لازم تستخدمون الاقنعة الى اخره.

كل هذا عملية تهيئة للرأى العام داخل الكيان الصهيونى وللرأى العام الصهيونى والعالمى خارج الكيان الصهيونى لتوجيه ضربة للاقتصاد العراقى فى بعض حلقاته.

وأمر طبيعى أن تتخذ أجراءات احترازية لمواجهة هذا الاحتمال وليس سرا عليكم أنه احنا الان فيما يتعلق بكفاءتنا فى الدفاع الجوى والقوى الجوية، أحنا حالنا أكفء بكثير من عام ١٩٨١.

حرب عالمية بسبب الخليج

● **هل تعتقد سيادة الرئيس، بأن المواجهة بين الدول الكبرى بسبب حرب الخليج قد تحدث أذا أقدمت ايران على توسيع عدوانها ليشمل دولا خليجية أخرى غير العراق ولا سيما بعد أن وجه بعض قادة ايران تهديدات الى الكويت وغيرها؟**

نقطة التصرف الوطنى هنا يجب فى كل الاحوال أن نعتمد على انفسنا، لا نضع فى الميزان الذى يحقق الاستقرار فى النفس ويفتح اليقين المشرق على المستقبل الا بما لدينا من أمكانات وطنية، لانه لازم ننطلق من اعتبار أنه ليس هنالك دولة فى العالم مستعدة لان تضحى نيابة عن دولة اخرى الا بقدر ما تتاثر مصالحها الى مستوى يتوازن مع التضحيات المحتملة، أو المحتمل أن تقدمها من أجل تلك الدولة.. فهذه المسألةخاضعة لمختبر القرار للدول الكبرى والعظمى، هل تعتقد فيما لو حاولت ايران احتلال الكويت ، لا سمح الله أو العراق أو البحرين، بأن الامر وصل الى مستوى من الخطورة بحيث يتطلب من بريطانيا أن تدخل حربا ونقدم تضحيات لكى تواجه مثل هذه الحرب..؟ أو يدخل الاتحاد السوفياتى أو المانيا الحرب بهذا المستوى..؟ هذا أمر ليس بايدينا، فاذن لا يجوز أن تدخله فى الحساب.. ونحن فى العراق لا تدخل ذلك فى الحساب ولو كنا ادخلنا مثل هذه المواضيع فى الحساب لهزمنا فى هذه المنازلة الطويلة. لقد اعتمدنا بالاساس على أمكانياتنا الذاتية، وكل ما جاء

خارج أمكانياتنا الذاتية شفناه حالة ممتازة، حالة فوق التوقع، بما فى ذلك موقف الدول الصديقة. أذن نهتم بالجانب الوطنى أولا والجانب العربى كعمق للجانب الوطنى، فانا ما أقدر أجاويك بالايجاب، أنه نعم اعتقد أنه تقدم حرب، ولا أقدر أجاويك واقولك لا تقوم حرب بسبب هذه.. فى كل الاحوال أعطيتك مؤشراً عن الطريقة التى تقرر فيها الدول الكبرى سياستها، وفى نفس الوقت اضيف بأن قيام حرب عالمية هو مسألة ليست لعبة صغيرة بحيث تتصور أنه تجاه أى خلل ما ممكن أن تحصل. لا ممكن تدوس الدول على أشلاء الدول الصغيرة وتقيم اتفاقاتها عندما تواجه أمرا واقعا.. فى كل الاحوال كعرب، علينا أن نضع ضمن مفهوم الصداقة الدولية اسبقيات، آلناس الذين يقفون مع اعدائنا شيئ والناس الذين لا يقفون مع اعدائنا لازم نعتبرهم شيئا آخر.. الناس الذين يساعدوننا من أجل أن نقف على أقدامنا فى مواجهة حالة مهددة لامتنا لازم نحطلهم مكانة، والناس الذين يشجعون الاعتداء علينا لازم نحطلهم مكانة أخرى يعنى غياب التمييز فى الرؤية والتصرف قد يعقد على العرب أمكانية الاستخدام الصحيح لما يترشح مع امكانات على الوسط الدولى وامكانات التصرف الصحيح ضمن الوسط الدولى.

الشيئ الاساسى بالنسبة لاشقائنا فى دول الخليج، نأمل أن يشدون حيلهم بامكانياتهم الوطنية. يصفون وضعهم الداخلى بجرأة. كل واحد يمتد بنظره خارج الحدود لازم يقولوا له أطلع غادر هذا البلد شيل غراضك جيتنا حافى وصرت آدمى وهشه قوم أطلع ولا كلمة.. مثل ما يقول المثل الشعبى العراقى «أطلع لكل خيضر عمام». والذى يعتبر الكويت بلده، نعم له كل حقوق الشخص الكويتى، الذى يعتبر العراق بلده له كل حقوق العراق مين يرحل خارج الحدود نقوله أدخل، يلعن أبو شاربك البعيد، نحن فعلنا هذا بالعراق، ولولا ذلك لكان الطابور الخامس قد بقى فى الداخل.

يعتقد العراق فى الخليج أنه يصلح كشقيق خليج فى أى مستوى من مستويات التعاون ندرس هذا، ويقيننا أن الاساس هو المصلحة القومية عندنا. وأظن هذا الكلام ما صار كلام، صرتوا تعرفوه وصرتوا تفهموه فى آلسياسة المعلنة واللى نتصرف بيها، واللى ما يجرى سيفه ترى ما حد يجر سيفه لتدفع عنه.. لا نخدع نفسنا، ما آبى لكم تخدعون نفسكم لا بالكتابة ولا بالحلم، تطلعوا واحلموا واقعيا، ناموا: عين وعين، أموركم زينة، تنامون بعيونكم الاثنين، لا بالله، والله بينخاف عليكم.. نصير نخاف عليكم يعنى علينا، ما عندى عليكم لو علينا أنا أقصد آحنا كعرب وفى زمن لازم تقول للملعون ملعون، على الاقل اذا ما قلنا للملعون ملعون، الخير لازم نقول له عفيه، قبل من ييجونى بالعشيرة لما يبرز شاب جيد يقول له فلان وصلتك بنتى تعبيرا عن الاعتزاز بهذا الشخص اللى مثلا وقف موقفا جيدا ورفع رأس العشيرة بين الناس، لو وصلتك الفرس الفلانية، شو يصير كل شباب العشيرة يقومون يريدون يصيرون مثل فلان.. بس اذا جاهم القوم ورد تأليهم فرع وقتال وما حد يقول له عفيه، كل البقية يقول لك هذا لوين رايح شو ما حد قال له عفيه، فاذا ما نقدر نقول للملعون



الرئيس صدام والرئيس مبارك ويوسف صبري أبو طالب يشاهدون عرضاً لمناورات عسكرية في القاهرة - ٢٩ / ١ / ١٩٩٠

ملعون لاى سبب من الأسباب على الاقل للزين، ولازم نقول له أنت زين مرتين حتى نبين الملعون من خلال مدحنا للزين، اذا اندهس خشمه الانسان وكرامته ترى كل اللى يملكه ما له قيمة، والشعوب ما تقاس بوزن ماتملك، اذا لم يكن ما تملك يستند الى أرضية راسخة من التاريخ القوى فى المحافظة على الكرامة والسيادة والامن.. بعض الناس يحكون، يقولون العراق مطلوب هالكثر.. مطلوبين ولكن ما ان تنتهى الحرب الا وتسدد كل الطلبات باقتدار عالى وغضى بصعود ما اله مثيل فى خطنا الاقتصادى أحنا، شو نسوى باللى نملكه اذا مو رايح العراق هو يروح وأياه، يعنى أول شئ لازم يرخصه هو المال لانه وقت الضيق الناس ترخص النفس.

حكمة كرامة

وارويلكم قصة جرت مع واحد من اعمامنا من ٥٠ سنة اكثر من ٥٠ سنة حوالى ٦٠ سنة جاءوا يجمعون.. ولو أطول عليكم لكن خلونى احكى.

● خذ راحتك..

صار عندهم موضوع يتطلب جمع مبلغ من كل واحد معروف. هذه العادة عند العشاير، فجاءوا وطفروا عباس طفروا عنه تجاوزوه عن الشخص اللى وراه قالوا لابن آخوه نهره أنت جشع انت تجاوزتنى قال له عمى أنا اعرفك انت ما عندك شئ قال أنا عندى جدر. الجدر اللى يطبخ بيه لعياله عصيده قال له أنا عند الجدر ولك البعيد هذا الجدر خذوه وانا آذا احتجت اطبخ عصيدة لاطفالى أو عيش آخذ الجدر مالك. هذه المرحلة اذا ما وصلنا الى الحد اللى تعطى الجدر حتى نحافظ على كرامتنا وخشمنا يشتم الهواء العذب ونصل الى الحد اللى السيوف والشباب تقطر دماء من صفاح اعداءها لما يحاولون يعتدون علينا، ترى ما تقدر نحافظ على الوطن العربى الغنى بامكانياته وخيراته.

فيا أخوان الاساس هو لحمايتكم داخل الكويت، داخل دولة الامارات، داخل قطر، داخل عمان، داخل السعودية، العراق موجود فى خدمة العرب متى شاءوا والى الحد الذى يرون أن هذا يناسب- احنا حريصين على أن لانخسر نفسنا اطلاقا بما يجعل العربى يشك من الامر لو بنسبة ١ بالمائة لان هذه العملية كانت قاتلة فى علاقات العرب مع بعضهم منذ فترة طويلة واستغلت من قبل الاجانب. العراق عليه أن يبرهن كشقيق خليجى فى ركن ما من الخليج.. عليه أن يبرهن أنه هو شقيق مهما كان وزنه، وزنه على أعداء العرب وليس على أى منهم. سيفه على أعداء العرب وليس على أى منهم، وأن شاء الله أحنا قادرين وواثقين أن تبرهن بهذا الاتجاه ونظفوا الصفوف ولا تأخذكم فى الحق لومة لائم.

أنا سمعت فى أحد البرلمانات العربية ثلاثة كانوا يعارضون مساعدة عربية للدفاع عن أمن ذاك البلد العربى وأمن البلد العربى الذى يريد أن يقدم المساعدة يعارضون هذه المساعدة الى الحد اللى يجعل أنه ينبغى أن يحسب لهم حسابا. تدروا لو أنى أطلعم حفاة ما يشيلون من البلد والله عباتهم،

والله، الا العباه أقول له تخليها وتروح بالدشداشه مثل ما جبت عبر البحر جيتنا بطريق الدشداشة. ترد بطريق الدشداشة وراء كل اللى سويته، ورا كل اللى صار لك والنوب على فليساني اللى اريد اساعد بيها شقيقى اللى يدافع عنى وعنه، واطلع قريناتك وتريد تنطح... لا بالله.

أحذروا العنصر غير العربى

هذه حقيقة، هذه اخوانى أن هذى ترعبنى وانا فى بغداد والله ترعبنى من ادحج انه بالله لو العراق بهالقوة كان دولا شو يسوون. هذا يبجى يخربط الوطن العربى بسرعة ويتقسم الوطن العربى وكل من يأخذ وصلته.

لازم نتبع القوة، واحنا ترى، من زمان حاكيين ويا اشقاءنا على استحياء دون طمع، قايلين لهم يا أخواننا ديروا بالكم من العنصر الاجنبى، صار كثير بيناتكم، لو من أجل التدخل فى الشؤون الداخلية، لا، هذا آحنا لا نريده، لكن بسبب الترابط القومى، لو يصير شئ بالكويت ويظل حاكم العراق واقفين على صفحة والله لا خير فيهم، وشنو هى حياتهم لما تروح الكويت، وتروح- لا سمح الله البحرين- أو يروح العراق شنو هى حياتهم اللى موجودين فى البحرين وفى الكويت؟ كثير بينكم العنصر غير العربى الى الحد اللى لازم تنتبهون، لان هذا الزمن اليوم الحمد لله بلدكم فى العراق استطاع أن يكون سدا لكن ما تدرى بعد ٣٠ سنة أنه ممكن يبجيك واحد ما عنده نفس الشعور القومى فى العراق. شلون يعنى الحالة يمكن تكون. ولو تكررت هذه من ايران أو من أى جهة غير أيران، عندها عناصر داخل. فى أى وقت، يعنى ايران مشكلتها واضحة لانه هى على الحد لو الهند على الحدود البرية للخليج ربما لظهرت مشاكل من الهنود بسمتوى مشاكل الناس فى إيران.

امننا من أمن العرب

أيضا من أجل المحافظة على العلاقات الطيبة مع الجيران يفضل أن لا يكون عندهم عنصر يرتكزون عليه فى التدخل بشؤوننا الداخلية. يعنى هذا جزء من أمننا وأمن الدول المعنية من تشوف تحسب حسابها، اذا طلعوا وياها أنه عندها مثلا فى دبى نسبة اللى عندها أكثر من العرب عندها ليش أحنا ما ناخذها ليش باقية باسم العرب. قلنا ناخذها رسميا لكن لو ما عندها هذا الوجود ماكانت تتورط بعمل من هذا النوع ونظل احنا أمننا جيد وامنهم جيد، وتظل علاقتنا زين احنا واياهم، هذه حالة مرعبة يعنى هذه من الامور اللى انا اذكرها.

من انا وطفل ابن ١٠-١٢ سنة اسمع شبابنا يقول من الواحد يمشى محلل يقولون شيل سلاحك لا تبلى الناس بدمك. أنا اقول فى نفسى ما اقدر قبل ما يخلون الاطفال يحكون ما يخلونا نسأل لان أحنا جهال صغار، اقول هو اللى يشيل سلاح يبلى الناس بدمه والا اللى محلل ما عنده سلاح هو اللى يبلى الناس بدمه.

صار عندى ١٨ سنة سألت واحد من الشباب قلت له: عمى أريد اقول لك.. قال: نعم.. قلت له:

هو اللى يشيل سلاح يبلى الناس بدمه.. لو الانسان المسالم اللى ما شايل شئ قال: يابا فى مجتمع الحكم للسلاح اللى ما يشيل سلاح يبلى الناس بدمه لانه يستهونوه يقتلوه ويبتلون بدمه لكن من يشوفوه شايل سلاح ومحترم ويدحرج يمين وشمال يتجنبوه فهو عليه الا يعتدى عليهم لكن عليه أن لا يكون لقمة سائغة بحيث يبلعوه.

أخوانى.. الحقيقة أى شقيق عربى مسؤول فى الخليج يتهاون يبلى العرب.. يعنى هو راح يكون مشكوك الذمة أمام التاريخ وأمام الامن العربى لان العرب ما راح يقدرون يقعدون يسكتون يشوفون مثلا دولة تبتلع من دولة أجنبية ويظلون يدحجون عليها. اذن لازم يدخلون بمعنى كل الدماء العربية اللى تصير، هى برقبة واحد متهاون فى الامن الداخلى لبلده.

ضرب جزيرة خرج

● لماذا لا تقصفون جزيرة خرج علما بأنكم نفذتم جزءا من تهديدكم بمحاصرة الجزيرة، وهلى تعتقدون على أن أيران قادرة على غلق مضيق هرمز؟.

جزيرة خرج، كما تعلمون، اعلنا باننا أحنا فى هذه المرحلة سنقوم بعمليات حصار ستتزايد مع تزايد امكاناتنا والوسائل اللى نقوم بيها بالحصار الان هى ليست وسائلنا النهائية، وانما ما سيتعزز من أمكاناتنا فى المتوفر فى هذا الامر. ومع ذلك من المتيسر بأيدينا من الامكانيات لهذا الغرض لم نقصر فى ضرب أهداف بحرية ومنها ناقلات بترولية كلكم تسمعون وتقرأون عنها. بعضها يعلن وبعضها لاسباب معينة لا يعلن فى وقته، والأيرانيون يعرفون والعالم صاروا يعرفون أن هناك نشاطا مستمرا لضرب ناقلات النفط التى تترود بالبترول من جزيرة خرج.. وان احد عناصر ادمة الحرب بايدى نظام طهران هو امكانيات تصدير البترول على مستوى يستطيع أن يديم الحرب عندما تتناقص هذه الامكانيات بضرب الناقلات التى تأتى الى جزيرة خرج تؤثر على القرار العسكرى والسياسى لحكام طهران.

أما متى نستهدف الجزيرة فقد صرحنا حول هذا الموضوع باننا فى أى وقت نعتقد أنه من المصلحة الوطنية والقومية برؤية مستقبلية وليست أنية، أن نستهدف الجزيرة بالاضافة الى الناقلات سوف نفعل هذا، واكثر من هذا ما راح اتوسع فى الحديث.

المفاعل النووى

● تصعد الحديث عن المفاعل النووى الايرانى، فماذا عن المفاعل العراقى، فهل عاد الفرنسيون عن مواقفهم السابقة أو سيتحول العراق الى جهة أخرى تقدم العون الفنى، وهل تم قطع أشواط بعيدة لاعادة بناء المفاعل العراقى؟

الفرنسيون مازالوا ملتزمين ببنائه من خلال الاتصالات السياسية التى نجريها معهم، ولكن على ما يبدو هناك جهات تسعى لان تشيع فى بعض الاوساط الفرنسية وخاصة فى الاعلام الفرنسى

والغربى أجراء بأن المفاعل السلمى الفرنسى يمكن أن يتحول الى الاغراض العسكرية وذلك من أجل أن يوحوا أو يضغطوا على الجانب الفرنسى ليعيد المنظر فى مواصفات المفاعل.

وفى كل الاحوال انتم تعرفون والعالم كله يعرف أن المفاعل هو مفاعل سلمى والرقابة الدولية كانت موجودة عليه، تفصيليا.

تخطيط الحدود مع الكويت

● **لقد انهيتم تخطيط الحدود مع الاردن، فلماذا تأجل الانتهاء من تخطيط الحدود مع الكويت؟**

فى الواقع أن الاستعداد النفسى والفعلى لدينا قائم لمناقشة هذا الموضوع مع اشقائنا بعيداً عن أية نظرة متصورة أن العراق أو الكويت يربح أى منهما شبرا من هنا أو شبراً من هناك.. الاساس هو أن نضع مصلحة الامة العربية ومصلحة الوطنية الكويتية، ومصلحة الوطنية العراقية أمامنا.. ونحن ليس لدينا مشكلة. عندما يكون الجو مهيا أن تبحث هذا الموضوع فى اشقائنا فى الكويت فى أى وقت من الاوقات.. ليس هنالك رفض من الكويت أو رفض من العراق فى بحث هذا الموضوع.

● **ما المانع؟.**

بالنسبة الينا ليس هناك مانع، وربما كان اشقاؤنا المسؤولون فى الكويت يتصورون أن ظروف الحرب تجعل العراق فى حرج أن يبحث هذا الموضوع.. ومع ذلك منذ فترة أرسلنا لاشقائنا فى الكويت وقلنا لهم لا تعتقدوا أن ظروف الحرب يمكن أن تحول دون بحث هذا الموضوع. صحيح أننا منشغلون بالحرب ولكن الحرب هى حالة حياة ولا توقف نشاطنا الاخر فى شؤون الحياة عموما، ومنها علاقاتنا مع اشقائنا سواء فى بحث الحدود أو فى غير ذلك.

● **هل يعنى هذا دعوة لبحث الموضوع؟.**

هذه ليست دعوة، هذا جواب على سؤالكم. انتم تسألون وأنا أجيب.. وعندى أنه ليس عن طريق الاعلام يمكن أن نوجه دعوة.. وعندما يكون لدى دعوة أقولها بشكل مباشر لاشقائنا وليس بينى وبينهم هذا الحاجز النفسى أو الفعلى.. العلاقة والحمد لله انتم ترونها والعلاقات بيننا وبين اشقائنا فى الكويت ممتازة على المستوى الرسمى وتبادل لوجهات النظر فى كل شؤون العلاقات وما يهم الامة العربية مستمر.

كل الاوقات مهيأة
لحـــل المشكلـــة

● **الا تعتقدون أنه آن الاوان لحل هذه المشكلة؟.**

أنا أعتقد فى كل وقت أن الوقت مهيا لحل هذه المشكلة الأن أو بعد الان أو قبل الان.

● **هل فيه هناك مفرضون؟**

جوابا على المغرضين، أن الكويت ليست اضعف من الاردن أو اضعف من السعودية أو أقوى من الاردن أو أقوى من السعودية... والعراق ليس الان اضعف مما كان قبل سنتين، ولابعد الان سيكون أقى مما هو عليه الان.. لو اراد بأى من أشقائه، فلماذا يحل المشكلة مع السعودية والاردن ولماذا لا يحلها مع الكويت.. الفرق فقط واحد وأساسى، وانتم تعرفونه وهو أن الحدود بيننا وبين السعودية والاردن مرسمة من زمن طويل وهذا فرق حقيقى ورغم الترسيم كانت هناك أرض اردنية فى العراق.. ونحن لا فرق عندنا سواء كانت الارض فى الاردن أو العراق ولم كان لها قيمة استراتيجية قيمة تتعلق بالعدوان الايرانى أو العدو الاسرائيلى لقلنا لا شقائنا الاردنيين أجورنا هذه الارض عشرين سنة، واعتقد انهم كانوا سيقبلون..

وبيننا وبين السعودية، ليست هناك مشكلة قد السعوديون مقترحا يقول بأن الحدود مرة تدخل فى مكان يعنى داخل السعودية ومرة تدخل فى العراق. وقالوا: هل عندكم مانع نقسمها بخط مستقيم بحيث أن مساحة الأرض التى تدخل عندنا تساوى مساحة الأوض التى تدخل عندكم فقلنا لهم ليس عندنا مانع، تفضلوا.

فالامر يختلف فيما يتعلق بالكويت. ليس بمعنى أن هناك عقبات خارج أمكانية العقل البشرى القومى فأنا أعتقد أنه لا مشكلة، فالانسان عندما ينطلق من سريرة حسنة، ولا بد أنه سيلقى الحل.. لكن الحل يجمع بين مصلحه العراق والكويت، فلا العراق يأخذ مصلحة العراق دون أن يرى مصلحة الكويت، ولا الكويت تأخذ مصلحة الكويت دون أن ترى مصلحة العراق، ثم معا كشقيقين متجاورين وامنهم أصبح واضحاً كنتيجة من نتائج الحرب.. نحن فى وضع ليس هناك العن منه خليجيا.. فاسطولنا البحرى اذ طالع خطوتين ينضرب هذا واقع حقيقى، والاشقاء الكويتيون المسؤولون آصبحوا يرون هذا الواقع تفصيليا، أصبحوا يرون ماذا يعنى الوجود العسكرى فى بوبيان، وفى وربة، بالنسبة للعراق أو بالنسبة للكويت أو بالنسبة لايران، ونحن نراه تفصيليا، من قبل كنا نحكى عنه فى أطار أنه لو حصل هكذا فتأثير هذا الموضوع على العراق أو الكويت يكون هكذا، الان وقع هذا الذى كنا نتحدث عنه، أصبح بامكاننا أن نرى تفصيليا أين مصلحة الكويت والعراق معا وأين مصلحة العراق والكويت بلا تعارض من موقعهما الوطنى أنا لا أريد الدخول فى مناقشات فنية حول القرب أو البعد لكن الاساس هو أننا لا ننطلق من أطامع، وأن نبحث الامور فى هذا الاطار فنحترم المصلحة الوطنية للكويت، ونحترم المصلحة العراقية.

علينا أن نتصور أنه فى الكويت هناك برلمان، وفى العراق ليس هناك برلمان، وفى الكويت ممكن نقول رأيا شعبيا وفى العراق ما فيه رأى شعبى لا فى رأى شعبى فى العراق وفيه رأى شعبى فى الكويت.. فيه مصلحة وطنية فى العراق وفيه مصلحة وطنية فى الكويت، وفيه مصلحة وطنية مشتركة للعراق والكويت معا. هذه هى الحال.

رؤية مشتركة

● سيدى الرئيس نفهم من كلامك أن هناك نقاطا استراتيجية بين العراق والكويت، واذا كانت هذه هى المشكلة اعتقد أن هذه ينظمها نوع من الاتفاقات بين الكويت والعراق اذا حصلت حالة حرب مثلا؟.

ليس هناك مشكلة، وأنا لا أعتقد أن هناك قضية ليس بامكاننا أن نصل فيها إلى حل، وهذا ليس اعتقادي فقط، فهو اعتقاد الاخوان المسؤولين فى الكويت، وانتم ترون انهم يتصرفون من خلال رؤية ليست بعيدة عن رؤيتنا، ورؤيتنا ليست بعيدة عن رؤيتهم، لكن لا أريد أن أدخل معكم فى تفاصيل وكاننا فى معرض دعاية.. ولكن لانكم تسألون لا يجوز أن لا أجيب، وقد وضعتكم فى الاطار العام.

● سيادة الرئيس.. هالحين لو ما كانت الحدود فيها بحر لكانت ماشية بس ما دام فيها بحر وفيها خليجية وغير خليجية، تظل قايمة الى أن تنتهى الحرب. يعنى هذا جوابك؟

يعنى ما إدرى أن جاء بت بهذا الاطار وأكثر منه ما راح اجاوب.. اسمحوا لى.

مطلب شعبى

● سيادة الرئيس: هذا مطلب شعبى أحنا لما جينا تسافر بغداد قالوا لنا نرجوكم تسألوا صدام السؤالهذا؟

نحن نحترم رأى الشعب. ونحترم رأى شعبنا فى العراق ونحترم رأى شعبنا الثانى فى الكويت، وأحنا هذا الرأى على رأسنا. يعنى لو مبرراته الحقيقية. ما نريد نقول أن هذا الرأى ليش يكون لا. موجود فعلا هذا الموضوع، مطروح للبحث ومطلوب له العلاج سواء من العراقيين أو من الكويتيين أو الاصح العراقيين كطرف واحد ما عليك.

منافذ جديدة للنفط

● سيادة الرئيس بفتح المنافذ الجديدة للنفط العراقى المتوقع ٨٥ هل سيادة الرئيس تعتقد ان العراق ماليا فعلا راح يرتاح لدرجة يستعيد فيها رحلة التنمية أو بناء التنمية بالكثافة اللى كان عايشها فى فترة قبل الثمانينات؟.

نعم لان اقتصاد العراق وموارده من المصادر الاخرى الان أفضل مما كانت عليه فى السابق. أنا اعتقد أن المنافذ المقرر فتحها تكفينا للمستوى اللى نتمناه للعراق.

● ويصل الى مستوى الضخ اللى كان عليه فى السبعينات؟

نصل الى مستوى بالاقتصاد اقوى مما كنا عليه. الاقتصاد وليس النفط.

الاواكس

● هل التنسيق قائم بينكم وبين المملكة العربية السعودية. هل يستفيد العراق من طائرات

الاواكس بما توفره من معلومات وخاصة فى الهجوم الاخير اللى صار على منطقة البصرة؟.

استفدنا من الاواكس بالعراق. لم تطلب من اشقائنا بالسعودية أن يزودونا بما يبث لهم الاواكس من معلومات. ويبدو أن الاواكس فى السعودية فى الاساس موضوع ضمن صيغة معينة تتعلق بالسعودية فى الدرجة الاولى. معلوماتنا عن عدونا تكفينا من مواجهته ومنازلته ونعتقد فى الدرجة الاساس على هذه المعلومات العراقية أكثر من أى مصدر أخر رغم أنه اعتقد أنه أى شقيق من أشقائنا العرب عموما وليس السعوديين عندما تتوفر عندهم معلومات تهم أمن العراق اللى هو أمن العرب كلهم اعتقد ما يبخلون من أن يزودونا بها.

لا وساطة غير معلنة

● **هل هناك وساطة غير معلنة الان لانها الحرب العراقية الايرانية؟ ومتى تعود العلاقات الطبيعية بين العراق ومصر على مستوى فى مؤتمر بغداد؟ وهل هناك فكرة لمد خط أنابيب عبر السعودية يصب فى البحر الاحمر لايجاد منفذ للبترول العراقى؟**

صرحنا عن هذا وقلنا أن الاتفاق حصل ويا اشقاءنا السعوديين على مد خط. اما فيما يتعلق بالوساطة غير المعلنة مع مصر فليس عندنا وساطة غير معلنة، وماكوشى من هالقبيل. ليس هناك وساطة غير معلنة.

العلاقات مع مصر

وبالنسبة لعودة العلاقات مع مصر أنتم تعرفون بأن الخلافات والمقاطعة التى حصلت لنظام السادات متصلة بالتصرف الذى قام به وفى مقدمة هذا الموضوع موضوع فلسطين.. موضوع فلسطين من ناحيتين: الناحية الاولى اخراج مصر خارج القدرة العربية، الناحية الثانية تنصيب المسؤول المصرى كبديل عن الممثل الفلسطينى.. تماما لولا نظام الرئيس حسنى مبارك يقول بوضوح أن قضية فلسطين هى من شأن الفلسطينيين.. نحن لا ننصب من مصر بديلا عن المسؤولين الفلسطينيين فى ما يرونه من رؤية، والرؤية العربية للقضية الفلسطينية حتى أن اختلفنا فيها عن اشقائنا العرب ومنهم الفلسطينيون فسوف لن نجعل من أنفسنا بديلا عن الفلسطينيين لحل هذا الموضوع.. هذا الشئ اللى أحنا نقرأه ونسمعه.. فى السياسة يتصرفون على هذا الاساس.. لم نلمس فى سياسة الرئيس حسنى مبارك تصرفا بخلاف الحالة المعلنة فيما يتعلق بهذا الامر.

القضية الباقية هى موضوع خروج مصر من القدرة العربية لمواجهة العدوان الصهيونى فيها يتعلق بينا كعرب.. وفى العراق نحن لا نريد أن نبرر لاى حاكم مصرى حالة عدم القدرة فى مواجهة تصرف اسرائيلى ضد العرب أو ضد المسلمين، لكن لا بد أن نفهم الظروف اللى تمر بها مصر، لا يجوز ندفعها للمقامرة ولا يجوز فى نفس الوقت أن نعطى لاى حاكم سواء كان مصريا أو سوريا أو عراقيا مبررات التراجع عن أى موقف عربى ينبغى أن يقفه لمواجهة عدوان على العرب.

النقطة الاخرى والاساسية هى أن مصر لايجوز ان تبقى خارج القدرة العربية ليس على أساس نظرة ان العراق يواجه العدوان الايرانى، أحنا كأشقاء اقول لكم بوضوح انتو الطريقة اللى ذكرتم فيها العراقيين تتمنى لكل جيش عربى أن يقاتل بطريقة أفضل منها ولكن هذا شئ والواقع العربى شئ آخر، لو كان هناك عربى يريد أن يقاتل الى جانب العراق صار لنا نقاتل أربع سنين. يعنى شنو ينتظر. لازم تصير سبع سنين؟ هذه مو موجهة لمصر أو لغير مصر. هذه حالة عربية أحنا نفهمها. حتى الان الجيش النظامى بصفة نظامية جانا مشاركة رمزية من أحدى الدول العربية فقط وجتنا مشاركة رمزية من دولة عربية أخرى فترة زمنية معينة وبقيت هذه القوة خارج الجبهة رغم انه انتو تعرفون القوة الرمزية تجينا من شقيق عربى لا يمكن نحطها أحنا فى المجابهة لان الجانب الاعتبارى المعنوى هو الاساس المادى المباشر. لاننا نعرف الوضع العربى ما يسمح به. احنا اخوانى نرى فى سياستنا مع مصر اللى تسمعوها وتلمسوها مو القصد انه يبجى الجيش المصرى يقاتل ويا الجيش العراقى.. نحن نتمنى هذا، ولكن كونوا على ثقة. لن ندخل فى حسابنا العملى جندى مصرى واحد يقاتل مع الجيش العراقى.

بالاساس احنا مرتكزين على عواطف العرب ودعاهم وعلى قدرة العراقيين وصمودهم.

ارقام. جاء الجيش الرابع والخامس والسادس، السورى والليبى والمصرى والاردنى وبالنتيجة نطلع صفر اليدين، ما نتوهم جاء الجيش العراقى الاول والرابع والخامس والعاشر والمئة نعد. نعم لكن ما نقدر نعد بالوهم أنه أنه راح يجينا فلا جيش. يجى مين يجى، أحنا نكون مسرورين، مو لحاجة الجبهة فقط الى الرجال الاضافيين، وأنما فى الاساس لحاجة الامة لان تسجل فى تاريخها أنها قاتلت أعداءها كاملة، ترى سياستنا تجاه مصر مو لانه ننتظر ان يأتى الجيش المصرى ليدافع عن العراق، مع احترامنا وتقديرنا للجيش المصرى وامكاناته، لكن هذا الموضوع مرتبط بالقرار المصرى وبامكانيات وظروف مصر، نحن لا نطلب هذا. ولا نرفضه، وإنما الاساس هو أن تتفاعل مصر، مع الاشقاء العرب. فى بوتقة واحدة لنسد الثغرات عن العرب وعن مصر.. ينبغى أن يذهب العرب الى مصر، وينبغى أن تأتى مصر الى العرب.. لا يجوز للعرب أن يقولوا أن الحاكم الفلانى فى مصر قد ارتكب الخطأ الفلانى أو الجرم الفلانى فعليه أن يصلح الأمر من يأتى بعده.. ولا يجوز لمصر أن تقول آن العرب وكأنهم ارتكبوا خطأ فى بغداد.. عليهم أن يصلحوا خطأ بغداد.. لا.. بغداد ليست خطأ.. لكن الخطأ هو أن تستمر مصر بعيدة عن العرب ويستمر العرب بعيدين عن مصر.. هذا هو الوضع.. فأذن بطريق أخرى وبمسؤولية قومية، حتى لو العراق آنشغل لازم المصريين يجون يقولون: يا أشقاءنا فى العراق تعالوا.. شلون نجيب مصر ضمن العرب والعرب ضمن مصر، رغم أنه الحالة هى موجودة بالوجدان بالوجدان وبالتاريخ وبالتطلع ولكن بالتصرف الفعلى أقصد ينبغى أن تكون هذه الحالة موجودة، المشكلة اللى أمامنا الان أن العلم الاسرائيلى يرفرف فى مصر، العرب يقولون لدولة اجنبية مثل

اسبانيا ينبغى أن لا تقيم علاقات مع اسرائيل، فكيف ممكن أن يحلوا مشكلة وجود علاقات دبلوماسية كاملة مع دولة عربية لها علاقات دبلوماسية كاملة مع اسرائيل، فى نفس الوقت لازم تأخذ المواقف الايجابية البينة لنظام مصر.

عندما خرج الفلسطينيون من حصارهم والتسهيلات التى قدمها الاسطول المصرى أمام التهديدات الاسرائيلية فى ضوء اللى خرجوا من لبنان تصريحات المسؤولين فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية تصريحاتهم فيما يتعلق بالعدوان الاسرائيلى على لبنان، هذه التحولات نعم، المقاطعة الاخيرة هذه، كلها ما يجوز للعرب ما يقولوا للناس اللى اتخذوا قرار فى مصر عفيه ويشجعوه.

عودة مصر

اذن الفكرة الاساسية اللى أحنا الان نبحث فيها مع الاشقاء فى مصر، طرحناها عليهم، وحتى الان لم تتلق آجابة. لانه ما نريد نتحرك فيها على بقية تلتحق مصر فى عضويتها وتمارس عضويتها فى الجامعةالعربية مع بقاء العلاقات الدبلوماسية معلقة لهذا الاعتبار العملى والنفسى، ومصر تشارك فى صنع القرار العربى تتفاعل مع اشقائها، واشقاؤها يتفاعلون معها فى جو الجامعة العربية بما فى ذلك مستوى القمة ويعبر فى العلاقات بما يتعلق بميدان الممثليات السياسية بطريقة لا تكسر هذا الجانب النفسى والعملى الى أن يستطيع العقل البشرى والمسيرة القومية أن تحقق أجواء تقدم خلا لهذا المضوع.

● **علشان تقبلها الجماهير العربية؟**

نعم.. يعنى هو عمل استراتيجى يضع الجانب العملى والنفسى فى الحساب عندما يقترح الصيغة..

ومن فضلكم لو تخلونى أنهى المقترحات. انتهى من المقترحات حتى نسمع منكم الامور الأخرى، أنا عندما أجاوب آتوسع «هذا مانبغيه نحن» أن شاء الله خيركم كبير.

قدرة منظمة التحرير

● **يلاحظ بأن القدرة العسكرية لمنظمة التحرير قد تشرذمت بعدما حصل فى لبنان. ما هو البديل لهذا التشرذم، وهل تعتقدون بأن الحوار الاردنى الفلسطينى هو البديل العملى ولماذا؟.**

آخوانى قوة أى منظمة فدائية ليس لها قاعدة محررة تستطيع أن تتصرف بها بقرار منها قوتها الاساسية فى قدرتها على أستقطاب الرأى العام سواء كان على صعيد وطنى أو قومى أو عالمى، المركزة على متانه تنظيمها السرى وفاعلية فى تأدية المهام. منظمة التحرير الفلسطينية، ليست سراً آبتدأت هكذا، ولكن ظروف لبنان حولت جانبا من نشاطها الى حالة شبه مؤسسات. فاذن وجودها فى لبنان كان يعطيها قوة من حيث كونها طرفا فى التحكم بمسير الاحداث فى لبنان، ولكن كان يشكل عبئا عليها كذلك.



صدام حسين ومذيعة المليون دولار مذيعة التليفزيون الأمريكى الشهيرة بربارة والترز والتى حدث لها موقف معه ذكرته الصحف وهو أنه رفض مقابلتها بعد الموافقة الرسمية وطلب منها الذهاب إليه شخصياً .
١٩٨١/٧/١٥

أولا: الجسم البين يصلح هدفا للرامي.

ثانيا: المنظمة عندما تتحول الى مؤسسات قريبة من مؤسسات الدولة في جانب من نشاطها ليس لها أمكانيات الدولة ولا أرضية الدولة فاذن سيكون هذا عبئا عليها. احنا نعتقد أن المنظمة اذا ما استحضرت العوامل الاساسية التى بدأت فيها بعد خروجها من لبنان تكون قد تخلصت من عبء التواجد في لبنان بالطريقة التى كانت عليها وطورت من أساليبها بالشكل الذى تستطيع أن تعيد مكانتها كما ينبغي.

والمنظمات الجماهيرية لا تقتلها الظروف والازمات وانما تقتلها أختلال الرؤية الصحيحة، والتصرف المتواصل باتجاه الهدف. طبعا علينا أن لا نغفل أن النشرذم حالة تؤدى المنظمة ولكن الانشقاق ليس دائما حالة تضعف المنظمات الثورية، وكل حالة من هذه الحالات متى تصبح عامل قوة ومتى تصبح عامل ضعف يعتمد بالدرجة الاساس على ظروف موضوعية منها وفي مقدمتها القيادة، لأنه قد تكون مناسبة للتخلص من القرارات التوفيقية، والذى تأمله هو أن المنظمة تستطيع آن تعيد قدرتها بأطار الظرف الجديد.

الحوار الاردنى-
الفلسطينى عامل قوة

الحوار الاردنى الفلسطينى أحنا نؤيده الى المدى الذى يقتنع به الاردنيون والفلسطينيون فى حل شؤونهم.. لا نتدخل فيه. نتمنى لهم الخير، ونعتقد أنه عنصر قوة للاردن وللفلسطينيين معا اذا ما اثمر عن نتائج عملية ملموسة.

● **يعنى بديل الحالة..؟**

أنا لا أنظر الى الحالة، بديل عن ذلك، وانما أنظر الى العناصر الموضوعية التى تقوم الحالة العربية التى هى محل حديثنا، اللى هم الاردنيون والفلسطينيون، الاساس الذى ينبغى أن ينطلقوا منه عربى. وعندما يتفقوا، يتفقون بصفاء وبوضوح. وأفضل على أن يتفقوا على بينة من أن يتفقوا على غموض. ليس بحالة الحاضر فقط وانما بحالة المستقبل، لأن هذا الموضوع المعقد معقد. الاردن لازم يرى المستقبل وليس الحاضر فقط. فيما لو أصبح الفلسطينيون أكثرية ضمن دولة بأى صيغة من صيغ التوحد. وما لم يكن موضوع المستقبل واضحا قد ينتاب الاردنيون الريبة من أمر ومستقبل مثل هذه الدولة، وفى نفس الوقت الفلسطينيون الان ليسوا دولة، وانما منظمة، والمنظمة فيها عنصر قوة، عندما تتفق مع الدولة وفيها عنصر ضعف، عندما تتفق مع الدولة هذه هى الموازنة فى العلاقة الاردنية الفلسطينية، فالى أى حد يتوفق الاشقاء الاردنيون والفلسطينيون؟ الامر متروك لهم ونحن نتمنى لهم التوفيق.

الموقف السورى
والتأثير السوفياتى

● السؤال يسأل عن وجود همس عن تحول تدريجى فى الموقف السوى فيها يتعلق بانبوب النفط والحرب العراقية- الايرانية ويسأل السائل عن مدى صلة هذا الامر بالدور السوفياتى باعتبار أن السوفيات اصدقاء لسوريا واصدقاء العراق الان؟.

ليس خفيا أن السوفيات يرغبون فى أن لا تكون العلاقة سيئة بين العراق وسوريا كما هو الامر، وفى نفس الوقت على حد معلوماتنا- السوفيات عملوا لاقناع السورين من أجل أن يفتحوا انبوب النفط المار عبر أرضيهم، وحتى الان السوريون رافضون هذا المجهود. وهذا المجهود بذل من فترة طويلة، ولم يحقق نتيجة. نحن نسعى لزيادة أمكانياتنا، نسعى لتقليل الاعداء، نسعى لاكثار المحايدين من صفوف الاعداء، ولكن فى نفس الوقت لانضع فى برنامج التصرف العملى فى المجابهة الا ما هى ضمن قرار، الموجود بايدينا يكفينا للصمود،ويكفينا للاستمرارية، ولقهر المعتدى. وأى عامل أضافى هو عامل زيادة فى القدرة لمواجهة المعتدى.

● هلى هدف التوتر بين سوريا واسرائيل هو منع الاردن من تقديم معونات ملموسة للعراق؟.

الاستنتاجات قد تأخذ، يعنى اذا المقصود به التسهيلات من الاشقاء الاردنيين أم المقصود المساعدة العسكرية الاردنية المباشرة أنا فى موضوع المساعدة العربية تحدثت بشكل عام. الواضح أن أهداف النظام السورى عموما فى مضايقته للاردن هو العمل على تحويل الواقع الاردنى الى ورقة مثلما استطاع ان يحول جانبا من الواقع اللبنانى الى ورقة يلعب بها فى المحيط العربى والدولى، ويؤثر فى السياسة بموجب تخطيطه ونزواته ونحن فى تقديرنا أن الاردنيين كشعب وكحكومة وكملك واعين لهذا الجانب ونعتقد أن الوضع فى الاردن هو غير الوضع فى لبنان.

تركيا دولة صديقة

● كيف تنظرون للتعاون مع تركيا فى مشكلة الاكراد وسد اتاتورك؟ وهل لزيارة رئيس وزراء تركيا لايران علاقة بمشرع السد؟ وقد قيل بأن تركيا احيت مطالبتها بالموصل.. فهل بحث الموضوع معكم؟ وكيف تنظرون الى عضوية تركيا فى حلف الاطلسى كعقبة أمام زيادة التنسيق العربى التركى لحل مشاكل المنطقة فى المستقبل؟ وهل هناك امكانية لتحقيق فكرة تركيا باقمة سوق اسلامية على غرار السوق الاوروبية تضم العراقى ودل الخليج وسوريا والاردن؟ ثم هل هناك تحول موقف تركيا من الحرب؟.

السؤال طويل لكننى ساجيب عنه كله، انا راح أجاوب...

يقاطعه أحد رؤساء التحرير «مجموعة أسئلة فى سؤال واحد».

نعم.. نعم واضح بس راح اجاوب عليه.

أولا تعرفون أن علاقتنا علاقة صداقة اخوية بيننا وبين تركيا ليس بالتمنى فحسب وانما بالتصرف ايضا. تركيا دولة اسلامية تقع محادة للوطن العربى، والواجب هو آن نحرص على صداقتها ونحرص على تنمية العلاقات الاخوية معها بما يفيد تركيا ويفيد العربى. حتى الان لم يظهر من تركيا أى تصرف على حساب المصلحة العربية الاستراتيجية ولم تتصرف بشكل عدائى تجاه العرب من فترة من الزمن. اذن هذا علينا أن نحترمه وان نشجعه، وتركيا من المؤكد تحرص كذلك على علاقاتها العربية وتحرص على تشجيع العناصر الايجابية فى مثل هذه العلاقات العربية ومنها العلاقات بين العراق وتركيا.

تركيا جزء من حلف الاطلس ولكن هنالك دولا أوروبية جزء من حلف الاطلسى ويقيم معها العرب علاقات جيدة، والعرب لا يقيمون قيودا أو شروطا على صداقتهم متعارضة مع أى نظرة تعتقدها الدول اللى يقيمون معها صداقة بأن هذا يأتى على حساب تصوراته لامنها القومى العرب لم يشترطوا على بريطانيا ليقيموا علاقات معها جيدة أن تكون خارج الحلف الاطلسى. فمن باب أولى لا يجوز أن يشترطون على تركيا أن لا تكون عضوا فى الحلف الاطلسى ليقيموا معها علاقات متطورة وقوية. أما أنه هم عندهم وجهة نظر فى هذه العلاقات فهذه مسألة طبيعية فى المحيط الدولى وفى رؤية الدول لمصالحها الوطنية وأمنها القومى، لم نلمس ولم تطرح تركيا أى تصرف نلمس منه بأن هنالك نية للتوسع التركى على حساب العرب سواء على حساب العراق أو على حساب أى قطر عربى من المجاورين لتركيا.

فما يتعلق بنظرة تركيا للحرب فان تركيا تعلن بأنها هى تقف على الحياد فى موضوع الحرب. ودول عربية منها العراق تعتقد بأن تركيا ينبغى أن تلعب دورا نشطا فيها يتعلق بايقاف الحرب، وتركيا على حدود العراق وايران وعندها علاقات واسعة مع كل من العراق وإيران والعرب، فاذن بامكانها أن تلعب دورا نشطا فى هذا الموضوع. هذا فيما اظن ردا على مجمل الاسئلة.

المشكلة من

الجانب السورى

● هناك زيارة رئيس الوزراء التركى لايران «والسدود »؟.

فى موضوع السدود التى تقام فى تركيا انتم تعرفون بأن مصدر المياه لسوريا وللعراق يأتى من تركيا وهناك اعراف دولية وقوانين فيما يتعلق بالحقوق المكتيبة والحقوق المستجدة فى استثمار المياه وهناك بحث مستمر حول هذا الموضوع للوصول الى صيغة بتثبيت الحقوق المكتسبة للعراق ولسوريا ولتركيا ومناقشة أى حالة جدية فيما يتعلق بالمياه والمشاريع سواء التى تقام داخل سوريا أو تقام داخل تركيا بقدر صلته بمصالح الاخرين.

ولكن الذى أضر ضررا بليغا بمصالحنا وبالتالى سيضر بمصالح سوريا هم السوريون. الجانب

السوري هو الذى اضر بمصالح البلدين لانه منذ عام وقبل عام ٧٢ ونحن نسعى لان نصل الى تثبيت اتفاق مستوحى من القوانين الدولية ويحترمها على الاقل الطرفان العربيان وهما سوريا والعراق، أو تجلس جلسة ثلاثية من العراق وسوريا وتركيا لكى نحل المشاكل فيما بيننا. وكان السوريون دائما يتهربون من مثل هذا الاتفاق وزرتهم عام ٧٢ ووافقوا عليه، وقدموا مقترحا وافقنا عليه ثم تخلوا عنه فى تلك الزيارة نفسها، وانتهى أخر بحث رسمى لهذا الموضوع بيننا وبين سوريا منذ ذلك الوقت.

سيادة الرئيس... وبالنسبة لزيارة رئيس وزراء تركيا الى ايران؟

ليست عندى استنتاجات ولا استطيع أن استنتج يعنى كيف ستكون الزيارة وما هى الامور التى تبحثها. وستنقل لنا الانباء الامور التى ستبحث فى هذه الزيارة وما سيتمخض عنها.

دروس الحرب

● **سيادة الرئيس... ما هى ابرز دوروس الحرب العراقية الايرانية بالنسبة لعالمنا العربى وأمتنا الاسلامية؟.**

هذا ليس سؤالا مكتبيا... فالحرب دروسها دورس حياة. أنا جاوبت عن جانب من دروس الحياة من خلال عدد من الاسئلة.

تمنيت أن أكون طيارا

● **سيادة الرئيس.. بمناسبة عيد ميلادكم ماذا كان الرئيس صدام حسين يتمنى فى مطلع شبابه أن يكون؟. ماذا كان يريده أن يحدث ولم يحدث وما اراده أن لا يحدث وحدث؟ وما هى الطموحات فى هذه الأونة على المستويات الشخصية والعراقية والقومية؟**

كنت اتمنى أن أكون طيارا فى الجيش العراقى ولم تتحقق هذه الامنية لانه قيل لى أنه ينقصك وزن ٣ كيلو غرامات، وانا اعتقد أن هذا كان محاولة لانهم ماكانوا يقبلونى ذلك الوقت فكنت أزيد اخير لاننا قدمنا اثنينا أنا وأخى ورفيقى وزير الدفاع فقيل له أن عينك لا تصلح للطيران وقيل لى أن وزنك ينقصه ٣ كغ ودخل هو على سلاح الطيران بعد ٢٠ سنة بعد ما صار عقيدا فى الجيش وتخرج طيارا وصار طيارا يقود طيارة مقاتلة ويقود طائرة سمتية بالاضافة إلى كونه ضابط درع بالاساس، وأنا وزنى الان زين بس ما فى الخواص الاخرى التى تجعلنى لان أكون طيارا.. يكفون الصقور العراقيين فى هذا الميدان.

● **ما كنت تريده أن يحدث ولم يحدث؟**

ما كنا نريده أن يحدث ولم يحدث هو أن يظهر شخص قادر على قيادة العراقيين وحزب البعث وأن صدام حسين يكون مجرد مناضل فى صفوف الحزب ويعيش عيسة اعتيادية خارج اطار الاضواء، وكان هذا الامل يراودنى حتى عام ٧٤ ولم افلح فيه فتخليت عنه منذ عام ٧٤ والان طبعا الامور صار مستقبلى وراحتى ورؤيتى ومصيرى هو سعادة العراقيين أكثر من أى اعتبار أخر.

● والامة العربية..

والامة العربية طبعا.. تقول به سعادة العراقيين فى الاطار اللى تشوفوه تعنى أن العراقيين كقاعدة لخدمة الامة العربية.

فرضوا علينا الحرب

● وأذكر سيادة الرئيس اننى فشلت فى مقابلتك اعلاميا فى..

ما أراده أن لا يحدث وحدث هى الحرب، اردنا مثل المثل الشعبى يقول «هالغطيه ردناها تبعد ما تلشى تحت الشاطئ واصرت الا أن تيجى تحت الشاطئ» وليس ترددا ولكن من باب القاء الضوء على العمل التاريخى لما بدأت الاشتباكات يوم ٤-٩ على المدن وحصلت أشتباكات على الحدود وتطورت وأغلق الايرانيون شط العرب وقصفوا البصرة والمنشأت النفطية وحصل اشتباك جوى بين الطائرات استخدموا سلاح الطيران واشتبكت الطائرات من الطرفين، هذا كله حصل قبل يوم ٢٣ وكان واضحا أن الهدف هو اجتياح العراق وليس العدوان على عدد من المدن الحدودية وأرض العراق، فتهيانا للمجابهة بهذا المستوى وكان اخوانى فى القيادة العامة يحسبون الامور بالدقيقة لتوجيه ضربة للحشود الايرانية العدوانية على الحدود. وكنت ليس من باب التردد ولكن فى محاولة الى أى مدى لان نبعد الشر، يعنى نبعد الاشتباك، فسألت وزير الدفاع: السنا قادرين على أن نتحمل فيما يتعلق بالقوة الجوية ضربة لطائراتنا وهى على المطارات. فقال لى أنه غير قادر وان الخسارة تصيب طائراتنا. وما اكتفيت بهذا ودزيت على قائد القوة الجوية، وجهت له نفس السؤال، فكان سؤالا مرعبا بالنسبة له، لكن بالنسبة لى كشخص مسؤول لازم أسأل عن كل شئ حتى القرار يكون على يقين بيقين، مصنوع على البيئة فى كل نواحى الحياة، فقالوا هذا غير ممكن يعنى هذا مقتلنا اذا سمحنا للحشود الايرانية أن تجتاز الحدود وتندلع على المحاور القريبة ستقطع لنا عددا من الطرق وعددا من المحاور وسيدمر سلاح الطيران فى نسبة كبيرة منه على الارض، فقلنا لهم: توكلوا على الله، واتخذ القرار فى القيادة بأنه نتوكل على اللة، وطالما الامور بهذه الكيفية فما عليها الان أن يكون الانسان قادرا على الدفاع عن شعبه وارضه ومقدساته.. هذا هو الشئ الذى وقع والذى ما أردته وتمنيت أن لايقع.

الطموحات

● ما هى الطموحات فى هذه الاونة على المستويات الشخصية والعراقية والقومية؟

على المستوى العراقى مزيدا من السعادة والقوة والمنعة والسلام.. السلام القائم على أن العراق يبقى عزيزا أمنا وإن ايران تكون عنصرا ايجابيا فيما يتعلق بأمن المنطقة ككل وبدءا أمن الخليج.

على المستوى الشخصى ما عندى شئ.. ما عندى شئ.

على المستوى القومى اتمنى للامة العربية أن تكون متماسكة قوية فى بناء نفسها وفى صد

العدوان حتى ما تبلى الناس بدمها، مثل ما أشرنا فى مثال سابق.

دور الطفل

● هل محبتك للطفل مرتبطة بنشأتك وولادك حيث توفى الوالد رحمه الله.. هل الناحية العاطفية نابعة من ذلك؟

والله هو شئ انسانى عادى. هذا الانسان شلون يكون.. ما قدر أشرحلك أياه، أنما هو جزء من شخصية الانسان يعنى حتما التكون الانسانى هو جزء من الحالة التاريخية للولادة وللعيش وللصعوبات وللمسهلات الى أخره. وهو جزء من زؤية لدور الطفل، وأنما تحدثت عن هذا الموضوع اليومى مطولا بعض الشئ وراح تسمعوه، وتحدثت عن دور المرأة العراقية.

عيد ميلادى ليس رسميا

● السيد الرئيس... بمناسبة عيد ميلادك هناك من يتوقع من الرئيس صدام حسين أن يصدر قرار بالعفو عن جميع اللاجئين السياسيين فى الخارج كما أنه بصدد الاعلان عن قرار أخر بالعفو عن المتخلفين والهاربين من الخدمة العسكرية داخل العراق وخارجه.. فما صحة هذه التوقعات؟

فيما يتعلق بموضوع من يهرب من الخدمة العسكرية فهذا الموضوع تحكمه قوانين واضحة وفى ظروف الحرب، ونحن ليس عندنا مشكلة حتى نختار وقت عيد الميلاد. أولا عيد الميلاد هى حالة ليست رسمية حتى الان، وهى حالة فرضها الشعب علينا وكشف أمرنا- ضحك- الجانب الاخر ممكن.. بعض القرارات تخضع لتوقيتات متصلة بالمناسبة الوطنية والقومية، ولكن بالنسبة لنا عموما المنهج الذى مشينا عليه، وانتم مراقبون لهذا المنهج، هو أنه لما قرار نقتنع به نتخذه ولا ننتظر حتى لو المناسبة بعد أسبوع ولا نؤجله... لازم نقول مناسبته.. يعنى ما عاد يفرحون أكثر أحنا لما أكو كم واحد موجودبالخليج أو كم واحد موجود بايران أو كم واحد موجود باوروبا نقول عفينا عنكم.. عودوا.. العراقيون يفرحون أكثر.. هذه حالة يعنى راح تكون قرارا فنيا قياديا أكثر مما هو حالة شعبية. يعنى يمكن الشعب ينظر الى هذه الحالة غير ارتياح لما يسأل أنه هذا شنون اللاجئ السياسى هو شو يريد؟ يعنى أش كان يسوى بره ومع من قاعد يتعاون على العراق يعنى ومن هو من القادسية اللى هى دفاع عن الوطن والشرف والكرامة والعراق والامة. يعنى تدخلنا فى مناقشة واسعة آحنا والشعب. ومع ذلك انتو تستطيعون أن تبلغوا على لساننا كل واحد ينطبق عليه اسم صفة اللاجئ السياسى ويريده الرجوع للعراق أن ما حد ينفض ذياله من المطار. ويتفضل اهلا وسهلا ويشارك بلده فى الشرف والمسؤولية.

● سيادة الرئيس سؤال مال الحدود ترى بودنا تشدون شوية؟.

يعنى فيما يتعلق بالحدود... أنا جاوبت حول هذا الموضوع بشكل عام.

مياه شط العرب

● طبعا بعدما اختار العراق وضوح الرؤية والجبهة الداخلية والحربية كان قبل الحرب طرح مشروع مد مياه شط العرب».

ومازال.

● احنا الان نستفسر يعني لو هناك امكانية مثلا في أعادة احياء هذا المشروع.

يا خوى هذا الموضوع يتعلق بيكم... أحنا قابلين هذه المياه للعرب يعني الله اكبر واذا تريد تزرعون يجوز تناقش هذا الموضوع بس تريد تشربون ما لقدر تناقش. يعني الاردنيون قالوا نريد نشرب ماء قلنا لهم خذوا.. ومشينا اتفقنا وماشي الحال.

● يعني المشروع بالنسبة لكم مناسب؟.

ليس هنالك شئ بالنسبة لنا غير مناسب. بالنسبة لنا كل شئ مناسب.

اغلاق مضيق هرمز

● التهديدات الايرانية باغلاق مضيق هرمز هل تنظرون اليها باعتبارها تهديدات جادة؟

الايرانيون اذا ارادوا أن يضايقوا الممر... هم لهم مع الممر اتصال مباشر أرضي ومائي. لكن هل يوجد أحد يسد أنفه! هل الايرانيون قادرون على أن يسدوا انوفهم وان يقطعوا الهواء عن انفسهم ويموتوا. التهديدات الايرانية باغلاق مضيق هرمز هي كمن يهدد بقتل نفسه فليقتلوا انفسهم.

العرب لديهم قدرة كي يعيشوا لزمن معين الى أن نفتح الملاحة من جديد لكن الايرانيين ليس لديهم قدرة لان يعيشوا بدون مضيق هرمز.

مصلحة اميركا

● سيادة الرئيس بعد الدراسات التي اعدتها معاهد الدراسات الاستراتيجية تؤكد ان الولايات المتحدة ستكون المستفيد الاول من اقدام ايران على اغلاق مضيق هرمز لانها ستتمكن في هذه الحالة من اقناع الدول الخليجية بقبول تواجد قوات اميركية في اراضيها، وهذا ما عرضه المبعوثان الاميركيان رامسفيلد ومورفي.. المكسيك كدولة منتجة للنفط سوف تستفيد.. شركة النفط الاميركية ستستفيد.. واشنطن ستتمكن من ممارسة ضغط أكبر على الدول الاوروبية واليابان. ما رأيكم في ذلك؟.

هذا الموضوع لا نأخذه من جانب وننسى الجوانب الاخرى. من المؤكد أنه يوجد للاميركيين خطط في الخليج. من المؤكد أن هذه الحرب من حيث الاستمرارية بل من حيث التمهيد الابتدائي لها في جوانب كثير من الدول نحن نعرف أنها كانت متورطة بها، حتى في استمرارية الحرب، ونعرف أن بعض الاشقاء العرب.. بعضهم وقف الى جانب العدو.. بعضهم وقف لفترة طويلة متفرجا وبعضهم وقف الى جانب العراق.

الموقف من الحرب مر فى مراحل انتم تعرفونها وتستطيعون أن تقدروا مؤشراتها. الاميركان يقولون ألان أنهم لا يريدون استمرار الحرب. عليهم أن يثبتوا أن هذا الكلام الى الحد الذى يتطابق مع القول.. ولكن جوابا على السؤال.. انتم تقولون أن الاميركيين يريدون اغلاق الخليج لترتفع اسعار البترول الاميركى ولكن فقط من نتحية مصادر الطاقة توجد اجابة. لو ارتفعت أسعار البترول وانعكست ايجابيا بالعوامل التى أشرت اليها، آميركا لن تسقط من الحساب تأثر حلفائها فى هذا الموضوع فيما يتعلق بأمكانية الصين فى بيع جزء من بترولها، وبامكانية الاتحاد السوفياتى فى بيع جزء من الغاز والبترول، وبريطانيا فى بحر الشمال الخ... فالامور متداخلة وليس باستطاعتنا أن نركن أى آمر الى عامل واحد. ولا أعتقد أن الدول العظمى تتخذ قرارات فى هذا المستوى من الخطورة بالاعتماد على عامل واحد دون أن ترى أمكانية تصرف الاخرين وامكانية أن تعمل العوامل الاخرى فى أتجاه مضاد لهذا الجهد. فأنا لا استطيع أن أقول أن الاميركيين يريدون قفل الخليج أو انهم لا يريدون هذا. ولكن من المؤكد أن الاميركيين يحاولون تحويل مواقف دول الخليج وهذا واحد يحاولون تحويل مواقف دول الخليج وهذا واحد من أسباب اطالة أمد الحرب. لكن هذه لعبة خطرة وأنتم تعرفون كم هى خطرة.

الدقة فى البيانات العراقية

● هل تراعى الدقة فى الارقام بالنسبة للبيانات العراقية العسكرية، وكم بالفعل عدد الشهداء العراقيين أن أمكن؟.

عدد الشهداء العراقيين لن أقوله لان البيانات لاتتضمنه. نحن لم نذكر عدد شهدائنا حتى نكون دقيقين أو لا نكون. أما بالنسبة لارقام قتلى العدو فانا لا استطيع أن اقول لك أنها دقيقة بشكل مطلق ولكنها مقنعة لنا بالكامل ونحن نضعها.

● ولماذا يتأخر اعلانها؟

لاننا نريد أن نتأكد من أن الارقام التى تقال فى الميدان أرقام صحيحة. وتستطيع أن تقارن عندما تسأل الجندى البسيط فى الميدان.. أنت كم عدد القتلى أمامك.. سترى أن بياننا يتظمن ارقاما تقل عن التى يقولها لك الجندى ونحن مسرورون لذلك. يسرنا ان تقال دائما فى الجبهة أن بلاغات القيادة العامة غير دقيقة من حيث الارقام التى نذكرها باعتبارها اقل من ارقام القتلى الحقيقيين أمام جبهة القتال. ولا نسر لو يقال فى الجبهة أن ارقام القيادة العامة اكبر من الحقيقة.

سبب اعفاء شقيقه

● سيادة الرئيس.. ما سبب اعفاء شقيقكم من جهاز الامن فى فترة سابقة؟ الامر الذى اثار موجة من اللغط فى حينه؟.

والله فى العراق نحن لسنا عائلة مالكة، نحن اناس ابناء فلاحين. ثرنا من خلال حزب ثورى.

نستلم المواقع على أساس شرف المسؤولية وعلى أساس الخدمة التى تقدمها للشعب. اليوم صدام حسين رئيس دولة، فى الوقت الذى يقتنع فيه العراقيون أن أمسك مسحاة واشتغل مثل أى فلاح فسوف اشتغل. ولكن محام نشط لا اقدر على ذلك!.

فهذا ليس موضوع فى العراق. مثل أى شخص يكون وكيل وزراء ويغادر موقعه ويكون مدير مخابرات ويغادر موقعه ويكون مدير أمن ويغادر موقعة ويبدو أن هذا الموضوع اثير حوله كلام أكثر مما يستحق وخارج الرؤيا التى جرى الحديث عنها لانه أخ صدام حسين.

لابد أن يتعود العالم العربى أن اخ صدام حسين هو اليوم مدير المخابرات وباكر مواطن عادى، نحن لسنا كالاخرين، النظام هنا: الاشقاء لا يصبحون امراء.. الاشقاء اشقاء يتحملون المسؤولية بقدر ادائها ويغادرونها.

● **هناك من يقول بأن التحذيرات المتكررة من العراق بضرب أهداف منتخبة داخل العمق الايرانى لم تؤت ثمارها؟.**

هذا الموضوع سنعود اليه بعد الانتهاء من السؤال السابق. والله يبدو آحنا يمينيين...

جرى كلام كثير، أن برزان تآمر على صدام هو وعدد من الضباط وكذا. وما أدرى شنهو أو أنه لم يستطع أن يكشف مؤامرة كانت تحاك ضدى. هذه الروايات فى الحقيقة ساذجة بمعرفة حقيقة العراق، حقيقة النظام. برزان ليس متآمرا، برزان وصلنا الى تقدير انه لا يصلح لمسؤولية هذا المكان، خلاص.. وليس متأمرا وليس سارقا وليس.. الخ لكن لا يستطيع أن يكون فى هذه المسؤولية.

● **شكرا سيادة الرئيس..**

ابدأ الصحافة الكويتية لها مكانة خاصة لانها متميزة فى التعبير عن الوجدان العربى ومتميزة فى التعبير عن الوعى العربى وهذا هو السبب الذى جعلكم تأخذون هذه المكانة ليس فقط فى نفس القيادة، وانما حتى فى نفس شعبنا الذى يقدركم..

الم تلمسوا ذلك عند سائق التاكسى أو العامل فى الفندق فلو سألتموه عن رأيه فى الصحافة الكويتية سيقول لك بأنها ممتازة..

ضربنا ناقلة عربية

● **سؤال لتكريم الصحافة الكويتية.. ما هو الخبر الذى يمكن ان تعطينا اياه سواء خبر عسكرى أو اقتصادى أو سياسى تنفرد به الصحافة الكويتية بالاضافة الى ما نوقش فى المؤتمر؟.**

الاهداف التى ضربت فى الخليج واعلن عنها وتحدثت عنها الصحف العالمية وقالت لا نعرف كيف ضربت: أقول لقد ضربتها السوبر ايتندار فى الاونة الاخيرة ومنها باخرة عربية مؤجرة لجهة اجنبية. اجرتها الى ايران وجاءت الى جزيرة خرج.

● **ماجاء احتجاج على هالشى. الدولة العربية ما الها احتجاج، ما احتجت الدولة العربية؟.**

والله الاشقاء العرب المعنيين بالموضوع يفترض أن ينتبهوا ان يضعوا شرطا جديا مع الاجانب انه فى الحالة تأخير ناقلات النفط العربية لهم أن لا تذهب الى جزيرة خرج لتحمل بترول ايرانى.

● **زيارة السيد طارق عزيز للسعودية هل فيها شئ مهم؟.**

المملكة العربية السعودية دولة شقيقة نحترمها ونتبادل وجهات النظر معها. ومثلما نزوركم فى الكويت نزور السعوديين ويزوروننا، نحن نحرص على علاقتنا مع الاشقاء.

● **وزيارة السيد طه ياسين رمضان الى موسكو؟.**

جيد جدا وعلى كل المستويات.

● **سيدى الرئيس لماذا توقفتم عن التدخين؟.**

عن التدخين! لم اتوقف، تريدنى أدخن. أنا اكره ان تحكمنى عادة، يعنى احب التدخين تشوفنى بالايام اللى ادخن بيها ادخن كمدخن قوى، وبعدين ما احب النصفيات يعنى مثلا، واحد يدخن سيجار. أنا أحب ادخن من اليوم اللى أريد ادخن بيه، ادخن مثلا ٤ سيجار أقول ٤ سيجار كثيرة، زين ٤ ايام ما ادخن حتى اجمعهم بيوم واحد، وبعدين ما احب يدخن ولازم يدخن كل يوم. ما عندى هيك عادة، ادخن احب التدخين واقدر ما ادخن، فعندى ايام تشوف بصادف أشهر ما أدخن ويصادف اسابيع ما أدخن ويصادف أن ادخن يوميا.

● **الاحداث يعنى هى اللى بتساهم فى التدخين وعدمه؟.**

بالنسبة لى بحياتى ما ماخذ فاليوم حتى أنا ولا ما خذ فاليوم حتى يهدأ بالى، ولا أدخن لما أكون منزعجا يعنى هذه اللى تعيد الحالة المباشرة ما احبها.

● **والله يسألون يقولون شلون ينام ابو عدى؟.**

ابد تعنى هه لو تريدنى أنام ترى بنص دقيقة انام هذه احلى شئ عندى.

● **ما عندك سوق المناخ ياسيادة الرئيس؟.**

يبدو أن الرئيس لم ينتبه للسائل.

الرئيس يتابع: من اريد انام من النادر أن اقدر أعد للعشرة بعد ما احط رأسى على المخدة فورا انام، الحمد لله. والتدخين ادخن اكثر شئ اكون ادخن بيه مرتاح لما أكون بالهواء الطلق وبين الفلاحين أكثر شئ يعجبنى السيجار أكثر شئ.

الرئيس: يامرحبا، اشوفكم بخير، تحياتنا لكل شعب الكويت وتمنياتنا...

قبل تولى الرئيس العراقى صدام حسين للسلطة بأقل من شهرين أشارت صحيفة «الجارديان» البريطانية إلى التناقضات الواضحة فى السياسة الخارجية للنظام العراقى ووصفت حكامه بأنهم أناس مصابون بانفصام فى الشخصية، وقالت الصحيفه أنه بينما ظهر العراق نفسه على أنه نظام تقدمى، فإن صدام حسين كان يلمح إلى رغبته فى القيام بدور رجل البوليس فى منطقة الخليج لحساب الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أشارت إلى التصريح الذى أعلنه فى حديثه بأنه لن يسمح مطلقا للاتحاد السوفيتى باحتلال الأراضى الشعودية. وكان القصد من تلك الرسالة هو أن تصل إلى الأذان الامريكيه إلى جانب الأذان السعودية وأنها تأتى بعد مغازلات عديده للولايات المتحدة الأمريكية، فيما يتعلق بأسعار البترول والتحمس للقيام بعمليات تجارية مع الشركات الأمريكية.

وقالت الصحيفة أن حكام العراق البعثيين يرغبون فى أن تميز الولايات المتحدة بين تطرفهم البادى للعيان وبين أسلوبهم فى التعامل الذى يتسم بالنفعية وأن ما ذكره صدام بشأن السعودية يعتبر أكثر التلميحات العراقية وضوحاً حتى الأن فى حملة تقوم بها العراق لتظهر أنها نظام مناهض للشيوعية. وقالت أن رغبة الحكام العراقيين فى القيام بدور رجل البوليس فى الخليج بعد ثورة إيران يشير إلى أمكانية أن يكونوا مصابين بانفصام فى الشخصية حيث يتعين عليهم حماية الخط التقدمى المزعوم الذى ينتهجونه بصورة شفهية على الأقل، كما يحتم عليهم حماية وحدتهم المتداعية مع سوريا وتقاربهم الجديد مع الفلسطينيين.

وقال معلق بريطانى أن حكام العراق قد حصلوا مؤخراً على شهادة حسن

سير وسلوك من منظمة التحرير الفلسطينية التى وصفت صدام حسين منذ شهور قليلة بأنه إرهابى لا يختلف عن «مناحم بيجين» رئيس وزراء إسرائيل.

وهكذا يمكننا أن نؤكد بأن صدام التكريتى كان يخطط وهو يعد نفسه لتولى السلطة فى العراق، لإيجاد قوة كبيرة تدعم حكمه وتحميه من بطش العراقيين بجميع إتجاهاتهم، سواء كان هذا السند فى الداخل متمثلا فى الجالية المصرية التى كانت تبلغ فى ذلك الوقت أكثر من مليونين ونصف المليون.. وسند خارجى وهو الولايات المتحدة الأمريكيه من خلال عرضه ليلعب دور العسكرى الأزرق فى منطقة الخليج بدلا من شاه أيران المخلوع.

وبعد تولى السلطة رسميا فى ١٨ يوليو ٧٩، بدأ تنفيذ مخططه على المستوى الداخلى باعتقال كل معارضيه شيوعيين وأكراد وتركمان وحزب الدعوه الإسلامى الموالى لإيران، ونشطت محاكم الثورة التى كان يتولاها أحد إعضاء المكتب العسكرى فى حزب البعث وهو مسلم الجبورى بأشراف من صدام شخصيا حيث بلغ عدد الذين تم الحكم عليهم بالاعدام فى هذه السنة أكثر من سبعة آلاف بالاضافة إلى مجموعة من الفلسطينيين كانت تهمتهم هى التجسس على الجبهه العربية التى تمولها العراق لصالح منظمة فتح.

وفى أوائل عام ١٩٨٠، بدأت بعض من قوات حرس الحدود العراقى فى مناوشات مع الايرانيين على الحدود، إعتبرها المراقبون حوادث فردية، ولكنها فى الحقيقة كانت نوعا من خلق ذريعة للقيام بهجوم مخطط ضد أيران. ثم كانت محاولات الإغتيالات التى كان يقوم بتنفيذها شبان عراقيين

حديثى السن بإيعاز من جهاز المخابرات العراقى فى مارس ١٩٨٠، والتى أتهم فيها العراق حزب الدعوة الموالى لإيران ولم تكن هذه إلا محاولات من جانب الرئيس العراقى، ليظهر إيران أمام العالم من خلال وسائل إعلامه وصحفه وإحتجاجاته التى بدأت تتزايد بشكل ملحوظ وملفت للنظر بأنها الدولة المعتدية.. ولم يكن ذلك إلا تمهيداً للقيام بعمل عسكرى ضد جارته إيران. وتحقق له ذلك فى سبتمبر من نفس العام..

ويبدو وأن الرياح تأتى بما لا تشتهى السفن، فقد أحس صدام بأن حساباته خاطئة تماما وأن الحرب التى كان قد خطط لها لعدة أيام طال أمدها بحيث أحدثت هذه الحسابات الخاطئه خللا بين إمكانياته العسكرية المحدودة إلى حد وما بين إمكانيات الطرف الآخر سواء من الناحية العسكرية أو البشرية.

وفى النصف الأول من عام ١٩٨١، وبالتحديد فى شهر مارس خرجت إذاعات العالم ووكالات الأنباء الدولية بتصريح للرئيس المصرى الراحل أنور السادات بأن العراقيين قد طلبوا منه السلاح من خلال وسطاء، إلا أنه رفض إلا أن يتعامل بطريقه مباشرة، وهو قد وافق على إعطائهم السلاح، لأنهم أعطوه سرباً من الطائرات فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.

والواقع أن هذه القصة ترجع إلى أوائل يناير ١٩٨١، عندما إشتدت الحرب بين العراق وأيران.. تفوقت فيها الأخيرة إلى حد كبير فقد وصل إلى القاهرة بعض من أقارب صدام حسين منهم أخاه وطبان التكريتى وبدأت محاولات لمقابلة الرئيس السادات، من خلال أحد أبناء السيد عصمت السادات، وعرض العراقيون على الوسيط مطالبهم التى تتلخص فى إنشاء



الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الدولة للشئون الخارجية الكويتي مع مؤلف الكتاب.

مكتب فى أحد الدول الإسكندنافيه، يقوم بشراء السلاح من مصر ثم يبيعة للعراقيين نظير عمولة.. فقام الوسيط وهو أحد أبناء أخ الرئيس السادات باتصالات بعمه.. ثم رافقهم فى الطائرة إلى أسوان حيث كان يقضى الرئيس أياماً هناك.. وعندما دخل الوسيط مع العراقيين طلب منه السادات الانصراف، وبعدها أبلغ عائلته بأنه لا يسمح لأى منهم الإقتراب من عملية تجارة السلاح أو ما يخص الشئون العسكرية. أو ماله علاقة من قريب أو بعيد بالقوات المسلحه.

وفى نفس العام وجه الرئيس العراقى صدام حسين إنتقادات حادة لزعماء دول الخليج العربى. وقال فى حديث نشرته صحيفة «الانباء» الكويتية، أنه طلب من الكويت تأجير جزء من جزيرة يوبيان الكويتية لمدة ٩٩سنه لإقامة قاعدة بحرية عراقية لاستخدامها فى أغراض دفاعية عن البلدين فى الوقت الذى تخوض فيه العراق حرباً على إيران، وقال إن المفاوضات فى هذا الشأن بدأت منذ عام ١٩٧٥، وأنه عرض على الكويت إعطاءه أى جزيرة أخرى فى الكويت لإقامه القاعدة البحرية، ولكن الكويت لم تستجب لهذا الطلب حتى الآن.

وأوضح صدام حسين أن العراق ليس له أى منافذ على الخليج العربى باستثناء شريط ضيق يمتد على مسافة ١٣ كيلو مترا، وهو ما يعنى أن السفن العراقيه تحتاج إلى فترة زمنية تتراوح بين ٧ أو ٩ ساعات للوصول إلى المياه العميقة حيث يمكنها القيام بعمليات قتالية، فضلا عن أن إيران تنازع العراق على السيادة على هذه المنطقة وهو ما يعنى وبغض النظر عن تطوير القدرات العسكرية، أن الموقف سيظل خطيرا فى حالة نشوب أى

حرب واسعة النطاق.

وذكر الرئيس العراقى، أن بلاده وفق فى حل مشكلات الحدود مع السعودية والأردن لأنه إختار من جانبه التنازل عن بعض الأراضى، ولكن فى حالة الكويت فإن الوضع يختلف، لأن الأمر يتوقف على موافقة الكويت على طلبه بشأن توسيع نطاق مياهه الإقليمية للسماح بأنشطة السفن الحربية العراقية.

كما إنتقد الرئيس صدام التكريتى بطريق غير مباشر السعودية، وذكر أن العراق يشعر بالأسف لأن مجلس التعاون الخليجى قد شكل دون إشراك العراق فيه فى الوقت الذى تقاتل فيه القوات العراقية إيران حرصاً على أمن العراق والدول العربية الأخرى فى الوقت نفسه.

وفى جانب آخر من حديثة إنتقد صدام دولة الامارات العربية لعدم إرسالها وفداً برلمانيا لمؤتمر البرلمانات العربية الذى عقد فى بغداد فى ذلك الوقتالإدانه هجوم إسرائيل على المفاعل النووى العراقى- وقال إن هذا الموقف غير المبرر من جانب الشيخ زايد يأتى فى الوقت الذى تعهدت فيه العراق بعدم التوقيع على أى اتفاق لتسوية الحرب الإيرانية العراقية إلا إذا وقع الشيخ زايد على الإتفاق بما يكفل إستعادة دولة الإمارات العربية على الجزر العربية الثلاث فى الخليج العربى.

وقال صدام أنه يخشى أن تكون الدول العربية المجاورة للعراق متخوفة من أن يخرج العراق منتصرا على إيران فى الحرب.

وكلما تصاعدت الحرب مع إيران، وكانت هناك فى الجانب الآخر نوعاً من

الانهيار الإقتصادى الغير ملحوظ أحيانا لبعض المراقبين.. ولم يكن أمام صدام التكريتى إلا اللجوء إلى دول الخليج (الإمارات العربية- الكويت- السعودية) طلباً للمساعدة الاقتصادية، ورغم أن هذه الدول فى بداية الحرب كانت تغدق المساعدات على العراق كموقف قومى، إلا أن ذلك كان من وجهة نظر صدام نوعاً من الحق مستندة إلى إدعاءاته اللامنطقيه والتى كانت يصدقها بعض الطيبين الذين يشرفون الرئيس العراقى فى حضور المؤتمرات والجلوس على الموائد العامره بكل مالذ وطاب أو يتشرفون بذلك.

ويدأ صدام حسين يجند كل أجهزته وإذاعاته صحفه لخدمة المعركة من خلال شخصه الذى كان يحظى بحوالى ٨٠٪ من عدد ساعات الإرسال التليفزيون والاذاعى ،أساليب جديدة إستحدثها من أجل تجنيده أو إحتوائه للسياسين العرب والصحفين والكتاب، وهى أسلوب المؤتمرات حتى أنه فى عام واحد بلغ عدد المؤتمرات التى عقدت فى بغداد أكثر من حوالى ٢٨ حؤتمرا هو صاحب الدعوة اليها، لكى يلفت اليه الأنظار، ويقوم بتغطية جرائمة الفظيعه فى حق العرب والشعب العراقى الذى كان يعيش منذ قيام ؤنقلاب البعث فى ١٧ يوليو ١٩٦٨، فى غيبوبة تامة. هى من صنع هذا الحزب..

ولا لهاء الشعب العراقى عن السياسة، أو محاولة التحدث فيها أو معارضة نظام البعث فقد قام صدام التكريتى بافتتاح أكثر من أربعمائة ادى باسم النقابات العمالية والمهنية فى جميع أنحاء العراق حيث تقدم هذه نوادى المشروبات الروحية وخاصة «عرق البلح» وهو المشروب الوطنى فى العراق بالاضافة إلى جميع أصناف الخمور الأجنبية التى كانت تستورد من

جميع أنحاء العالم، ويقوم أعضاء حزب البعث وباساليبهم بايعاز من الحزب من عدة كل العراقيين نساء ورجالا وحتى الشباب الذين لاتتجاوز أعمارهم الثلاثه عشره سنة. ولم يكن الهدف من ذلك هى عملية توفير رفاهية للجماهير. ولكنها الأسلوب الخطير جداً الذى إخترعة حزب البعث بقياده صدام حسين لكى يعيش الشعب كله فى غيبوبة تامة وبذلك يضمن الرجل إستمرارية النظام.

ثم كانت عملية «الجستابو»، فلنا أن نتصور مثلا أن الإبن يتجسس على والدية، والمرأة تتجسس على زوجها والزوج أيضا يتجسس على الجميع.. فالفتاة لايمكن أن يمنعها والدها من الإنحراف أو الوقوع فى بئر الرزيلة، والزوجة إذا أرادت الفسق والفجور، فإن زوجها لا يمكن أن يوقفها عند حدها، والإبن كذلك. فالجميع يخاف من الجميع.. وأقل ما يمكن أن يحدث لوجل أرادت زوجته أو ابنته الخروج عن طاعته ويحاول منعها أو الوقوف فى طريقها هى السجن لمدة سبع سنوات والتهمة أن رب العائلة قد أغلق التليفزيون مثلا والرئيس المهيب الركن يلقى خطاباً أو يقوم بزيارة أو فى حولة إستعراضية تحمية فيها كل الأجهزة وتحت مظلة عدد من الطائرات الحربية.

أما بالنسبة للمصريين فقد كانت أساليب الضغط والأغراءات ثم ربط لقمة العيش بالانتماء لحزب البعث.. أساليب لا إنسانية قذرة جداً، لا نعتقد أن الصهاينة قد توصلوا بعد اليها. وإذا فشل عضو الحزب فى تجنيد المصريين أو غير ذلك، فإن مصير المصرى هو الإعتقال بتهمة التجسس أو التهجم على رئيس دولة الشاكو ماكو.

ويهمنا هذا المجال، بل والأمانة تقتضى أن نؤكد بكل الصراحة أن أغلب الكتاب والصحفيين المصريين الذين لجأوا إلى العراق بعد زيارة السادات إلى القدس وكونوا ما يسمى بجبهة المعارضة المصرية، أو إذاعة صوت مصر العروبة لم يكن ذلك إلا للإسترزاق. فالجميع كانوا أبواقا يحتويها النظام العراقى ويسيرها حسب أهوائة وحساباته السياسية.

وقد كان الطريف فى الأمر أن ما يسمى بجبهة المعارضة المصرية لكامب ديفيد أو لنظام حكم السادات، فقد إستقر بعضهم فى دمشق، وبغداد، والجزائر .. وعندها ساءت العلاقات بين بغداد ودمشق أصبحت إذاعة صوت مصر العروبة فى بغداد تتهجم وتسب المعارضين المصريين فى ليبيا أو دمشق وهكذا دواليلك، أى تبعاً لترمومتر العلاقة بين الدولة التى يعيشون فى كنفها أو ضيافتها ..

ومازلنا نذكر عندما حضرنا أحد المؤتمرات فى مارس ١٩٨٠، وهو المؤتمر الشعبى لحركات المعارضة فى الوطن العربى وكان يحضر المؤتمر الزميل رجاء النقاش وفتحى خليل وأمير إسكندر وغيرهم. وقد ذهلت وأنا أجلس مع طارق عزيز وكان وزيرا للإعلام فى ذلك الوقت ومعه أحد الصحفيين من القاهرة الذى عقد صفقة معه لتحويل مؤسسته الصحفية الخاصة القادرة على إستعاب الدينار بكل أجناسه والوانه وقال طارق عزيز قولته المشهورة :"سنفتح صنبور البترول لعدة ثوانى." ..

ولقد إستمرت الحرب العراقية الإيرانية قرابة الثمانى سنوات كان صدام حسين يصرخ ويستجدى ويناشد دول العالم والمنظمات الدولية ويكلف خزانة الدولة الكثير إلى درجة الإفلاس من اجل إيقاف الحرب. ونود أن نؤكد بكل



الرئيس صدام حسين يستقبل مجموعة من ابناء إحدى المحافظات الذين وفدوا إلى قصر الرئاسة للتبرع بالذهب والمال. ٩/ ١١/ ١٩٨٣

صراحة أنه لولا الإمدادات العسكرية من مصر، لما كان هناك وجود الآن لشئ إسمه صدام التكريتى ..

لقد إخترع صدام حسين وسيلة جهنمية لإبتزاز دول الخليج وفى مقدمتها الكويت .. فقد كان يقوم بتدريب بعض الإيرانيين الذين لجأوا إلى العراق بعملية غسيل لأمخاخهم، فإنه يرسلهم إلى الكويت فى مهمات إرهابية حيث يتسلمون السلاح والمتفجرات من السفارة العراقية فى الكويت مثلا ثم يقومون بارتكاب جرائمهم وهم واثقون من أن صدام سوف يفى بوعدة لهم للإفراج عنهم فى حالة ضبطهم من قبل السلطات الكويتية. ويعترفون أمام البوليس الكويتى بأن الخمينى هو الذى أرسلهم. بعدها يرسل صدام رسوله اليهم ليطلب منهم خمسة مليارات دولار مثلا زاعما لهم أنه يحميهم من النظام الإيرانى ..

إن الفساد السياسى والاجتماعى موجود فى العراق حتى قبل حرب الخليج، ولكنه كان بصورة غير مكشوفة .. إلا أنها اصبحت مكشوفة تماما، بل وتفشت خلال الحرب، حيث خرجت النساء لاصطياد المصريين، وأصبحن يعرضن أنفسهن دون خجل على الشباب فى أماكن اعمالهم .. وأرجو ألا يدهش البعض عندما نقول بأن الفساد فى العراق وصل إلى درجة أن الأم كانت تمارس الجنس مع إبنها، والفتاة مع والدها، والإبن مع أختة، لدرجة أن هناك كثيرا جداً من القضايا الغريبة فى نوعها، عندما تجد أن فتاة تحمل سفاحاً من أخيها أو من والدها أو الأم من إبنها، وحكم حزب البعث هو السجن لمدة ثلاثة أشهر ..

لقد دفع العراق الكثير من الشهداء من أبنائه حتى أن الشباب تحت سن

الأربعين لم يعد لهم وجود .. ودفع الكثير من الشهداء المصريين الذين يصل عددهم اكثر من خمسين الف شهيد مصرى لايعرف أهلة فى مصر عنه شيئا فقد كان جهاز المخابرات العراقية يقوم بجمعهم من بيوتهم وأعمالهم جبراً ورغما عنهم مدعياً أنهم لهم نفس الحقوق وعليهم نفس واجبات المواطن العراقى وتوقفت معظم المنشآت الاقتصادية وتراكمت الديون التى وصلت إلى اكثر من ١٣٠ مليار دولار .. دون أية مبرر اللهم إلا ذلك المجد الشخصى لرجل مريض بالفعل ..

والواقع أنه كلما كانت تظهر بادرة أمل لإيقاف الحرب، كان المراقبون يهلكون ويكبرون، إلا أن إيقاف هذه الحرب - فى رأينا - لم يكن فى صالح العراق على الإطلاق، أقصد لصالح النظام العراقى .. فقد طفت فوق السطح آثار هذه الحرب المدمرة التى لم يخرج منها أى من الطرفين منتصرا .. المعوقين وزوجات فقدن أزواجهن، وأمهات إستشهد أبناءهن. وإقتصاد وصل إلى درجة الصفر ..

وعاش العراق نشوة مصطنعة جديدة من الإنتصاد والفرح الغامر بعد تحرير الفاو فى الأول من رمضان. وكان كذبة كبرى أراد بها صدام حسين أن يعطى جرعة منوم للشعب العراقى المسكين إلا أن كل الدلائل كانت تشير إلى أن تصفية الحسابات هى أمر حتمى سيحدث بعد إيقاف القتال بين العراق وإيران. وخاصة من هؤلاء العسكريين ورجالات المعارضة وذلك الشعب المغلوب على أمره والذى وصل الظلم إلى درجة الإحساس به ..

ومع نشوة هذا الإنتصار المصطنع من قبل الرئيس العراقى، وبعد محاولات عدة لإغتياله حتى من أقرب الناس إليه، أخذ يفكر صدام فى

طريقة ذكية ليجمد هذه المخططات الموجهة ضده .. فالرجل يؤمن إيمانا عميقا بأن السياسة الخارجية هى التى تصنع سياسة داخلية، على عكس مايقوله المنطق فبدأ تفكيره يهديه إلى محاولة يمكن أن تحقق له مافشل فى تحقيقه فى حربه الضارية مع إيران .. فكانت خطته فى غزو الكويت .. وهو يعلم بأن الكويت يسيل لعاب العراقيين، كما أنها يمكن أن تصبح مصدراً كبيرا جداً بعد ضمها إليه ليغطى ديونه ويعوض خسائر الشعب العراقى الإقتصادية .. وهذا لا يتأتى - فى تصوره - إلا إذا مهد لذلك وخطط .. ومن هنا ولدت لدى الرجل فكرة طرأت على باله وهو يمارس شذوذه الجنسى.. إلا وهى "مجلس التعاون العربى" الذى يضم فى عضويته صاحب الجلالة وسليل الخيانة والعمالة الملك الغبى الحسين بن طلال ملك الأردن والعريف على عبد الله صالح، ومصر مع شديد الأسف ولقد كتبت فى مقال لى نشر فى صحيفة الأوبزيرمز البريطانية أن هذا المجلس هو لعبة من إلاعيب الشاكوماكو .. فصدام حسين يناصب سوريا وليبيا العداء .. ومجلس التعاون الخليجى قد قام دون أن يكون العراق عضواً فيه، ثم يهدف وقبل كل شئ إلى أن يكون هذا المجلس ماهو إلا غطاء يحتمى به عندما تقترب ساعة الصفر للقيام بتنفيذ خطته التى رسمها ونفذها بإحكام كما يعتقد هو نفسه.

وقبل سبتمبر الماضى بعدة أشهر بدأت أجهزة صدام التكريتى تقوم بالتلميح ومحاولة خلق المبررات التى توحى بأن هناك مشكلات بين العراق والكويت.. أحياناً كانوا يزعمون أن الكويت تقوم بسرقة البترول العراقى من أحد الحقول المشتركة بينهما فى المنطقة المحرمة، وتارة أخرى يتهمون الكويت بأنها أضرت بالاقتصاد العراقى وبأنها خرجت عما تم الإتفاق عليه داخل

منظمة الأوبك، وأحيانا يحاولون إثارة مشكلة ترسيم الحدود .. ويدأ نشاطا غير عادى يحدث داخل السفارة العراقية فى الكويت وتحركات وتصرفات مريبة من جانب الدبلوماسيين العراقيين.

فقبل عدة أيام من الغزو العراقى دعا الملحق الصحفى العراقى عدداً لابأس به من الصحفيين والكتاب ورجال الإعلام الكويتيين ووجه إليهم جميعا الدعوة لحضور إحتفالات العراق، أى بمناسبة ذكرى ١٧ يوليو،. وهذا أمر تعود عليه رجال الإعلام والشخصيات السياسية والعامة فى الكويت سنويا مشاركة منهم فى هذا الإحتفال. ولكنهم أصيبوا بدهشة كبيرة عندما وجدوا أنفسهم فى أحد الفنادق بعيداً عن الوفود الأخرى التى جاءت من مشارق الأرض ومغاربها، ووجدوا أنفسهم فى حالة تحديد إقامة، غير مسموح لهم بمغادرة الفندق أو حتى غرفهم أو أن يلتقوا ببعضهم. وفجأة جاءهم من يبلغهم بأن وزير الإعلام لطيف نصيف جاسم سوف يلتقى بهم .. وعندما إصطحبهم المرافق للقاء الوزير، وجدوا أنفسهم فى قاعة وأمام شاشات تليفزيونية وصدام حسين يلقى خطابه الذى يتهم فيه كل من الكويت والإمارات العربية بالتسيب فى إنهيار الإقتصاد العراقى وأن الكويت سرقت بترول العراق .. بعدها جاءهم وزير الإعلام وهم فى منتهى الدهشة ليزيد عليهم الذهول، عندما أخذ الرجل يكيل لهم السباب والشتائم وبأساليب تفتقر إلي الذوق .. وهددهم بأن العراق الذى خاض حربا ضارية مع إيران، مازال فى حالة تأهب للقيام بحرب أخرى حتى ولو كان مع الكويت. وطلب منهم إبلاغ حكومتهم بأنه إذا لم تذعن لكل مطالب فتوة الخليج صدام التكريتى فسيكون لنا شأن آخر مع حكام الكويت.

وحاول بعض الكويتيون تهدئة الوزير إلا أنه تمادى فى تصرفاته المتعجرفة وقال لهم أننا أحضرناكم إلى هنا لتنقلوا مانريده نحن .. وهنا صمم الوفد الكويتى على مقابلة الرئيس صدام حسين ليشكو له وزير إعلامة .. وتظاهر الرجل بالموافقة على اللقاء .. إلا أنه وبعد أربعة وعشرون ساعة دون أن يسمحوا لهم بعمل أية اتصالات. ثم طلبوا منهم ركوب السيارات للقاء الرئيس القائد المهيب إلا أنهم وجدوا أنفسهم فى مطار صدام الدولى لتقلهم الطائرة إلى بلادهم.

فى ذلك الوقت كان هناك على الجانب الآخر إجتماع فى جده بين وفد كويتى برئاسة الشيخ سعد العبد الله رئيس مجلس الوزراء الكويتى وعزة ابراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى - حيث قام الأخير فى اللقاء الأول الذى لم يدم اكثر من ربع الساعة يدور ساعى البريد الذى سلم رسالة شفهية بمطالب صدام حسين وغادر قاعة الإجتماعات دون أن يسمع كلمة واحدة من الشيخ سعد العبد الله الذى ذهب إلى غرفة نائب الرئيس العراقى الذى تحدث معة على باب الغرفة دون أن يسمح له حتى بالدخول وبأسلوب الجليطة العراقية قال له :"إننى أريد أن أنام، وأشعر بصداع". بينما يقول له رئيس وزراء الكويت :"ياأخى ماهكذا يكون حل المشكلات بين الأشقياء". بعدها غادر عزة ابراهيم السعودية عائدا إلى العراق.

وفى الحادى عشر من أغسطس بدأت جمهورية مصر العربية عملية أرسال الدفعة الأولى من قواتها إلى الخليج للمشاركة فى تكوين مظلة عربية يمكنها تأمين السعودية والأمارات العربية وغيرها من دول الخليج تنفيذا لقرارات مؤتمر القمة الطارئ الذى عقد فى القاهرة.. ويخرج الرئيس مبارك إلى الشعب المصرى من خلال شاشات التليفزيون ليعلن فى مؤتمره الصحفى عن المضى قدما فى الجهود المصرية لتسهيل عودة المصريين من الكويت، وشرح مبارك التفاصيل الكاملة لوقائع مناقشات القمة وصرح بأنه

ليس هناك أى أمل فى الحل السلمى وأن الصورة قائمة ما لم يتراجع الرئيس العراقى يسحب قوات من الكويت وتعود الشرعية.

وقد أثنى رئيس وزراء الكويت الشيخ سعد العبد الله على الجهود المصرية سواء كانت على المستوى الشعبى المتمثل فى تلك المشاعر الطيبة من جانب المصريين تجاه إخوانهم الكويتيون، وعلى المستوى الرسمى لموقف الحكومة المصرية ورئيسها مبارك وتبنى مصر لمؤتمر القمة وتأييدها لحق الكويت الشرعى.

وقد أعلنت إذاعة مونت كارلو نقلا عن مصدر ديبلوماسى لم تحدد هويتة أن المدفعية السعودية أطلقت قذائفها على طائرتى إستطلاع عراقيتان كانت تحلقان فوق الأراضى السعودية.. وكان الشاذلى القليبى الأمين العام للجامعة العربية يقوم بتنفيذ ما كلف به من قبل القمة العربية ومتابعة قراراتها حول غزو الكويت. وقد وصف ديبلوماسيا سعوديا بأن ما يحدث فى الخليج هو أمر خطير جداً.. فى الوقت الذى تقوم فية حكومة العريف على عبدالله صالح بالإيعاز للمواطنين اليمنيين بمحاولات الإعتداء على السفارة المصرية وترديد شعارات ضد مصر.. إلا أن أحزاب المعارضة فى تونس تقدمت بطلبات إلى حكومة تونس لتنظيم مسيرة تضامن مع العراق كنوع من الاحتجاج على ماسمى بالتدخل الأجنبى فى المنطقة.

وعلى الخط الساخن بين القاهرة وواشنطن كان الزعيمان المصرى والأمريكى يتبادلان وجهات النظر والرأى، وبعد أن هنأ بوش الرئيس مبارك على ماتوصلت إلية القمة من قرارات وخاصة فيما يتعلق بارسال قوات عربية إلى دول الخليج. واكد الرئيس الأميركى بأنه مازال يأمل أن يستجيب الرئيس العراقى صدام حسين إلى صوت العقل، ويحاول تغيير موقفه.. وأعلنت اليابان عن استعدادها لإرسال قوات للمشاركة فى القوة المتعددة الجنسيات فى الخليج إذا ما طلبت منها الدول العربية، كما دعت إيران إلى

محاولة إيجاد حل سلمى للمشكلة فى إطار إقليمى لاجبار العراق على الإنسحاب من الكويت.

وكانت البنوك فى مصر قد توقفت عن صرف الحوالات للمصريين العاملين بالعراق والكويت إلا أن المساعى المصرية قد نجحت فى رفع الحظر على الأموال الكويتية والعراقية التى تمثل ما يقرب من ٥٣٪ من مساهمات رأسمال البنك العربى الأفريقى.. أما البنوك البريطانية فقد توقفت عن شراء بعض العملات العربية بما فيها الدينار الكويتى والعراقى والريال السعودى وعملات البحرين وقطر والامارات العربية. وساد الاضطراب أسواق البترول والنقد والبورصات العالمية بعد دعوة صدام حسين وتحريضة الشعب العربى على القيام بانتفاضة عربية ضد التدخل الأجنبى فى المنطقة، وتراجع التسوية السلمية وقد سجلت أسعار البتورل إرتفاعاً جديداً، وقفز سعر الذهب إلى أعلى معدلاته.

وفى اليوم الثانى عشر من أغسطس أعلن الرئيس المصرى حسنى مبارك بأنه لم يقل بأن الحرب هى الحل الوحيد لأزمة الخليج. ولكن يجب بذل الجهود لمحاولة تسوية الأزمه سلمياً وصرح متحدث عسكرى مصرى بأن إرسال مصر لقوات إلى الخليج جاء تنفيذاً لقرارات القمة التى تنص فى بندها السادس على الاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى بنقل قوات عربية لمساندة هذه الدول فى الدفاع عن سلامة أراضيها ضد أى عدوان خارجى.

وقد التقى المبعوث الأمريكى جون كلين وسمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت وسلمة رسالة من الرئيس بوش لم يفصح عن مضمونها ، وأعلن مسئول وزارة الصحة الكويتية أنه أصبح من الصعب وصول خدمات الكهرباء والمياه إلى الشعب الكويتى، وأن الحالة غير مطمئنة وأن كثيرا من الجثث ظلت ملقاه على الأرصفة فى الشوارع لعدة أيام.

كما طالب الرئيس العراقى صدام حسين إلغاء كافة القرارات الصادرة من مجلس الأمن بالحظر الإقتصادى على أن يتم إتفاقا ثنائيا مع السعودية على وجود قوات عربية تساهم فيها كل الدول العربية الراغبة فى ذلك عدا مصر. وناشد صدام المرأة العراقية بضرورة تنظيم الحياة الإقتصادية للأسرة لمواجهة الحصار الإقتصادى. ولأول مرة منذ الغزو يعلن متحدثا رسميا عراقيا بأنه يمكن للأسر العربية والأجنبية أن تغادر العراق إذا أرادت ذلك.

أما الملك الحسين بن طلال فقد رفض بصورة قطعية وبتعليمات من سيدة فى بغداد إرسال أية قوات أردنية إلى السعودية إلا إذا إنسحبت القوات الأجنبية من المنطقة. ويخرج علينا أحد الزعماء الفلسطينيين ليعلن بأن وقوف منظمة التحرير الفلسطينية إلى جانب العراق ليس حباً فى صدام حسين، ولكنه محاولة للفت أنظار الولايات المتحدة الأمريكية إلى حقوق الشعب الفلسطينى بنفس الدرجة التى تسعى فيها إلى إستعادة حق الشعب الكويتى.

وفى تصريح للرئيس الأمريكى جورج بوش، أكد على أن الهدف الأساسى للولايات المتحدة الأمريكية هو إخراج العراق من الكويت وإعادة الحكام الشرعيين إلى البلاد، وأن الخطة الأمريكية لتحقيق هذا الهدف تقوم على فرض عقوبات إقتصادية فعالة ضد العراق كما صرح وزير الخارجية الأمريكى بأن حكومة الكويت الشرعية بزعامة الأمير جابر الأحمد الصباح قد طلبت من الولايات المتحدة مساعدتها لأخراج العراق وأن أمريكا بصدد تلبية الطلب الكويتى لتنفيذ قرارات مجلس الأمن.

وتوقع بعض المراقبون أن أزمة الخليج قد يطول أمدها وتصل تكاليفها إلى حد باهظ، بينما الخارجية الفرنسية تعلن على لسان وزيرها أن صدام حسين رجل يلعب على عدة أوتار فى آن واحد. المشاعر الدينية للمسلمين والورقة الفلسطينينه، ثم عدم المساواة الإقتصادية فى المنطقة.. وبدأت

إسرائيل تحذر العراق وصدام حسين من مغبة القيام بأى عمل عدوانى ضدها واتهم الرئيس التركى صدام بأنه يريد تقسيم العالم الإسلامى وأن المواجهة العسكرية ستحدث إذا حدث أدنى خطأ من جانب العراقيين. أما الرئيس الايرانى فقد القى خطاباً إلى قواته المسلحة يطالب رجال الجيش بالإستعداد الدائم من أحل الحفاظ على مصالح أيران..

وبدأت شركات البترول إستغلال الموقف الراهن فى الخليج لتقدم برفع أسعار الوقود بنسبة كبيرة.. وأنهار الدنيار العراقى وتراجع أمام جميع العملات العربية بما فيها الجنية المصرى.. كما أصدرت حركة المقاومة الكويتية بيان ذكرت فيه أنها تشن هجمات سريعة وقوية على جنود الاحتلال العراقى ودعت جميع الكويتيين فى الخارج إلى العودة للدفاع عن بلادهم. ولجأ الكثير من الضباط والجنود العراقيون الذين شاركوا فى الغزو إلى بعض العائلات الكويتية بعد أن تكشفت لهم الحقائق ومدى كذب إدعاء نظام صدام الدموى- ثم لقاء ولى العهد الكويتى مع الرئيس حافظ الأسد وتسليمة رسالة أمير الكويت.

وإجتمع وزير الدفاع المصرى بعدد كبير من قادة وضباط القوات المسلحة المصرية، شرح لهم تطورات الموقف فى الوقت الذى كان يطالب فيه الدكتور عصمت عبدالمجيد وزير خارجية مصر بتنحية طارق عزيز وزير خارجية صدام من رئاسة اللجنة المكلفة بالاشراف على عودة الجامعة العربية إلى مقرها الطبيعى فى القاهرة. وفشل العراق إلى حد كبير فى محاولاته المتعددة لكسر الحصار الإقتصادى المفروض على صادراته من البترول. فقد عجزت إحدى ناقلاته عن دخول أحد الموانى السعودية، مما إعتبره المراقبون أنه إحتيار قوة لفرض تنفيذ العقوبات الإقتصادية الدولية على العراق. ومحاولة الرئيس العراقى المناورة لكسب تأييد المصريين فقد طالب من العراقيين فى بيان له بمعاملة المصريين ومعاملة طيبة وبنفس درجة تعاملهم مع العراقيين



الكاتب أحمد الشايب فى حوار مع الدكتور العوضى وزير الشئون الخارجية لدولة الكويت.

أنفسهم.

وفى سوريا أكد الرئيس الأسد أن بلادة ستلتزم إلى حد كبير بجميع قرارات القمة الطارئة فى القاهرة.. وتساقطت الأقنعة لتكشف عن أن الملك ابن طلال كان على علم مسبق وقبل عدة أشهر من هذا الغزو.

وسجلت وسائل الإعلام تدفق أعداد كبيرة من أبناء دولة الأمارات العربية للتطوع دفاعاً عن بلادهم. كما أشاد الملك فهد بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين بجهود الرئيس المصرى حسنى مبارك محاولاته خلق التقارب العربى وقال؛ إن الرئيس العراقى نكث بوعده وخان عهدة وإجتاح الكويت، وشدد بأن المملكة العربية السعودية لن تسمح لكائن من كان أن تمتد بالعدوان على شبر واحد من الأراضى المقدسة. كما أكد الرءيس الأمريكى بأن الولايات المتحدة بالاتفاق مع دول العالم الأخر ستتخذ كل ما تراة ضروريا لتنفيذ حظر تصدير البترول العراقى. وكانت وكالات الأنباء قد أذاعت بأن الأردن تقوم بامداد العراق بالسلع الغذائية مخالفه بذلك قدرات مجلس الأمن، مما دعا وزيز الخارجية الإسرائيلى إلى تحذير الملك الحسين من مساعدة الرئيس العراقى أو السماح لأية بضائع أو مؤن بالمرور للعراق عبر أراضيها.

وفى البداية رفض الأتحاد السوفيتى الإنضمام إلى الولايات المتحدة فى رفض مبادرة العراق لأنهاء وأزمة الخليج، غير أن موسكو أكدت أن تنفيذ هذه المبادرة العراقية هو أمر صعب للغاية على الأقل فى الوقت الراهن. وأكدت مصادر عليمة بأن الاقتصاد العراقى ضعيف جداً ولن يتمكن من الصمود أمام هذا الحصار، كما إتجهت أسعار البترول والذهب نحو الإرتفاع بينما هبط مؤشر الأوراق البابانية ليسجل هبوطا شديداً وهذا ما أثر بالطبع على المعاملات فى البورصات الأوربية، كما تذبذب موقف الدولار بين الصعود والهبوط.

وفى ١٤ أغسطس ١٩٩٠، تسلم الرئيس المصرى حسنى مبارك رسالة من أمير الكويت تتعلق بتطورات الوضع فى الكويت وفى أزمة الخليج. وبينما اكد وزير الدولة للشئون الخارجية الدكتور بطرس غالى أن الرئيس مبارك والحكومة المصرية ستواصل جهودها من أجل إيجاد حل سلمى لأزمة الخليج رغم أن الأمل ضئيل جداً والصورة كما قال الرئيس مبارك قائمة تماماً. وأكدت مصر رسمياً على لسان رئيسها أنها لا يمكنها أغلاق الملاحة فى قناة السويس أمام السفن المتجهة أو القادمة إلى العراق وذلك وفقا للاتفاقية الدولية التى تم التوقيع عليها ١٨٨٨.

هذا وقد نفى الدكتور عبدالرحمن العوضى وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء الكويتى الموجودة فى القاهرة أنه ليس من المعقول أن ينسب الية بيان يخالف سياسة دولتة الشرعية ، وكان هذا ردا على مزاعم السفارة العراقية بالقاهرة فى بيان نسب إلى الدكتور العوضى.. وصرح مسئول كويتى بأن خلايا المقاومة الكويتية تشن هجماتها خلال الليل ضد قوات الإحتلال وذلك إنطلاقا من الأراضى السعودية وبعث الأمير جابر بعدد من الرسائل إلى عواصم الدول الكبرى، كما وصل إلى اثقرة الشيخ سعد العبد الله ولى العهد ورئيس الوزراء وحمل معه رسالة أمير الكويت إلى الرئيس التركى، كما فر ١٢ جنديا عراقيا على الأقل بدباباتهم إلى المملكة العربية السعودية وقد وافقت السعودية على قبولهم لعدم إرتياحهم لسياسة النظام العراقى، فى الوقت الذى بدأ فية المتحدثون الرسميون فى العراق يشيرون إلى الكويت باعتبارها أحدى محافظات جنوب العراق التى قام بالاستيلاء على السبائك الذهبية والعملات الأجنبية وبضائع تتراوح قيمتها بين ٤ ، ٥ مليارات دولار، وتم نقلها إلى بغداد حيث حصل الملك حسين على جزء منها كرشوة وكذلك العريف على عبدالله صالح، وهذا الرجل البهلوان عمر البشير. ويدأ العراق فى تلغيم مياه الخليج لمحاولة كسر الحصار البحرى

المفروض عليه والذى أصبح يمثل حرب استنزاف اقتصادية طويلة الأمر لسبب الغزو بالاضافة إلى عرقلة تقدم الأساطيل البحرية فى مياه الخليج. وكان صدام قد أجرى حركة إعتقالات واسعة النطاق، لبعض ضباط الجيش العراقى قبيل غزوة للكويت..

وفى القاهرة أعلن صفوت الشريف وزير الإعلام المصرى النشط أن مصر التزاماً منها بتطبيق قرارات القمة تشارك مع قوات عربية أخرى فى الدفاع عن الأراضى العربية المقدسة بالسعودية فيما لو تعرضت لعدوان. وارتفعت شعبية الرئيس مبارك بمعدل وصل إلى مائة فى المائة بين جميع طوائف الشعب مؤيدين ومعارضين، اليمين واليسار لدرجة أن الرجل لم يعد مجرد رئيس للجمهورية، بل أصبح ذعيما قوميا.

وأعلن متحدث رسمى كويتى بأن العراقيين لا يعرفون أرقام الشفرة الخاصة بفتح خزانة البنك المركزى الكويتى والتى تحتوى على ما قيمته نصف مليار دولار من الذهب وأن مبنى البنك المقام بمواجهة البحر مصمم بحيث ينهار كل شئ فى الخليج إذا استخدمت أية تفجرات لفتح الخزانة.

وفى ١٥ أغسطس أعلن الرئيس الأفاق الغبى صدام التكريتى موافقته على كل الشروط الأيرانية لتوقيع معاهدة سلام بين الجانبين حتى يتفرغ العراق لمواجهة الآخرين. وقد رحبت أيران بالطبع بهذه المبادرة. ثم زيارة ملك الأردن إلى واشنطن التى زعم البعض أنها تهدف إلى تسليم رسالة من صدام حسين إلى الرئيس بوش ونحن لا نستبعد ذلك فقد أصبح العاهل الأردنى مساعداً لوزير الخارجية العراقى إن لم يكن «ساعى بريد» بدرجة ملك. وأعلن الرئيس الليبى معمر القذافى أن أية حشود عسكرية أجنبية لا تعمل تحت علم وقيادة الأمم المتحدة تعتبر قوات إستعمارية ولذلك فإنه قد دعا إلى مراجعة الموقف فى الخليج وإعادة ترتيب وتنظيم ما صدر من قرارات إزاء الأزمة..

وفى الوقت الذى كان فيه الرئيس الأمريكى بوش توصى وزير دفاعه باعلان حالة التعبئة وأستدعاء جميع قوات الإحتياط الأمريكى للخدمة العامة، فقد شن هجوماً ضارياً باعلى صدام ووصفة بأنه كاذب. وأكد أن قواته إرتكبت مذابح هائلة فى الكويت بعد غزوها، وطالب الملك حسين بعدم السماح للسلع والاحداث بالوصول إلى العراق عبر الأراضى الأردنية وأعلنت تشيكو سلوفاكيا أنها ستغلق سفارتها مؤقتا فى الكويت والعراق لتصبح بذلك أول دولة أوروبية تتخذ. هذا القرار بعد أعلان العراق وقف نشاط البعثات الدبلوماسية.

وفى ١٦ أغسطس أعلن الرئيس مبارك أن مصر أرسلت إلى السعودية القى جندى فى أطار قرار جامعة الدول العربية. كما أن كلا من سوريا والمغرب ترسل قواتها فى نفس الإطار. كما أعلن الرئيس المصرى بأنه إذا قرر الرئيس العراقى سحب قواته من الكويت وعودة النظام الشرعى فإن هذا هو الهدف الذى تسعى اليه أما عمليه الإطاحة بحكم صدام حسين فإن هذه مسألة داخلية.. وفى اليوم الثانى طالب الرئيس مبارك العراقيين وعلى رأسهم صدام حسين إلى الاستجابه لصوت السلام والعقل.

وقد أعربت المملكة العربية السعودية عن تقديرها لجميع المقيمين فيها من أبناء الشعوب العربية والإسلامية والأجنبية وبدأ العراق سحب قواته من الحدود الإيرانية وإطلاق سراح الأسرى الإيرانين..

وهكذا تصبح منطقة الخليج على حافة الهاوية.. فقد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من أحتمال تحولها إلى مسرح للعمليات العسكرية ستكون طرفى المواجهة فيه العالم أجمع بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والعراق.

وأصبح الرئيس العراقى صدام حسين فى موقف حرج للغاية.. موقف لايحسد علية. فهو أمام خيارين لاثالث لهما، فهو إما أن يخرج من الكويت

ويستجيب لصوت العقل والحكمة، وإما أن يستمر فى عنجهيته، ونعتقد أن هذه ليست المشكة الأن المشكلة هى ثمن هذا الخروج؟

وعلى الرغم من أن صورة المستقبل بالنسبة لمنطقة الخليج كلها تبدو قاتمة جداً. والمشكلة أصبحت غاية فى التعقيد، فإن الحصار الإقتصادى وسوف يجدى سيسقط نظام الدكتاتور العراقى فى الأيام القليلة القادمة. ومانأهله فداحه الخسارة التى أحدثها هذا الغزو الأتم بالنسبة للعرب بوجة عام وبالنسبة للقضية الفلسطينية التى لاتهم من قريب أو بعيد السيد ياسر عرفات بقدر ما يهمة زيادة أرصدته فى بنوك العالم.. بل إن إستمرارية جمود القضية الفلسطينية هى فى صالح بعض قيادات منظمة التحرير الفلسطينية..

وإذا كان بعض الذين يهاجمون الوجود الأجنبى على أرض السعودية، فإننا نود أن نؤكد بأن الوجود الأجنبى فى حد ذاته مبدأ مرفوض، ولكن قبل أن تلوم هؤلاء فإن علينا أن نلوم ذلك الذى تسبب فى هذا الوجود. ويهمنا فى هذا المجال أن نشيد بموقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز لما إتسم به من حكمه وتروى وصبر وبصيرة نافذة.

ونحن إذ نؤكد وجهة نظر إستبعاد حدوث أية صدامات مسلحة فى منطقة الخليج. الا أننا نتوقع إذا ما أصيب صدام التكريتى بإحباط شديد هذا إذا لم يتم إغتيالة وإسقاط نظامة من جانب الوطنيين العراقيين، لتقلة طائرته إلى القاهرة كلاجئ سياسى غير مرغوب فيه.

فهرست

كتب المؤلف

كتب صدر:

١- *دراسات فى الإقتصاد الأشتراكى ومشاكله*

مؤسسة التأليف والنشر ١٩٦٦

٢- *الإقتصاد الإسرائيلى وأثره على الإقتصاد العربى.*

منشورات الدراسات الفلسطينية ١٩٦٨

٣- *الجامعة العربية والقومية العربية.*

منشورة الجامعة العربية ١٩٦٩

٤- *سالى (مسرحية من ثلاث فصول)*

مكتب النهضة المصرية ١٩٨٦

٥- *كلام فى السياسة جـ١*

مكتب النهضة المصرية ١٩٨٧

٦- *صديقى الرئيس*

مكتب الصاوى ١٩٨٨

٧- الأستاذ بلط والمرأه والمستحيل

(مجموعة قصصية) ١٩٨٩

٨- *إسلام له تاريخ جـ١* ١٩٩٠

كتب تحت الطبع

١- مبارك بين عبد الناصر والسادات

٢- ماذا يجرى فى السودان

٣- أنا وهيكل.. وقراءات فى التاريخ

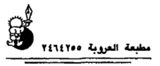
٤- موسوعة الأطفال التاريخية (١- قصة قناة السويس)

٥- الغيبوبة بين ديمقراطيه الفوضى وفوضى الديمقراطية

تم بحمد الله وتوفيقه

رقم الأيداع بدار الكتب
٩٠/٧١٨٨
ترقيم دولى 0531 -06 -977





عندما تأتي العدالة متأخرة
ويرتقي الظلم إلى مستوى الاحساس ،
فإن اللجوء إلى التاريخ باعتباره الكائن
الوحيد الذي يرتفع بالعدالة إلى
مستوى السماء هو أمر حتمي ، يمكن
أن يصبح منطلقا لدعوة الحاكم
الدكتاتور - الذي يجهل هدفه من
الوجود ، وهدف الوجود منه - لقراءة
ما قاله « ونستون تشرشل » عن الذين
يعتقدون أنهم أذكى الناس

